الشيخ عبداللطيف مشتهرى

نجم غاب عنا

(١٩١٥ـ١٩٩٥)

إعداد
خديجة النبراوى

بسم الله الرحمن الرحيم

«من تمسك بسنتي عند فساد أمتي
فلـــه أجـــر مائـــة شـــهيد»

صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
[رواه البيهقـي عـن ابـن عـباس
عن النبي - صلى الله عليه وسلم -]

رثــاء واجــب

إنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا عليك يا شيخ عبد اللطيف لمحزونون. ولكن لا نقول إلا ما يرضى الله ورسوله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم...

وإن هذا الحزن الذى يدمى قلوبنا ويدمع عيوننا مرجعه إلى سببين رئيسيين:

أولهما:

أن الشيخ عبد اللطيف ـ رحمه الله كان عالماً بكل ما تحمله تلك الكلمة من معان.

وقد قال الصادق المعصوم: «موت العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تسد. وهو نجم طمس موت قبيلة أيسر من موت عالم»(*). رواه البيهقى عن أبى الدرداء ومعنى ثلمة لا تسد: أى خلل فى الحائط والشق وغيره. ولا شك أن ما قاله الحبيب المصطفى هو إحساس كل مؤمن صادق الإيمان عند موت العلماء المخلصين العاملين، لأنه خلل فى كيان المؤمنين. الذين وصفهم رسولنا الكريم بقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا». وقوله صلوات ربى وسلامه عليه: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». (رواهما البخارى).

فما بال الأمر إذا كان الموضوع غياب المؤمن كله ورحيله وليس مجرد الشكوى؟!

ثانيهما:

أننى عشت ما عشت وطوفت ما طوفت، فلم أجد بحق إلا قلائل ممن سموا بأخلاقهم، وتعالوا بذاتهم، وحلوا فى أفئدة الناس جميعا، بأدبهم وتقواهم وعلمهم، ومنهم الشيخ عبداللطيف مشتهرى. ولا غرو فى ذلك، فهو بذرة طيبة من شجرة طيبة، نمت وترعرعت بسقياها من ماء التوحيد الخالص، وتأدبت بأدب النبوة الراقى. فصار كتابا ناطقا للسنة قبل أن يبايع إماما لها وكأن الله قد صنعه على عينه، فوفق له من الأسباب ما يسر له طريق الهداية الحق،

(*) من حديث طويل فى الترغيب والترهيب للإمام المنذرى. جزء (١)، ص ١٠٥، حديث رقم (٨)، رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه. واللفظ هنا للبيهقى.

فكان يسهم فى إعداده إمام بعد إمام. كان آخرهم آل خطاب رضوان الله عليهم جميعا، حتى صار هو نفسه إماما يقتدى بفعاله وخصاله وعلمه.

فكيف لا تكون المصيبة بفقده عظيمة والخسارة جسيمة؟!

فرحم الله إماما كان لنا نوراً، لأنه عرف فلم ينكر. وعلم فلم يجهل. وأدرك فلم يتحير، زهد فى الدنيا وهو المعمر لها بنفائس العلوم. ورغب فى الآخرة كأنه وصل إليها. الدنيا كانت عنده دار اختبار وفرار. والآخرة هى اليقين والقرار. كم أزال من كرب. وكم اقتحم من عقبة، ثم أبى نور روحه إلا أن يستعلن فظهر فى خطب عديدة، ومؤلفات عدة، كلها اشراقات وأنوار عالية، انتفع بها كبار العلماء، وقدرها حق قدرها عظماء الرجال.

فاللهم انفعنا بعلمه، ولا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده.

اللهم اغفر لنا وله ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا، وتقبل منا ومنه خير أعمالنا. إنك بالإجابة جدير وعلى كل شىء قدير.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

خديجة النبراوى

مقدمة الكتاب

يأتى هذا الكتاب بعد رحيل الشيخ عبد اللطيف مشتهرى - رحمه الله - إلى دار الحق، مخلفا وراءه رصيدا ضخما من العلم والمعرفة يدعو أولى العقول والبصائر أن ينهلوا من ذلك المعين العذب ليفيدوا ويستفيدوا ويضيفوا بدورهم لبنات جديدة فى البنيان الإسلامى قائمة على تقوى من الله وخبرة وبصيرة.

والكتاب ليس سيرة ذاتية للشيخ مشتهرى - رحمه الله - بل هو ومضات من تاريخ حياته توضح ملامح شخصيته وجهاده فى ميادين الحياة بكل صورها، بصفته إنسانا مسلما يحمل **أمانة الكلمة** بين جنبيه كرسالة اختارها الله عزَّ وجلَّ للمسلمين عامة. **وأمانة الدعوة** كوظيفة اختصه الله بها وفضله بذلك على كثير ممن خلق تفضيلا.

وما دفعنا إلى خوض غمار تلك التجربة، ليس حباً أهوج يتولى الدفاع عن شخص ليس جديرا بالمنزلة الرفيعة، وليس نفاقا يلبس الباطل ثوب الحق.. بل هو حب عميق للبشرية جمعاء، وللمسلمين بصفة خاصة - حب ينبع من الإيمان بالله ورسوله، يحث على السعى بقدر الجهد لانتشال البشرية من ترديها فى مهالك الهوى ودعاوى الضلال. حيث أصبحنا فى زمن كادت تضيع فيه معانى النبل والوفاء، وتتيه فيه رموز العظمة والجهاد، واحتلت مكان الصدارة أنباء الفتن والصراعات وصور الأنانية والظلم والطغيان، وكل دواعى إثارة الأهواء والشهوات.

ولهذا أصبحت البشرية فى أمس الحاجة إلى استنهاض الهمم نحو معانى الحياة السامية ومبادئها القويمة الهادفة ولن يتأتى ذلك إلا بإبراز النماذج الجادة من أولى العزم من الرجال المخلصين والقادة المصلحين ليكونوا منارات هدى وإشعاعات فى السلوك والقدوة تبدد ظلمات الجهل واليأس والهوان، وتكون دافعا على السمو والبذل والعطاء. فإذا حاولنا تتبع جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحياة كوسيلة لتحقيق ذلك تخاذل البعض قائلين: إنه نبى، وليس فى مقدورنا اتباع تلك القمة الشامخة، لأنه مثل أعلى خارج عن نطاق قوانا البشرية الضعيفة!!

﴿قل سبحانك ربى هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ (الإسراء ٩٣).

وإذا حاولنا تتبع جهاد الصحابة كنماذج للقدوة والسلوك، قالوا زورا وبهتانا: إنهم أناس قد عاشروا الرسول - صلى الله عليه وسلم - واستمدوا قوة من أنواره، ووجدوا أعوانا على الخير فى زمن المثالية والطهر.. وهذا لا نقدر عليه فى زمن المادية وطوفانها الذى يكاد يكتم أنفاسنا، ويعوق حركة عقيدتنا فى تشكيل حياتنا وإرساء ملامح إيمانية لها.

ولهذا فإن التكلم عن الشيخ مشتهرى - رحمه الله - وأمثاله من العلماء العاملين المخلصين الجادين، ضرورة إيمانية تفرضها ظروف الحياة التى أصبحنا نعيشها للأسباب الآتية:

أولا: إن الشيخ - رحمه الله - لم يكن نبيا مرسلا، ولم يكن صحابيا عاش عصر المثالية الإسلامية، ولكنه كان إنسانا مثلنا صادف ما صادفناه فى عصورنا الحالية باختلاف أطوارها وأحوالها، فقد عاصر عهد الملك فاروق وجمال عبد الناصر والسادات وحسنى مبارك. وأثبت فى كل تلك العهود قدرة الدعوة الفائقة على الحوار الفكرى البنّاء مع كل الآراء والاتجاهات وخاصة إذا كان المسلم كيس فطن، وعلى علم واسع بحقائق العقيدة الإسلامية وأصولها الراسخة الثابتة.

ثانيا: أن الشيخ - رحمه الله - استطاع بقوة يقينه أن يجاهد فى الله حق جهاده، ويكون نموذجا يحتذى به فى أسلوب دعوته الذى تميز بأنه «السهل الممتنع»: فهو سهل بالنسبة لأفهام كل الناس، وممتنع فى مضاهاته إلا بقوة الإيمان وغزارة المعلومات التى بذل فى سبيل تحصيلها أجل الجهد والأوقات.

وهكذا ضرب أروع الأمثال فى كيفية خوض غمار ظلمات الجاهلية وتبديدها بنور الإيمان.

ثالثا: أنه استطاع أن يستضىء بأنوار المولى سبحانه وتعالى وتعليماته السامية فى قوله الحق فى قرآنه الكريم:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل ١٢٥).

فاستمرت دعوته ما يزيد على خمسين عاما، لم يهن ولم يكل رغم تغير الحكام وتغير الأحكام معهم ومع ذلك لم يصطدم مع أى منهم اصطداما يعرقل مسيرة دعوته إلى الله، ويحرمه من أغلى ما كان يتمناه فى الحياة وهو جهاد الكلمة من فوق المنبر لأنه تعلم من نبيه الحبيب أنه أعظم الجهاد وأجزله مثوبة من الله.

رابعا: لقد أثبت الشيخ عبد اللطيف - رحمه الله - بالتطبيق الفعلى قول الحق عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (محمد ٧).

فقد دعا إلى نصرة الدين الحق طوال حياته، بدون تعصيب ممقوت أو هوى يزيغ به عن الحنيفية السمحاء، فنصره الله نصرا عزيزا مؤزرا، وأمده من خزائن علمه المكنون التى لا تغيض ولا تنضب، فظل يواصل الدعوة رغم عناء الحياة ومشقاتها وضعف الجسد ووهن الشيخوخة، حتى أسلم الروح إلى بارئها معتذرا إلى المولى عن تقصيره، مرددا دعاء الملائكة: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك. سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

خامسا: إن ما يدفعنا إلى كتابة هذا الكتاب هو المعانى النبيلة التى يحملها قول الأستاذ عباس العقاد(*) ـ رحمه الله ـ : « وإيتاء العظمة حقها لازم فى كل آونة وبين كل قبيل. ولكنه فى هذا الزمن وفى عالمنا هذا ألزم منه فى أزمنة أخرى، لسببين متقاربين لا لسبب واحد: أحدهما أن العالم اليوم أحوج مما كان إلى المصلحين النافعين لشعوبهم وللشعوب كافة.. ولن يتاح لمصلح أن يهدى قومه وهو مغموط الحق، معرض للجفوة والكنود.

والسبب الآخر أن الناس قد اجترأوا على العظمة فى زماننا بقدر حاجتهم إلى هدايتها. فإن شيوع الحقوق العامة قد أغرى أناسا من صغار النفوس بإنكار الحقوق الخاصة، حقوق العلية النادرين الذين ينصفهم التمييز وتظلمهم المساواة.

فماذا يساوى إنسان لايساوى الإنسان العظيم شيئا لديه؟ وأى معرفة بحق من الحقوق يناط بها الرجاء إذا كان حق العظمة بين الناس غير معروف؟ وإذا ضاع العظيم بين أناس، فكيف لا يضيع بينهم الصغير؟

فاللهم اجعل كتابنا هذا موافقا لباعثنا على كتابته ولا تحرم شعوب أمتنا الإسلامية من العلماء المخلصين العاملين الذين يجاهدون فى الله حق جهاده لرفع راية الدين وتثبيت عقيدة المسلمين، وتبديد ما يعتريهم من شوائب الجهلة والملحدين. إنك على كل شىء قدير وبالإجابة جدير.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

(*) من كتاب «عبقرية محمد» للأستاذ عباس محمود العقاد، ص ٧، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة

الشيخ مشتهرى ورثاء المحبين

لقد بدأنا بهذا الفصل، لأن رثاء المحبين هو النافذة التى نطل منها على حياة الشيخ مجملة فى كلمات صدق، تنبعث من قلوب أناس مخلصين. لا يرجون نفاقا أو تملقا ابتغاء مجاملة أو ترقية أو منصب؛ بل هى كلمة حق تقال لوجه الله تعالى، وخلاصة إحساس عام نحو شخص عاش بيننا ردحا من الزمان، ونحن ننقل هذا الكلام عملا بالحكمة القائلة «ألسنة الخلق أقلام الحق». ولا شك أن هذه الحكمة تستمد ينابيعها من حديث المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه:

- «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدنين إنهم لا يعلمون إلا خيرا إلا قال الله: قد قبلت علمكم فيه، وغفرت له ما لا تعلمون». «رواه أبو يعلى وابن حيان فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه» ومن أحاديث أخرى كثيرة للصادق المعصوم نختار منها ذلك الحديث:

- عن أنس رضى الله عنه قال: مُرَّ بجنازة فأثنى عليها خير، فقال نبى الله - صلى الله عليه وسلم -: وجبت وجبت وجبت. ومُرَّ بجنازة فأثنى عليها شر، فقال نبى الله - صلى الله عليه وسلم -: وجبت وجبت وجبت. فقال عمر: فداك أبى وأمى، مُرَّ بجنازة فأثنى عليها خير فقلت: وجبت وجبت وجبت. ومُرَّ بجنازة فأثنى عليها شر فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار. أنتم شهداء الله فى الأرض.

رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى وابن ماجه.

وقد شهد جنازة الشيخ مشتهرى - رحمه الله - مئات من العلماء الذين يقدرون أهل العلم حق قدره، وآلاف من المؤمنين المخلصين الذين استضاءت قلوبهم بكلمات الشيخ الصادقة وارتفعت بهم من وطأة الثرى إلى عنان السماء. والجميع - بحمد الله وفضله - بكوا الشيخ بكاءً حارا وشهدوا له شهادة ندعو الله أن يجعلها فى ميزان حسناته ويكفر بها عن سيئاته ويرفع بها درجاته.

ونظرا لأن المجال هنا مجال الكلمة المكتوبة وليست مشاعر مرئية أو مسموعة فنحن نسجل كلمات رثاء كتبت فى الصحف أو تلقاها أهل الشيخ من علماء أجلاء. وكلمة العلماء ستظل دوما وأبدا لها وزنها لأنهم ورثة الأنبياء وبالتالى شهداء على أهل عصرهم، تفرض عليهم تلك الشهادة أمانة لها ثقلها عند الله.

وحتى لا نثقل على القارىء فسنكتفى بالعدد الذى حدده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أربعة شهداء من العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية وعاشروا الشيخ عبد اللطيف عن قرب، فكانوا أقرب الجيران لأنهم جيران عمل وأخوة إيمان.. وحتى لو شهد له ثلاثة أو اثنان، فيمكن أن يقبل الله شهادتهم كما جاء فى حديث آخر عن أبى الأسود قال: قدمت المدينة فجلست إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فمرت بهم جنازة فأثنوا على صاحبها خيرا، فقال عمر - رضى الله عنه -: وجبت، ثم مرّ بأخرى فأثنوا على صاحبها خيرا فقال عمر: وجبت. ثم مرّ بالثالثة فأثنوا على صاحبها شرا. فقال عمر: وجبت. قال أبو الأسود: فقلت ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبى - صلى الله عليه وسلم -: أيما مسلم شهد له أربعة نفر بخير أدخله الله الجنة. قال: فقلنا: وثلاثة؟ فقال: وثلاثة. فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان، ثم لم نسأله عن الواحد. (رواه البخارى)(*).

رثى الشيخ محمود عبد الوهاب فايد زميل الجهاد فى الدعوة إلى الله الشيخ عبداللطيف مشتهرى وذلك فى جريدة الأخبار الصادرة فى ١٩٩٥/٩/٨ تحت عنوان «الشيخ مشتهرى وتجنيد الشباب لخدمة الإسلام» فقال:

فى يوم الاثنين أول ربيع الآخر سنة ١٤١٦هـ الموافق ٢٨ أغسطس ١٩٩٥ انتقل إلى جوار ربه فضيلة الإمام الداعية إلى الله الشيخ عبد اللطيف مشتهرى، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته.

عرفته أول ما عرفته فى رحاب كلية أصول الدين عام ١٩٤٢. وربطت الجمعية الشرعية بيننا برباط وثيق، فآمنا بمبادئها، واستمسكنا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وانطلقنا فى أنحاء مصر ندعو إلى الله. وأشهد أنه كان واسع الإطلاع، غزير العلم، فقيها فى دينه،

(*) من الترغيب والترهيب للإمام المنذرى، جزء (٤)، ص ٣٤٦، رقم ٤. طبعة بيروت.

قوى الحجة، سريع البديهة، لطيف النكته، نير البصيرة، راجح العقل، عميق الفكر، وهب نفسه لخدمة دينه بأسلوب عصرى حكيم.

جذب آلاف الشباب فى مصر وسوريا والكويت والسعودية وغيرها، وعرف كيف يهديهم للإسلام، وكيف يجعلهم دعاة ينقذون الوطن الإسلامى من المبادىء الهدامة والمذاهب المضللة، وكيف يستسهلون الصعاب ويتحملون الاضطهاد فى سبيل نشر الإسلام دين العقل والعلم والحرية والشورى والخير والعدل والمساواة والفضيلة والعمل الصالح.

وكما يقول فى كتابه «هذه دعوتنا» ص ١٩٦: «الإسلام دين ودولة، قضاء وسياسة، مصحف وسلاح، معاش ومعاد».

لقد تربى على يديه جيل مثقف واع متمسك بدينه، لا يعرف الإنحراف ويرفض الغلو والتفريط.. وقد زعم بعض الناس من خصومه أنه انحرف عن خط الجمعية، وهم واهمون. وحسبى أن أنقل ما كتبه إمامنا الشيخ أمين خطاب نجل مؤسس الجمعية الشيخ محمود خطاب يرحمهم الله جميعا. فقد قال بأسلوب حكيم، فى مناقشة للشيخ محمد زكى إبراهيم - أكرمه الله - وهى منشورة فى مجلة الاعتصام ومجلة المسلم شهر صفر ١٣٨٦هـ. قال بالحرف الواحد ما نصه:

«بقيت كلمة نصح أذكر بها نفسى وإخوانى فى الجمعية الشرعية، وسائر الجمعيات الإسلامية، وهى أن نضع نصب أعيننا قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾. وقوله سبحانه: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾. وقوله: ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾. فعلينا أن نتحد ونلتف حول كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونقدم الأهم فالمهم، وندرك سماحة الإسلام، ونتفاهم بالتى هى أحسن حفاظا على الأخوة والمحبة والوحدة. وعلينا أن نتجاوب ونتفاعل فى ضوء الدين وحدوده مع ظروف الحياة المعاصرة، وعلينا أن نكون أوسع إدراكا لما يجرى فى عصرنا، وأعمق فهما وتقديرا لما يحيط بنا، فلا تلهنا الخلافات الشرعية عن الأخطار التى تهدد البلاد الإسلامية وفى مقدمتها الاستعمار والصهيونية والشيوعية

والأفكار المسمومة الأجنبية.. وفى اعتقادى أنه لا صلاح لنا إلا بالأخذ بتعاليم ديننا، واتباع منهج سلفنا فى العقيدة والعبادة والسلوك وسائر أحوالنا. قال الإمام مالك: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. ومن فضل الله علينا أن جعل ديننا شاملا لكل ما يتوقف عليه صلاح الناس فى دنياهم وآخرتهم: ففيه العقيدة السامية، والعبادة الهادية، والأخلاق القويمة والمعاملة الكريمة، والسياسة الرحيمة وكل ما يرفع شأن الإنسان فى كل زمان ومكان.. قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾. وقال: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ نسأل الله أن يهدينا ويهدى بنا وأن يعيد للإسلام مجده وسلطانه وللمسلمين وحدتهم وألفتهم وقوتهم وسيادتهم».

هذا نص ما كتبه إمامنا الشيخ أمين خطاب وقد شارك أباه فى تأسيس الجمعية الشرعية، ومنه يعلم أن أئمتنا جميعا ساروا على نهج واحد ونسق واحد من عهد مؤسسها الأول الشيخ محمود خطاب إلى عهد الشيخ عبد اللطيف مشتهرى، فجزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء.

وقد شاء الله أن يبارك فى هذا الغرس فيثمر أطيب الثمرات: فبالتعاون تم بناء آلاف المساجد وعشرات المعاهد والمستشفيات والصيدليات.

بهذا التعاون أمكن للجمعية أن ترعى عشرات الآلاف من اليتامى، وتشغل أمهاتهم بأعمال تدر عليهم الربح، وتوسع عليهم فى معيشتهم.

بهذا التعاون تم إعداد معاهد الدعوة وتخريج الدعاة الحكماء الفقهاء. بالتعاون تم إعداد مكاتب تحفيظ القرآن فى أنحاء الجمهورية. بالتعاون الواعى الصادق ساعدنا فى حماية الأمة من الانحراف والغلو والتطرف، وساعدنا فى نشر الأمن وتدعيم الاستقرار.

رحم الله أئمتنا السابقين، وألحقنا بهم فى الصالحين. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم.

***

وفى مقال للدكتور السيد الطويل الرئيس العام لجمعيات دعوة الحق الإسلامية والأستاذ بجامعة الأزهر الشريف تحت عنوان(*) :

«الشيخ مشتهرى داعية متميز.. ومجاهد لا يهدأ» يقول سيادته:

(*) فى جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٥/٩/١٥ (جريدة الجمعة)، الصفحة الخامسة.

ودع الدنيا فى هدوء وصمت، ومن غير ضجة إعلامية، علم من أعلام الدعوة الإسلامية فى هذا القرن، شأن الكبار من رجالات الإسلام الذين يفارقون الحياة، ولا يلقون من اهتمام الإعلام ما يلقاه غيرهم من أهل الفن والغناء. إنه الشيخ عبد اللطيف مشتهرى وكفى. بلغ فى دنياه الثمانين عاما، لكن لو حسبنا عمره بمقياس الأعمال والأعباء والبذل والمعاناة، نستطيع أن نقول إن حياة الشيخ جاوزت المئات!

هكذا فرض ابن «كوم حلين - شرقية» نفسه على عصره، داعية متميزا، مجاهداً لا يهدأ، متنقلاً هنا وهناك، لسان حق، وكلمة صدق، وعقلا ناضجا، وفكرا متفتحا، وجرأة نادرة فى الدفـاع عـمـا يؤمن به لا يخـشى فى الله لومـة لائم.. وصل إلى قـمـة الوعظ فى الأزهر الشريف، فكان مدبرا لهذا الجهاز المهم فى هذه المؤسسة الإسلامية العريقة.. وسار فى دعوته فى ظلال منهج الجمعية الشرعية التى أسسها فى قلب القاهرة القديمة، وبين حى من أحيائها العريقة، الشيخ محمود خطاب السبكى، الذى هاجر من المنوفية على كبر، وجاور فى الأزهر، فصار عالما ورائدا ومؤسسا لهذا المرفق الإسلامى خدمة للمسلمين.

وكنت منذ عهد الصبا أقرأ للشيخ مقالات متتابعة فى مجلة الإسلام التى كان لها ظهور فى الأربعينات من هذا القرن، ولم يتقيد الشيخ فى دعوته بفكر أحد، وكان له اجتهاد متميز، يحرص على الاستمساك برأى السلف، ويعتز بالمدرسة العقلية المعتدلة فى الإسلام، والتى كان من راودها الشيخ محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا مرورا بالأعلام الكبار: المراغى وعبد المجيد سليم ومصطفى عبد الرازق ومحمود شلتوت.

كما برىء تماما من تعصب الجمعيات، هذا التعصب الذى كان داء أصيب به القائمون على أمر الدعوة فى النصف الأول من هذا القرن. وأذكر أنه ألقى محاضرة عن دار جماعة أنصار السنة المحمدية فى الستينات وكان بين أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية ما كان من اتهامات متبادلة، أسرف فيها الطرفان، واجترا خلافات قديمة حول آيات الصفات. فأحد الطرفين يرمى الآخر بالتشبيه والتجسيد، ويرد الآخر يرمى الأول بالتحريف والتعطيل.

وفى هذا يلقى الشيخ محاضرته فى جرأة وصراحة مؤيدا نهج السلف إذ هو طريق الأمن والسلامة. وغضب منه إخوانه فترة، ثم أدركوا حكمته وسلامة موقفه وحسن تقديره.

بويع لرئاسة الجمعية الشرعية بعد وفاة آخر علماء الأسرة المؤسسة لها فضيلة الشيخ يوسف خطاب.. وهنا ظهرت حكمة إخوانه فى الجمعية الشرعية، لقد أعطوا القوس باريها، وتخيروا عالما متميزا وعلما بارزا على طريق الدعوة، تشرف به جماعتهم فى المناسبات العامة.

وقد سعدت بالعمل معه فى لجنة دعم الجمعيات الإسلامية التى أنشأها الدكتور زكريا البرى فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أيام توليه مسئولية وزارة الأوقاف رحمه الله وعفا عنه.

والقارىء لكتاب الشيخ مشتهرى «هذه دعوتنا» يدرك الأبعاد الفكرية السوية لاجتهادات هذا العالم الراحل. وكنت أشعر عندما ألتقى به بود بالغ، هامسا فى أذنى: «أنا أتابع جهادك، وأسعد بفكرك حسبك الله، وكفاك إثم المفترين». سعدت بهذه الكلمات وأنا معه فى كوم حلين، نحضر حفل زواج ابنة أحد الزملاء الأعزاء على أحد أبنائنا من مدرسى كلية الدراسات الإسلامية.

ويبتلى الرجل بانشقاق فى جمعيته، ويخرج عليه بعض إخوانه ويسيئون إليه، وهذا داء يصيب الجمعيات العاملة فى الحقل الإسلامى بكل أسف.

ويصمت الرجل ويصبر، ولا ينطق لسانه بمساءة لأحد ممن خرجوا عليه وظل الشيخ على منهجه وخلقه، يتحمل بلاء البشر، وبلاء المرض، حتى بلغ الكتاب أجله، ولاذ إلى رحاب مولاه، آمنا مطمئنا، راضيا مرضيا عنه إن شاء الله تاركا الناس فى دنيا الناس، تصرعهم الأهواء، ويؤملون فى أمر نهايته فناء، وإنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله. اللهم آمين.

***

ويقول الأستاذ حسن عاشور (مدير تحرير مجلة الاعتصام) فى مقال له بعنوان: «الشيخ مشتهرى يرفض تقبيل يد الملك»(*):

إن سيرة إمام أهل السنة، العالم الفذ، والفقية الجليل، والداعية الموهوب: الشيخ عبداللطيف

(*) فى جريدة الأخبار بتاريخ ٦/١٠/١٩٩٥ (جريدة الجمعة)، الصفحة الثانية عشرة.

مشتهرى، الذى رحل عن دنيانا، لعامرة بالجهاد والأمجاد، منذ أن شب عن الطوق، وحتى تقلد أرفع المناصب فى الأزهر الشريف، مديرا عاما للدعوة والوعظ والإرشاد، ثم رئيسا عاما للجمعيات الشرعية.

ولا يتسع المجال هنا لكل مواقف الرجل الشجاعة فى مسيرة حياته الحافلة بالأمجاد. ولكننا نشير هنا فقط إلى ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: لما ذاع صيت الشيخ والتف حوله الشباب، وتعددت زياراته لكثير من الدول العربية والإسلامية، وكانت الوحدة قد تمت بين مصر وسوريا، طلبت الهيئات الدينية والجمعيات الإسلامية السورية من وزير الأوقاف السورى، أن يوجه إليه الدعوة لزيارتها.

واستجاب الأزهر الشريف لنداء وزير الأوقاف السورى، وسافر المشتهرى ليقضى ثلاثة شهور جائلا فى ربوع سوريا. وانتهت الشهور الثلاثة، وتضغط الجماهير ليبقى ولكن الشيخ كان قد تأهب للعودة، ولم ينقذ الموقف إلا الرئيس شكرى القوتلى الذى ناشد عبد الناصر أن يتدخل لدى المشتهرى للبقاء ثلاثة أشهر أخرى، فتدخل عبد الناصر فعلا، فامتدت الإقامة بعد ذلك ثلاثة أعوام.

الموقف الثانى: كان الشيخ الإمام واحدا من الذين لا يحركهم الدرهم أو الدينار، أذكر أنه بعد معاناة، قبل الشيخ دعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الرياض. ولما كانت محاضرات الشيخ قد لقيت قبولا واستحسانا فقد رغبت الجامعة فى العام التالى أن يكرر الشيخ الزيارة، ولكنه اعتذر فى أدب.. ولم ييأس مدير الجامعة الدكتور التركى، وزير الأوقاف والشئون الإسلامية الآن، واستدعانى بعد أن علم بوجودى فى الرياض، وكلفنى بأن أحاول إقناع الشيخ المشتهرى بقبول الدعوة وتكرار الزيارة لثلاثة شهور أخرى. ولكنى فشلت فى إقناع الشيخ الذى اعتذر من جديد لانشغاله بشئون الدعوة فى مصر، رغم ما عرض عليه من إغراءات مادية.

أما الموقف الثالث: فهو إن دل على شىء فإنما يدل على مدى حرص الرجل على اعتداده بنفسه واحترامه لعلمه واعتزازه بأزهره. وتعود أحداث القصة إلى أغسطس عام ١٩٤٤، عندما دعى أوائل الخريجين فى الجامعات المصرية إلى مأدبة ملكية فى قصر

عابدين. وكان المشتهرى أول الخريجين فى الأزهر. وقبل أن يلتقى الخريجون بالملك، اجتمع بهم رجال التشريفات والبروتوكول لتدريبهم على كيفية المثول بين يدى الملك ومصافحته وتقبيل يده ثم الانصراف من حضرته.. ولكن الشيخ طرح تعليمات التشريفات جانبا والتزم أدب الإسلام. فما إن اقترب من الملك، حتى صافحه مرفوع الرأس منتصب القامة، ليثير موقفه هذا مزيجا من الدهشة والارتباك لكل الموجودين فى الحفل. وحدثت أزمة ظلت آثارها زمنا طويلا بعد أن صدرت الصحف وبها هذه الصورة الفريدة التى يتمرد صاحبها على كل تعليمات القصر وتوجيهات رجال البروتوكول.

ويعلق الشيخ مشتهرى على هذا الحدث فيقول: «لقد كنا فى شهر أغسطس، وهو أشد شهور العام حرارة ورطوبة، ومع ذلك فقد كان الملك يرتدى فى يده قفازا «جوانتى» يصافحنا به، ثم بعد أن يفرغ من استقبالنا يخلعه.. وهو يفعل ذلك استعلاء علينا أو (قرفا) منا، أو حرصا على ألا تمس يده الكريمة أيدى أبناء الفلاحين والكادحين، فقررت أن أمضى إلى ما عزمت عليه، وتقدمت إلى الملك منتصب القامة مرفوع الرأس وصافحته كأى إنسان..

ولقد كاد الشيخ مشتهرى ينفرد بهذا الموقف بين أقرانه أجمعين لولا أن أحد زملائه فى الدعوة وفى الجمعية الشرعية ورفقائه فى الجهاد وخليفته من بعده فى رئاسة الجمعية، قد شاركه هذا الشرف العظيم فكان هو الآخر أول الخريجين فى الأزهر، فكرر الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ما صنعه المشتهرى حيث سلم على الملك مرفوع الرأس، منتصب القامة..

هكذا تعلموا من دينهم، وهكذا وجههم إمامهم المؤسس أن يحترموا علمهم فيحترموا أنفسهم.

***

وتلك رسالة تعزية من جدة(*): أرسل بها الشيخ عبدالباقى محمد الشريقى نيابة عن: (آل الشريقى - آل الدروبى - آل الصالح - آل شيخ عيسى) السوريين. يقول فيها:

علمنا نبأ الفاجعة الأليمة التى حلت بكم وبالأمة الإسلامية جمعاء، والتى أدمت قلوبنا، وأحزنت نفوسنا، وأطفأت مصباحا عظيما من مصابيح الدعوة: كم أنار الطريق للتائهين فى دياجير الفتن الحالكة السوداء القاتمة فى القرن العشرين.

(*) جدة، ١٤/٤/١٤١٦هـ - القاهرة، فاكس رقم ٢٤٨٢٣٩٩.

أجل علمنا نبأ وفاة أخى والدكم طيب الله ثراه وجعل الفردوس الأعلى مثواه. أجل رحل عنا العالم العلامة، المرشد المخلص، والمربى الكبير سماحة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى الذى دافع عن الإسلام وحمل لواء الإسلام منذ فتوته وحتى لقاء وجه ربه. إن فقيدنا الغالى، هو فقيد الأمة الإسلامية جمعاء، وهو فقيد الأزهر الشريف، وفقيد العلم والدعوة والجهاد فى سبيل الله. لقد كان رحمه الله منافحا عن دينه وأمته لا يخاف فى الحق لومة لائم.

أحبائى أبناء سماحة المشتهرى: إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع على فراق أخينا وحبيبنا سماحة والدكم. تغمده الله بواسع رحمته وبعظيم رضوانه، وجعل قبره روضة فى الجنة وروحه فى أعلى الفردوس ولا نقول إلا ما يرضى ربنا سبحانه.

فإليكم يا أحبائى وقرة عينى أخلص آيات التعزية لكم ولآلكم الكرام ولكل صديق ومحب لفقيدنا العزيز- سائلين الله عز وجل لكم جميعا الصبر الجميل والأجر الجزيل. كما نسأل الله سبحانه لفقيدنا الحبيب الرحمة والرضوان وأعلى مقامات الجنان ودخولها بسلام وأن يجمعنا به فى مستقر رحمته، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

***

تلك كانت مقتطفات من رثاء المحبين للشيخ مشتهرى... نعود بعدها إلى مزيد من التفصيل لمعرفة لمحات من حياة هذا الشيخ الذى استأثر بإعجاب كثير من المؤمنين ونظروا إليه بكل تقدير وتبجيل، تتناول تلك اللمحات: نشأته- تعليمه ومكونات ثقافته- ارتباطه بالجمعية الشرعية وجهاده من خلالها- تنقلاته داخل جمهورية مصر العربية وخارجها- نتاج جهاده من شرائط (مسموعة ومرئية) وكتب.

ندعو الله أن يوفقنا لما يرضاه، وأن يكون كتابنا هذا تبصرة وذكرى لكل من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد.

لمحات من حياة الشيخ مشتهرى

إن النظر إلى حياة الشيخ - رحمه الله تشبه النظر إلى البحار والمحيطات حيث تثير الكثير من الفضول والكثير من التساؤلات، وأحيانا تغرى بالسباحة فيها، وأحيانا تسبب الجهد والمشقة. ويذهب الفكر بعيدا إلى التفكر فى أعماق البحار والمحيطات ثم يعود كليلا من شدة التفكير كئيبا لأنه لم يرو نهمه فى التعطش إلى معرفة الحقيقة كاملة.

لهذا كان هذا العنوان «لمحات من حياة الشيخ مشتهرى» أصدق تعبير عن قصورنا البشرى فى استيعاب حقيقة هذا الرجل الخضم الذى تموج أعماقه بكنوز هائلة من المعارف الربانية والمشاعر الإيمانية الصادقة تترجمها أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، مما يجعل المرء يقف مشدوها أمام عظمة الله وقدرته التى أودعها فى خلقه حيث صاروا شموسا تبدد ظلمات الجهل بالله وتنير الطريق أمام السالكين والحيارى والتائهين.

ونحن سنحاول - بعون الله وتوفيقه - أن نقتبس بعض التواريخ والأحداث والأفعال التى تترجم فى مجموعها - حياة الشيخ - رحمه الله - أما حياته الحقيقية وما فيها من أنوار وقدرات ودوافع وأهداف، فهى بلا شك يستأثر بها العليم الخبير وهو الذى يمنح ويحاسب، يعطى ويجازى.

وقال الشيخ مترجما حياته فى كلمات مخلصات صادرات من أعماقه:

«لقد أخذت من الله من النعم أضعاف ما أعطيت الله. فإن ربى كريم».

﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ (الأعراف ٤٣).

نشـــأتـه:

ولد الشيخ عبد اللطيف مشتهرى فى ١٩١٥/٨/١ فى قرية كوم حلين منيا القمح - شرقية - وحفظ اسمه حتى جده العاشر القادم من الحجاز فيقول رحمه الله: اسمى: عبد اللطيف مشتهرى إبراهيم متولى مصطفى محمد على على الصالح حجازى.

وكان ترتيبه فى إخوته قبل الأخير لخمسة إخوة (٤ ذكور وأنثى واحدة) وهم على الترتيب: مصطفى - صالح - فهيمة - عبد اللطيف - محمد.

ومن عجائب الله فى تصاريف ملكه أن أحدا من إخوته لم يكمل تعليمه غيره .حيث آثروا العمل فى الزراعة إلا الشيخ عبد اللطيف فإنه بروحه الوثابة إلى العلم أكمل جميع مراحل التعليم الأزهرى والجامعى منه ثم تطلع إلى الدراسات العليا فحصل على شهادة العالمية .. ومع ذلك فلم يتكبر الشيخ لأنه تعلم فى محراب العلم أن هذا فضل من الله يؤتيه من يشاء، وهذا يلزمه التحلى بمكارم الأخلاق وآداب الإسلام الرفيعة:

﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ (البقرة ٢٦٩) .

عاش الشيخ فى طفولته بين أبوين لا يملكان من عرض الدنيا الزائل شيئا، ولكنهما غنيان بإيمانهما بربهما، وقلوبهما عامرة بتقوى الله وخشيته وحب العلم والعلماء. فتعلم منهما الرضا بقضاء الله وقدره، والقناعة وطيبة النفس، والصدق فى القول، والتفاعل مع مشاكل الآخرين فى تلقائية وعفوية نابعة من الإيمان بالله وتعاليم رسوله، ساعده على ذلك أن والده كان إماما وخطيبا لمسجد القرية، وكان له الدور الفعال فى أعمال الخير فى البلدة ولا سيما الصلح بين الأفراد والعائلات.

وبذلك ساعدت النشأة الصالحة والقدوة الطيبة، والقلوب الطاهرة التى تحيط بالشيخ على صقل نفسيته بالصفاء الذى لازمه حتى آخر يوم فى عمره، فكان يجمع بين صفاء الفطرة وصفاء الإيمان، فانجذبت إليه أرواح صافية تبحث عن كل معين لم تكدره كدورات الحياة لتروى منه ظمأها نحو الحقيقة العليا.

ولقد كان الشيخ حريصا كل الحرص على تلك الأرواح، يعطى كلا منها ما تستحقه من رعاية وتقدير، ويفيض عليها مما أفاض به مولاه عليه، فهى أمانة ومن أساسيات الإيمان ودعائمه أداء الأمانات إلى أهلها.

فإلى كوم حلين تتوجه قلوبنا بكل الحب، لأن على أرضها نشأ الشيخ مشتهرى وإليها رجع ليتوارى بين ثراها بعد رحلة جهاد صدق فيها ما عاهد الله عليه:

﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (طه ٥٥) .

تعليمـــــه :

يرجع الفضل فى مجريات الأسباب لتعلم الشيخ إلى جدته «السيدة الكيلانية» .. وقد ظل الشيخ طوال حياته يذكر لها هذا الفضل ويدعو لها فى عقب كل صلاة مع والديه ، لأن الله أجرى على يديها أعظم منة فى حياة الشيخ وهى «منة العلم» حيث ألحقته بكتاب القرية ليتعلم القرآن ويقرأه على روحها بعد موتها . ولا ننسى أيضا فضل والديه فى حبهما للعلم ، وروح الشيخ التواقة إلى معين العلم .

أما لماذا اختارت هذا الحفيد بالذات ؟

فلعل هذا يرجع إلى فراسة المؤمن ، أو تقارب الأرواح حيث لمست فيه أصالة معدنه ورقى روحه وتطلعه إلى الملأ الأعلى منذ نعومة أظفاره . ولذلك اختارت أن ترعاه ويلازمها بصفة مستمرة ، فكان الشيخ يبيت معها فى حجرتها بسطح المسكن ، وكلما فتح عينيه ليلا وجدها قائمة عابدة فى ملكوت الله ساجدة فكانت صحبة خير وبركة عليه لأنه عرف العبادة بأوسع معانيها وفى أروع صورها .

أُلحق الشيخ بكتاب القرية وهو فى عمر ٦ سنوات حيث حفظ «جزء عم» فى سنة واحدة قراءة وكتابة ، ولاحظ عليه «شيخ الكتاب» أنه نسمة مباركة حيث لم يكن يصخب مثل قرنائه أو يرمى أوراقه ومتاعه على الأرض مثلهم أو يتشاجر مثلما يتشاجرون على أتفه الأسباب . بل كان يسير دائما فى مؤخرتهم تغشاه السكينة ، يوحى لمن يراه بأنه يذكر الله . وأوصى «شيخ الكتاب» أهله أن يستوصوا به خيرا ، وهذا ما أثلج صدر جدته حيث شعرت بصدق فراستها ، ورغم أنها لم تكن ميسورة الحال إلا أنها تحملت مصاريف تعليمه حتى وافتها المنية وهو فى كلية أصول الدين . يدفعها إلى ذلك حب العلم والعلماء . وكانت أحلى أمنية تحققت للشيخ عندما طلب من جدته أن تعطيه نقودا ليشترى أجزاء «الأم» للشافعى لأنها مقررة عليه ، فلم تكتف بوعده بإعطاء المبلغ اللازم بل وعدته بزيارة ضريح الإمام الشافعى نفسه ، فكانت فرحته لا تقدر ، لأنه سيزور عالما رسخ حبه فى قلبه ، لأنه عرفه فى أشرف الميادين وأقدسها ، ألا وهو ميدان العلم . وقد جبل على الوفاء فكان يوحى دائما بزيارة العلماء والدعاء لهم .

تلك كانت نظرة إجمالية على الظروف التى أحاطت بتعليمه أما تفصيل تلك الرحلة فى طلب العلم فهى :

* ألحقه أهله بمدرسة أولية فى قرية سنهود المجاورة لقريته، حيث قضى فيها أربع سنوات حفظ فيها القرآن كله، كل سنة يحفظ ربع القرآن أى سبعة أجزاء ونصف. وبذلك أنهى المرحلة الأولية سنة ١٩٢٦ .

* ثم ذهب إلى المعهد الدينى الأزهرى فى الزقازيق حيث أمضى به تسع سنوات (أربع ابتدائى وخمس ثانوى) وكان دائما ولله الحمد والمنة موضع احترام المدرسين وثقتهم لتفوقه ودماثه أخلاقه وتخرج سنة ١٩٣٦ .

وكان وجوده فى المعهد الدينى بالزقازيق سببا فى التعرف على الجمعية الشرعية وأئمتها حيث كان يدرس له الشيخ حسين القلعى زميل الشيخ أمين خطاب - رحمهم الله جميعا - ونظرا لثقتهم فيه فقد رشحوه ليخطب فى مساجد الجمعية الشرعية فى محافظة الشرقية. وكانت أول خطبة له عن:

«إثبات وجود الله بالأدلة العقلية والنقلية» .

* التحق بكلية أصول الدين فى شبرا (شعبة التفسير والحديث) لمدة أربعة أعوام تخرج منها سنة ١٩٤٠ حيث كان ترتيبه الأول.

* ثم التحق بقسم الدعوة والإرشاد ملحقا بنفس الكلية وتخرج عام ١٩٤٤م وكان ترتيبه الأول على مستوى الجمهورية. ويكون بذلك قد نال شهادة العالمية فى إجازة الدعوة والإرشاد لينطلق فى الآفاق داعيا إلى الله على بصيرة وعلم يدحض بهما دعاوى الجهل والضلال.

تدرجه الوظيفى:

إن التكلم عن التدرج الوظيفى لحياة الشيخ مشتهرى قد يبدو جافا مقصرا لا يوفى الشيخ حقه، فهو لم يكن موظفا عاديا يرتقى درجات مهنته مثل أى شخص، بل كان مجاهدا حقا، وهب حياته كلها للعمل للدعوة الإسلامية التى بدأها وهو فى الحادية عشرة من عمره حيث خطب أول خطبة عام ١٩٢٦م فى مسجد «عبد العزيز رضوان الكبير» بالزقازيق ويقول عن نفسه: «إن روحى المعنوية التى كانت تحب الدعوة منذ تعرفت على الأئمة ولازمتهم كانت تعشق الدعوة ويهون فى سبيلها كل شىء» ولا شك أن تلك الكلمات المختصرة توضح بجلاء السر وراء هذا الجهد الجبار الذى بذله الشيخ خلال سنى حياته فى الدعوة إلى الله حيث كان

يلقى درسا بعد الظهر ودرسا بعد العصر، ودرسا بعد المغرب، هذا علاوة على الأسئلة التى كانت ترد إليه من جميع الطبقات والفئات والملل والأهواء، فيرد عليها بسعة صدر ورحابة أفق وعمق إيمان وصدق يقين.

فالوظيفة بالنسبة له كانت حبا ملك عليه كل وجدانه وكيانه، وأمده بطاقات لا تنضب، لأن هذا الحب يمثل أرقى أنواع الحب، إنه الحب الإلهى الذى ملأ قلبه وعمره بنور الله، فكانت كلماته تخرج فى طلاقة وانسياب مع صدق فى الأداء، وقوة فى التأثير، لأنها تخرج من قلب يحب الله ورسوله ويقدس الكتاب والسنة، ولهذا كان يصب المعانى فى قلوب سامعيه صبا، فكل كلام يخرج وعليه كسوة الأنوار من القلب الذى خرج منه، كما قال ابن عطاء الله رضى الله عنه: «فأنوار الحكماء تسبق أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير».

ويقول الشيخ مشتهرى فى هذا المقام: «إن الدعوة لن تصلح إلا على يد عالم عامل مخلص يكون مطلعا فى شئون الدعوة، حافظا للسانه، عارفا بزمانه، يطبق العلم على العمل أى يستوى ظاهره مع باطنه وسره مع علانيته، ويكون منفعلا بالكامل مع شئون الدعوة، وليس انفعالا مؤقتا، إذا تكلم عن الجنة فكأنها أمامه وإذا تكلم عن النار ارتعد منها. ويكون منفعلا كذلك بأسماء الله الحسنى وسنة النبى - صلى الله عليه وسلم - ومكارم أخلاقه فالكلام إذا خرج من القلب ذهب إلى القلب وإذا خرج من اللسان بلغ الآذان.

وقد كنت بحمد الله وفضله منفعلا انفعالا شديدا فى كل درس ألقيه حتى لو شق عن صدرى أو عروق بدنى لو جدوا بها الدماء حارة».

وننقل هنا كلمات للأستاذ «أحمد محمد خطاب»(*) تبين بعض سمات الشيخ مشتهرى وهو يمارس أجل وأعظم مهنة فى الوجود ألا وهى «الدعوة إلى الله».. يقول حفيد الإمام الشيخ محمود خطاب السبكى: إن كل من لقى الإمام مشتهرى أو تحدث معه، أو استمع إليه أو قرأ له، فإنه يحكم من أول وهلة بأنه بحر فى العلم، وقمة فى الخلق، وإمام فى التواضع، ونموذج فى القيادة، بل هو أكثر من ذلك فى نواح أخرى.

(*) من كتاب: تاريخ وجهاد أئمة الجمعية الشرعية (صادر عن الجمعية الشرعية - فرع المطرية)، ص ١٠٤-١٠٦.

إن الشيخ يتمتع بشخصية جذابة تجعله يشد السامعين إليه، وقد وهبه الله من الذكاء واللباقة ما جعله يعرف كيف يملك على الناس مشاعرهم، ويستحوذ على حواسهم. إنه عالم محاضر وليس كل عالم محاضرا فأسلوبه ممتع. وكلامه منطقى مقنع، وكلماته العربية سهلة ومفهومة حقا.. إنه عالم عميق، وإنسان جذاب ورقيق. وأذكر أنه لكثرة ما كان يبذل من جهد وعناء فى سبيل الدعوة تمكنت منه العلل والأمراض:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

فلزم المستشفى أسابيع، ونصح له الأطباء أن يلتزم الراحة كل الراحة. ولكنه على رغم ذلك كان ولا يزال يحرص أشد الحرص على أن يلقى درس السبت بالجلاء، وخطبة الجمعة بالخيامية. فقلت له: رفقاً بنفسك يا شيخنا، فالراحة يعقبها الشفاء. فقال: إنى أعتبر نفسى سجينا وأنا بالمستشفى، وإننى لأجد راحتى فى إلقاء الدروس، فهى روح وريحان، وأجد فى تلك الدروس راحة وشفاء، إذ لا صبر لى على أن أنقطع عمن يحبوننى ويحرصون على الحضور ليستمعوا إلى.. إننى لأجد نفسى صحيحا معافى وأنا مع الناس فى بيت من بيوت الله.

وهذه لعمرى سمات الصالحين. وإذا أردنا أن نلخص الإمام مشتهرى فى كلمات قصار نقول: إنه ناصر السنة، وقاهر البدعة، ومفسر لكتاب الله، وناشر سنة رسول الله.. إنه القارىء والدارس، والمفكر المتحرر، والعالم الواعظ، ترك أثرا عميقا فى الشريعة المحمدية، والفكر المنطقى السليم». (انتهى كلامه).

تلك كانت الكيفية التى أدى بها الشيخ وظيفته، ولا ننسى هنا أن نذكر بكل الخير تلك المرأة الصامدة التى كانت وراء هذا الرجل العظيم إنها السيدة زوجته التى رافقته خلال حياته الوظيفية كلها (لمدة أربعين عاما) وتحملت مشاق الدعوة وسفر الشيخ الدائم داخل مصر وخارجها، فكانت الجبهة الداخلية الأمينة التى تحمى أسرة الشيخ وترعاها وتشد أزره وتسانده حتى انتقلت إلى الرفيق الأعلى فى فجر الجمعة ١٣ مارس سنة ١٩٨١م أى بعد خروج الشيخ إلى المعاش بفترة وجيزة.

وندعو الله أن تكون هى والشيخ وصالح المؤمنين ممن يتحقق فيهم قول الله عزّ وجلّ: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل ٥٦).

أما عن تدرجه الوظيفى منذ تخرج من الأزهر حتى وصل وكيلا عاما لإدارة الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف:

فيقول الشيخ عن ذلك فى برنامج (سفراء الإسلام)(*):

* تخرجت من قسم الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين عام ١٩٤٤ وكنت بفضل الله وبحمده الأول على القطر كله. ودعيت إلى سراى الملك فاروق بعابدين لإقامة حفل لأوائل الخريجين، حيث صافحته بكل اعتزاز بالنفس، ولم أقبل الانحناءة المعهودة، وكانت الصورة حديث الصحف وقتها.

* عينت إماما وخطيبا ومدرسا بوزارة الأوقاف فى بلدة «مناش الخطيب» تبع الفيوم (بينها وبين الفيوم عشرة كيلو مترات). وكانت تلك البلدة مشهورة بحوادث القتل وفيها ثارات بين العائلات كلها حتى بلغ عدد القتلى ٦٥ قتيلا. ولم يستطع رجال الأمن إيقاف نزيف الدم هذا، ففرضوا حظر التجول ابتداء من العصر. وقد وفقنى الله تعالى لتأليف القلوب بين هؤلاء المتنازعين بحول الله وقوته، حتى أن الحوادث منعت تماما. ولم يحدث شيء يعكر الصفو بعدما ألفت «جمعية الاتحاد» وعينت فيها أبناء البلد البارزين المتطلعين إلى الخير. وبعدما كان الليل مخيفا رهيبا فى القرية يحمل معه الموت، أصبح الناس يعملون الليل والنهار فى مجال الدعوة إلى الله، وأصبحت البلد بالنسبة لبقية البلاد مثابة وأمنا، وتوافدوا علينا يدعوننى لأخطب فى مساجدهم، ولم أكن أرفض دعوة أى منهم، لأن هذا واجبى، وأمانة فى عنقى أسأل عنها يوم الدين.

* لما جاءت مسابقة الوعظ والإرشاد تقدمت إليها عام ١٩٤٧ ونجحت فيها نجاحا باهرا ولله الحمد والمنة. حيث كان ترتيبى فيها الأول.

* ورغم انتقالى إلى إدارة الوعظ والإرشاد بالأزهر إلا أننى عينت بمركز أبشواى فيوم لاعتبارات الأمن فيها أيضا. ثم نقلت إلى مدينة الفيوم نفسها واعظاً. وسعدت فيها أيضا لأن القلوب كانت مؤمنة وتستقى تعاليم دينها بيسر وتشوق. فاجتمعت على محبة الله وطاعته.

(*) برنامج إذاعى يعده ويقدمه الأستاذ إبراهيم خلف. وأذيع فى إذاعة القرآن الكريم قبل وفاة الشيخ بحوالى سنتين.



«الشيخ مشتهرى وهو يصافح الملك فاروق رافضاً الانحناء له أو تقبيل يده مما أثار ضجة فى الصحف وقتها»

* فطن الأئمة المسئولون فى الأزهر إلى نشاطى فنقلونى إلى المراقبة العامة لإدارة الوعظ والإرشاد بالأزهر لأكون مراقبا عاما دون المرور على وظيفة التفتيش.

* قضيت فى تلك الوظيفة مدة بسيطة ثم عينت وكيلا عاما للدعوة الإسلامية.. وما من قرية فى مصر سواء تبع محافظة القاهرة أو تبع جميع المحافظات إلا ذهبت إليها واعظا مرشدا ولى فيها معارف كثيرون وأحباء مخلصون.

* فى آخر أيامى الوظيفية - قبل الإحالة على المعاش - عيننى الأزهر مديرا للوعظ فى منطقة الاسكندرية والغربية والبحيرة. ووفقنى الله عزّ وجلّ أن أزور هذه البلاد وأن أتعاون مع فروع الجمعية الشرعية بها، والمرور على الوعاظ وتوجيههم لما فيه الخير.

ذلك كان مختصر للتدرج الوظيفى فى حياة الشيخ مشتهرى. ولكن يشبه كمن اغترف غرفة من المحيط وظن أنه حصل على شىء. فالشيخ رحمه الله لم يكن موظفا عاديا، بل موظفا مجاهدا داعيا إلى الله بكل ما يملك من فكر وروح ووجدان ووقت وجهد. ولم يكن مجهوده مقتصرا على وظيفته بل انضم منذ كان طالبا فى المعهد الدينى بالزقازيق إلى الجمعية الشرعية واعظا ومرشدا فى مساجدها فكان بحق مجاهدا لا يهدأ، وعطاء لا ينفد، وعزيمة لا تكل ولا تلين فى ميدان من أشرف الميادين وأقدسها.

وسوف نفرد فصلا إن شاء الله يعرض حصاد جهاد الشيخ من أعمال وتقدير لتلك الأعمال وإقبال الناس عليها والإحاطة بالشيخ طالبين تشريفه لهم بالحضور معهم فى كل المحافل العلمية يتوج ذلك التقدير الوسام الذى تسلمه من الرئيس حسنى مبارك عام ١٩٨٩ ضمن عشرة من العلماء الذين كان لهم دور بارز فى مجال الدعوة الإسلامية.

ماذا قال عن مهنته وهموم الدعوة والدعاة؟

قال الشيخ - رحمه الله - فى حديث مع ابن أخ كمال الملاخ(*):

باعتبارى أحد علماء الأزهر المتخصصين فى الدعوة والإرشاد وأعمل الآن كمراقب عام ومدير للمكتب الفنى للوعظ بالأزهر فإن مهنتى علمتنى:

(*) سجلت فى منزل الشيخ بعد عصر الاثنين ١٩٧٣/٩/٢٤.

أولا : أهمية الدعوة إلى الله، باعتبارها دلالة للناس على طريق الخير والحق، وتواصى بالبر والعدل ونصر للقيم الروحية التى بمراعاتها تسعد الأمم.

ثانيا : لابد فى الدعوة إلى الله من أداء ركنيها العظيمين وهما: (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) باعتبارهما جناحى كل إصلاح فردى أو جماعى، ولا بد من وضوح الرؤية أمام الداعى وأمام المدعوين فى هذا الأمر. ولا تنفع الدعوة المعممة ما لم تصب الداء الماثل فى الأمة فعلى الداعى أن يشخص الداء ويصف الدواء، وإلا كان كطبيب يلقى على المرضى محاضرة عامة فى آثار الصحة، وكان العلاج دون أن يضع أيديهم على ما بهم من علل، ودون أن يصف لهم دواءهم فستبقى أمراضهم فتاكة بأبدانهم.

ثالثا : علمتنى مهنتى فائدة مصارحة الجماهير بالعلل التى تنخر فى عظامهم دون مجاملة أو تملق أو جبن. فما أضاع الجماهير إلا مجاملة الداعين كطبيب خاف على شعور مريضه أن يحس بألم فتركه حتى قضى عليه.

رابعا : تعلمت من مهنتى ثمرة اللين فى الأمر والنهى دون جرح لكرامة أو إيذاء لشعور، وكم صنعت الكلمة اللينة الهادفة فى قلب المدعو (من كان آمرا بالمعروف.... قولا لينا).

خامسا : تعلمت عمليا صدق الآية ﴿ولتكن منكم أمة ... والعصر﴾ وأحاديث النبى - صلى الله عليه وسلم -: «الدين النصيحة - تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح».

والمهم أن يكون ذلك مؤسسا على النقد الإيجابى البناء والذى يراد به حفظ أخلاقيات الأمة وصون إيمانها بربها وقيمها ومواريثها وتقاليدها الأصيلة. ومثل الدعاة فى ذلك كمثل الحراس على خزائن القبول بل أشد، وكمثل الجيوش تدرأ العدو المتربص على الحدود، وكمثل الشرطة تعمل لتحقيق أمن البلد.

والدعاة هم الحراس على الإيمان، وهو أساس الأمن والأمان، وأكبر عوامل تحقيق السكينة والاستقرار للمواطنين ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾. (الأنعام ٨٢).

سادسا : علمتنى مهنتى أن كلمة الحق إذا أريد بها وجه الله لا طلبا للشهرة ولا المحمدة،

ولم يقصد بها قائلها لفت الأنظار وتسليط الأضواء، لا بد أن تؤتى ثمرتها كاملة. وقد ضرب الله المثل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء.

وقد رأينا أثر ذلك واضحا وملموسا فى كل مجال خضناه داعين إلى الله فى داخل البلاد وخارجها. والناس والجماهير سريعو التأثر بكلمة الحق لأن الحق هو فطرة الله التى فطر الناس عليها. فمتى كشف الداعى الغبار الذى لحق الحق من الشهوات الآثمة والتقليد الأعمى اتجهت الروح سريعا إلى بارئها تلتمس عنده النجاة.

والجماهير أشبه بالغريق يلتمس الانقاذ لا ينقصها سوى الموجه المخلص صاحب القدوة الذى يقول ويعمل على نور وبصيرة لا بالدجل ولا بالشعوذة، ولا بد أن يكون متمكنا من مادته التى يدعو الناس بها. ولا بد من وجود الرغبة الشديدة فى نفع الناس. ولا بد أن يكون ملما إلماما كاملا بأهداف القرآن، حافظا لنصوصه، عارفا أحكام السنة وبراهينها، دارسا للتاريخ الإسلامى والفقة المقارن، وأن يحيط بمجريات الأحداث فى بلده وفى العالم حتى يتحقق فى دعوته قول الله تعالى: ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى...﴾ (يوسف ١٠٨).

وقد رأينا انصراف الجماهير عن كثير من الدعاة بسبب القصور فى هذه القواعد، فقد تولى الدعوة من لم يؤمن بها، لأنهم دخلوا قسم الدعوة على غير رغبة منهم. وهم بجانب كراهيتهم لهذا القسم ليس عندهم إمكانيات لشراء المراجع لكثرة الإطلاع والإجابة على أسئلة الناس، فإذا وجد الداعية انصراف الناس عنه لضعف إمكانياته بجانب كراهيته للدعوة فهذا يؤدى به إلى تكاسل أكبر.

ونلخص ذلك كله فى: صلاح الداعى وحسن سيرته، وخشيته من الله فى نفسه، وكثرة اطلاعه لكثرة أسئلة الناس، ومحاولة التخلق بما يقول حتى يكون قدوة ويؤثر وعظه فى القلوب المدعوة والله الهادى إلى سواء السبيل.

هذه كانت الإجابة على السؤال الأول حول ما تعلمه الشيخ مشتهرى - رحمه الله - من مهنته، وقد أجاب عليه بشىء من التفصيل. ونورد هنا بقية الإجابات تباعا ردا على ما وجه إليه من أسئلة:

١ ـ بداية العمل فى الدعوة:

بداية العمل فى حقل الدعوة كانت فى الثلاثينات، حيث كنت التحقت بالأزهر، وتعرفت فى المعهد الدينى بالزقازيق إلى الشيخ حسين القلعى، وهو زميل فضيلة الشيخ أمين خطاب رئيس عام الجمعيات الشرعية. وكان الشيخ حسين يدرس لى النحو، فلما آنس فىَّ حب الدين وأهله أحضر لى كتاب «الإبداع فى مضار الابتداع» وكان هذا أول معرفة لى بالدين المصفى والسنة العملية النقية. وكنت أباشر خطبة الجمعة فى مسجد عبد العزيز رضوان الكبير بالزقازيق. كما كان لى درس أسبوعى منتظم فى مسجد الأسرة بكوم حلين بلدى أسبوعيا، وخطبة الجمعة إذا لم أخطب بالزقازيق.

وقد ألزمنى العمل فى حقل الدعوة الاستقامة على طريق الله وعلى طريق الكتاب والسنة، وأداء الجماعة فى المسجد دائما إماما بالناس.

كما التزمت بكثرة الاطلاع على الكتب الدينية، حتى أننى كنت أتردد على دار الكتب بالزقازيق لنقل كتب كاملة لا تزال عندى للآن بخط يدى. والله وحده يعلم ما لقيت من شظف العيش لتوفير ثمن الكتب التى كنت أحرص على شرائها. ورحم الله جدتى السيدة الكيلانية التى كانت تمدنى بالمال. وقد أطال الله عمرها من يوم أن أدخلتنى الكتاب إلى أن دخلت كلية أصول الدين بالخازندار فى القاهرة رجاء أن أدعو لها بعد موتها. وقد حقق الله أمنيتها وها أنا أدعو لها ليلا ونهارا بالرحمة، وأن يجزيها الله عنى خير الجزاء «الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله».

٢ ـ متاعب الداعى:

هذا أمر تركناه لله واحتسبناه عند الله، وقد حقت سنة الله وتغير كل شىء، فقد عشنا فترة معهد الزقازيق كلها تسع سنوات شبه غرباء فى بلدنا، فكم أتلفت لنا مزروعات للعمل بالسنة، ولو كان ذلك من غرباء عنا لهان الأمر. ولكنه من الأقربين وذوى الرحم القريب، فكنت أنا والوالد والأخوة والسيدة الوالدة والجدة نستعين بالله ونصبر لحكمه سبحانه، ونقول: عسى الله أن يجعل بعد العسر يسراً.. وبعد ما يقرب من عشر سنوات فى حمل الهم، فرجها الله تعالى بأن مات كبار المعاندين وهدى صغارهم، ولأجل أن يعلى الله كلمته أقام لدينا بالبلد مؤسسة إسلامية تكلفت نحو ٢٠٠ ألف (مائتى ألف من الجنيهات) دفعت منها أنا وحدى نحو ٥٠ ألف

(خمسين ألف جنيه) والباقى من بعض أهل الخير من البلاد العربية. واشتملت هذه المؤسسة على مسجد كبير ومستشفى ومعهد ابتدائى وإعدادى وثانوى.

وصار من كان أبوه يحارب فى الماضى أخشع الناس، يقيم الشعائر وانخرطوا مع الشباب الجاد المستقيم، بل دخلوا فى الجمعية الشرعية، وصاروا من خير دعاتها وذلك نتيجة الصبر والعمل بقول تعالى: ﴿يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾. (لقمان ١٧).

فالصبر جاء بعد الأمر بالمعروف لأنه لا بد أن تكون هناك ابتلاءات نتيجة العقول المتحجرة.

٣ - مناخ الدعوة قديما وحديثا:

يختلف المناخ فعلا، فقد انتقلنا من عهد كانوا يقولون فيه (هذا ما وجدنا عليه آباءنا) فكان كل جديد - ولو إلى خير - هو شر عندهم. ومن هنا جاءت المتاعب. أما الآن فإن كثرة المتعلمين وانتشار العمل بالسنة، وكثرة المتحجبات والشباب الطاهر العامل بدينه، كل هذا ساعد على تغير المناخ، فصار كثير من الشباب والفتيات والسيدات والرجال، يميلون للناحية الدينية، بل ويكونون لهم الجمعيات والمنظمات الناهضة التى تعمل فى حقل المجتمع كل بر وإصلاح، وأقول للجميع اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله حتى تكون عاقبتكم خيرا إن شاء الله كما وعد الله ورسوله.

٤ - مستقبل الدعوة:

سئم الناس الشذوذ عن سبيل الله، وبدأوا يقتربون من منار الدين تعلما وتعليما ودعوة، فأنا أتوقع قرب مجىء وعد الله بأن (يظهره على الدين كله) (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) وإن شاء ربى سيدخل هذا الإسلام كل بيت، وسيطأ موضع الخف والحافر، يعز عزيزا ويذل ذليلا، كما وعد الله ورسوله (وصدق الله ورسوله وما زادنا إلا إيمانا وستليما).

٥ - مقومات أسباب نجاح الداعى الإسلامى(*):

لا بد له من استكمال ما يلى:

(*) جمعنا هنا ماقاله الشيخ فى أحاديث أخرى سواء صحفية أو إذاعية، نظراً لأهمية ذلك السؤال الذى كان يوجه إليه دائماً.

١ـ أداء حقوق الله دون تفريط أو إهمال حتى يستطيع الدعوة عن وعى وإدراك وبصيرة نابعة من تمسكه بدينه وخلقه القويم.

٢ ـ عدم ترك الجماعة فى مسجد الحى حتى يشجع الناس على أداء الفرائض وحتى يجيبهم عما يسألون عنه.

٣ ـ التحلى بمكارم الأخلاق ليكون قدوة فى عمل الخير ولتكون أفعاله منطبقة على أقواله فيحترمه الناس ويطيعونه لبعده عن الرياء.

٤ ـ التعلم الواسع لما يدعو إليه حتى لا يخطىء فى الأمر والنهى وبذلك يكون محل سخرية من الناس.

٥ ـ الخشوع لله وخشيته والإنابة إليه حتى تثمر كلماته فى الناس.

٦ ـ اتصاله الدائم بكتاب الله تلاوة وتدبرا وتحبيب الناس فيه مع الأخذ من السنة بحظ عظيم.

٧ ـ لا بد أن يكون محيطا بمجريات الأمور فى وطنه وما يجد من أحداث فيه وفى العالم الخارجى ويكون عنده جرأة فى الحق وثقة بالنفس حتى يخاطب الناس بما يحبون فلا ينصرفون عنه.

٨ ـ لا بد أن يكون الداعية نشيطا وواعيا ومحبا لمجاله وعمله حتى يحقق إقبال الناس عليه والاستفادة منه.

٩ ـ الاطلاع على أمهات الكتب فيما يدعو إليه ليكون على بصيرة تامة فيختار من العلم أصدقه وأصحه ولا يلجأ إلى الخرافات التى يلجأ الناس إليها فى بعض الكتب الضعيفة، وبذلك ينجو من همزات الشياطين.

١٠ ـ أن يكون كريما يبتعد عن البخل ويكون تعامله مع الناس فى الخير وبالصدق.

٦ ـ هل يمكن أن تكون الدعوة وظيفة ؟

رأيى أن الموظف مقيد بقيود الوظيفة، حريص عليها، متشوق إلى النيل منها كغنيمة. وقد يؤدى العمل بها أداء شكليا لا روح فيه، وقد ينقطع عن زيارة الأماكن التى لا يرى فيها مكاسب.

فما دامت الوظيفة سليمة، فقل على الدعوة العفاء. ومن هنا لاحظنا الفرق بين موظفى الأوقاف والأزهر، والداعين فى الجمعيات، فهذا شىء واضح ومسلم به.

٧ - شخصيات من السلف تأثرت بهم:

كل رجال السلف أنعم بهم وأكرم. وأنا معجب بعبد الله بن عمر بعد الخليفتين وابن تيمية وابن قيم الجوزية ومحمد عبد الوهاب والإمام محمود خطاب وكثير وكثير ممن لا تتسع لهم هذه الوريقات.

٨ - كيفية الوصول للإمامة وهل كنت أتوقع ذلك؟

حين موت الإمام يوسف خطاب كان هناك علماء فى آل خطاب وعلماء فى آل حلوة، وهما الأسرتان اللتان حملتا عبء الدعوة. وما كنت أحلم بالإمامة، ولكنى أسمع من الإمامين: الشيخ أمين خطاب ونجله يوسف فى الدروس يقولان للناس (إن لعبد اللطيف ديناً فى أعناقنا لم يجىء أوان سداده) وقد حملت على أن أوقع على وصية الشيخ يوسف خطاب وكان فيها: حضور دفنه وأن يغلق قبره بالمسلح قال: (حتى يستر على ربى) كما أوصانى بالمكتبة وأن أصلى عليه إذا مات. وكنت متأثرا جدا بهذه الوصية، حتى أننى بكيت ووافقت عليها مرغما. وبعد وفاته كلمتنى زوجته الفاضلة عن وفاته وقالت: يا شيخ عبد اللطيف لا تتأخر فأنت الذى ستصلى عليه، وقرأت الوصية على الناس ولم يعترض أحد. وتم تشييع الجنازة فى مشهد مهيب. ثم اجتمع كبار علماء الجمعية وعملوا انتخابا. وكان منهم الشيخان أبو القاسم إبراهيم وأحمد عاشور فتم انتخابى بالإجماع وهنأنى الناس وأنا فى ذهول إذ كيف أتولى عملا تولاه قبلى أسرة أخرى. ولكن الملك لله يورثه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

تقييم الشيخ لدور إدارة الوعظ بالأزهر الشريف:

يهمنا هنا فى إطار التكلم عن الشيخ مشتهرى كعالم من علماء الأزهر البارزين أن نعرض تقييمه لدور إدارة الوعظ بالأزهر بصفته تدرج إلى أعلى المناصب فيها. ونعرض هذا التقييم من خلال رده على سؤال لصحفى سعودى هو الأستاذ خالد على الرجيعى، وذلك أثناء تواجد الشيخ فى السعودية كأستاذ زائر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض(*).

(*) حديث فى جريدة «المسلمين» أثناء تواجد الشيخ بالسعودية فى الفترة من ١٩٧٧/٤/٣م إلى ١٩٧٧/٥/١٧م كأستاذ زائر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

كان نص السؤال كما يلى:

* مخلصين.. هل تعتقدون أن إدارة الوعظ بالأزهر تؤدى رسالتها؟

- وجاءت إجابة الشيخ صادقة مخلصة ذكية مقنعة كعادته دائما فقال:

* أيها السائل الكريم: إنك تشترط على فى سؤالك إخلاص فى الجواب كأنك تتوجس منى انحيازا لبنى معهدى الذى تخرجت فيه وأعمل الآن فى جملة ما أعمل فى حقله. ولكنى أطمئنك أيها الأخ، فإن إجابتى دائما كشهادة منى، والله تعالى يقول:

﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾. (الزخرف ١٩)

والقارىء يستطيع أن يكتشف الكذب واللف والدوران من خلال السطور، وأقبح شيء على العلماء، وخاصة من جعلهم الناس مكان الصدارة - أن يكذبوهم ويغشوهم. فاسمع إجابتى من واقع تجربتى التى لا أزال أعيش فى جوها وبرها وبحرها:

إدارة الوعظ بالأزهر تشرف على ما يزيد عن ألف واعظ فى الهيئات المدنية والقوات المسلحة، ومنهم القائمون بالإصلاح بين المتخاصمين، والمرشدون بالسجون والمستشفيات وإدارات الشرطة وإصلاحية الأحداث والجامعات والمؤسسات العمالية والمدارس.. وكثير من هؤلاء الوعاظ يلقى فى الصباح محاضرة للسيدات، وبعد الظهر أخرى لفرق الأمن، وبعد المغرب ثالثة لرواد المساجد. فمن جهة أداء العمل كوعظ وإرشاد يلقى على الجماهير: فهذا شيء قائم وملموس. أما من حيث الثمرة وهى المطلوبة، فضائعة ١٠٠ ٪ وتسألنى: كيف يؤدى العمل كاملا وتضيع الثمرة؟ والجواب: أما تسمع عن الفلاح بمصر يتعب فى زرع القطن ثم تأتى الدودة أحيانا فتلتهم محصوله؟ أما تسمع عن أسراب الجراد تلتهم النبات؟ أما تسمع عن سوس الخشب وكيف تفسد الملابس والورق والطعام؟

إذا سلمت معى بهذا. فاعلم أن الهدامين أضعاف البنائين، وأن الواعظ الذى يبنى أخلاق الشباب فى شهر، من الممكن أن يهدم بناءه هذا فيلم واحد من الأفلام الفاجرة أو تمثيلية أو مسرحية أو أغنية داعرة، أو مقال ملحد أو مشهد مثير.. إن بناء النفوس تكليف، وهو صعب على النفس. وإثارتها بالإغراء ومطاوعة الغرائز وشهوات الجنس، سريع هواها، وهو سريع الهضم والتمثيل.

فإذا أردنا للوعظ فى الأزهر وغيره أن يؤتى ثمرته، فلتتعاون الأجهزة كلها فى نسق واحد وبناء واحد. أما وعظ يبنى وأجهزة إعلام تدمر، فكيف نصدق أن فضيلة تحيا فى هذا الجو المتناقض، وما أصدق الشاعر العربى فى قوله:

متـى يبلـغ البنيـان يومـا تمامـه إذا كنـت تبنيـه وغيـرك يهـدم

ومن الغريب أن بعض الحكومات تقاوم دودة القطن وأسراب الجراد وطاعون البقر بكل ما تملك حرصا على الثروة النباتية والحيوانية. أما الشباب الذى تفرض عليه أجهزة الإعلام الانحراف والفساد، فلا يجد من يحميه ضد هذا التدمير المتعمد، كأن الثروة البشرية - وهى عماد الدين والدنيا - هانت حتى صارت لدى هؤلاء أرخص من البقر والنبات.

هل تعلم أن هذا الواعظ الذى يحترق من أجل أن يبلغ رسالة دينية يتقاضى بدل انتقال فى الشهر كله نحو ثلاثة جنيهات أى ١٥ ريالا سعوديا لا تكفى لمسح نعل لامرأة فاجرة راقصة وأحيانا يمشى فى القرى نحو كيلو متر على رجليه لعدم المواصلات. ولو تسلم مع زملائه فى المحافظة سيارة كأية هيئة أخرى لهان الأمر نوعا. ولا أريد أن أدخل فى تفاصيل الأزمات المالية والنفسية التى تعوق الواعظ عن أداء رسالته ولا يجد لها حلا.

وكنت أتمنى أن يوجه السؤال إلى على هذا النحو:

- هل أعطيت إدارة الوعظ بالأزهر من الإمكانيات ما تستطيع به أداء رسالتها. وهل جميع أجهزة الدولة متعاونة معها فى مهمتها؟

فهذا هو سؤال النصفة، وغيره هو سؤال الهروب والمجاملة، والضرب على رأس من لا يجد له سوى ربه نصيرا، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا نقرا ولا قطميرا. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

هل أثر ارتباط الشيخ بالجمعية الشرعية على وظيفته بالأزهر الشريف؟

هذا السؤال وجه للشيخ مشتهرى - رحمه الله - بطريقة أو بأخرى سواء فى الأحاديث الصحفية أو الإذاعية. وطبعا كان يجيب الشيخ بأن أيًا منهما لم يؤثر على الآخر مكتفيا بتلك الإجابة تواضعا منه وبعدا عن الرياء.

ولعلّ الحقيقة التى لم يصرح بها الشيخ أثناء حياته، هى أن الجمعية الشرعية هى اختيار الله له لاستفراغ الجهد والطاقات الإيمانية التى أودعها المولى جلّ وعلا فى الشيخ عبد اللطيف مشتهرى. فالله سبحانه وتعالى قد اصطفاه بعطاء نورانى كان لا بد أن يسيح فى الأرض لينشر نور الله، وإلا خرّ صعقا من وطأة تلك الشحنات النورانية التى لا يتحملها جسده البشرى الذى خلق من طين، ولكن الله أراد له أن يحلق بروحه فى أعلى عليين. فكان ارتباط الشيخ بالجمعية الشرعية منذ عام ١٩٢٦ أى وهو يبلغ من العمر حوالى أحد عشر عاما، وقبل تخرجه وحصوله عل العالمية عام ١٩٤٤ بحوالى ثمانية عشر عاماً، وظل ارتباطه بها حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٩٥ أى بعد خروجه من الحياة الوظيفية وإحالته إلى المعاش بحوالى خمسة عشر عاما.

وهذا الارتباط تمثل فى إلقاء الخطب والمواعظ وحضور المؤتمرات والتنقل داخل فروعها التى بلغت أكثر من أربعة آلاف فرع والتعرف على أحوال المسلمين فى كل مكان مهما بعد أو نأى، والإصلاح بين المتخاصمين، ومد يد العون إلى المحتاجين وتبصرة الجاهلين بأمور الدنيا والدين، وفتح معاهد لإعداد الدعاة الهادين إلى طريق الحق والخير على بصيرة من الله واتباعا لهدى رسوله الأمين.

ونظرا لأهمية الجمعية الشرعية فى حياة الشيخ، وأهمية إمامة الشيخ للجمعية الشرعية على مدى ما يقرب من عشرين عاما، فقد رأينا إفراد فصل خاص عن الشيخ مشتهرى والجمعية الشرعية، لنضيف بذلك لمحة مضيئة وعلامة بارزة فى حياة الشيخ تبلور جهاده فى طريق الدعوة إلى الله، وتجعله بحق من علماء عصره المعدودين، الذين سجلوا تاريخهم فى وجدان الأمة بحروف من نور.

الشيخ مشتهرى والجمعية الشرعية

نظرة عامة على الجمعية الشرعية : نشأتها وأنشطتها :

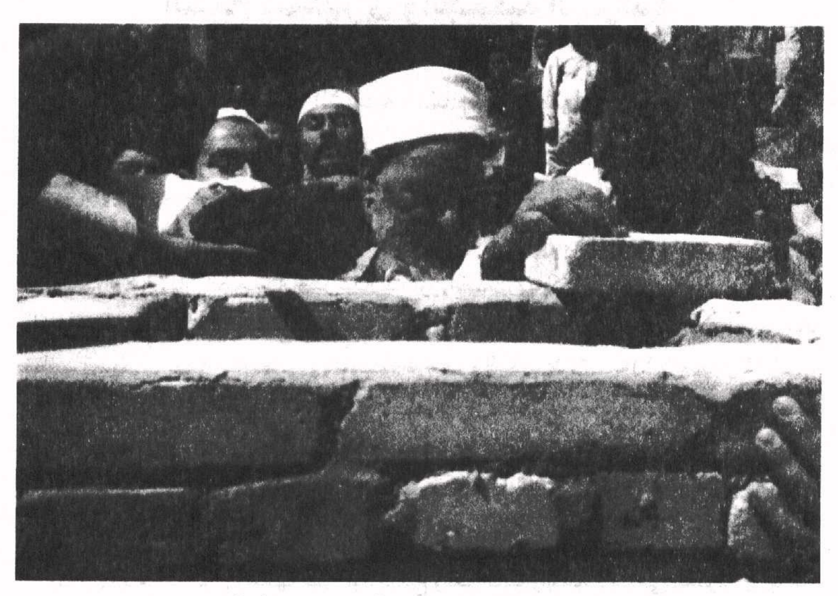
فى حديث صحفى مع الشيخ مشتهرى - رحمه الله - عن الجمعية الشرعية وتاريخها والجهود التى حققتها والمساجد التابعة لها عددا وعن إمكاناتها والأنشطة التى تزاولها هذه المساجد(*) :

أجاب الشيخ : بأن الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية ، قامت بالقاهرة وانتشرت بالأقاليم المصرية منذ ما يقرب من قرن على يد مؤسسها الإمام محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى وبالتحديد فى غرة المحرم ١٣٣١هـ - ١١ ديسمبر ١٩١٢م . وبلغت الآن أكثر من ألفى فرع ومليونى منتسب . وكل الفروع تعمل حسب أهداف الجمعية فى التزام السير على مبادىء الكتاب والسنة بعيدة عن التعصب المذهبى ، بل تتبع الراجح من الأدلة كما قرره علماء الفقة المقارن من منابع الدين الصافية وأصولها الأولى قبل أن يعكر صفوه تلك المصائب المختلفة .

وتعمل الجمعية بكل وسعها على نبذ البدع والخرافات والضلالات فى العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق والسلوك ، مستهدفة روح الإسلام الكامل الشامل لمصالح الناس فى معاشهم ومعادهم .

وشعارها التزام مذهب السلف فى كل ما تأخذ أو تدع (فكل خير فى اتباع من سلف . وكل شر من ابتداع من خلف) وهى تعلن سياستها تلك فى مؤلفات أئمتها محمود وأمين ويوسف خطاب ، وفى دروسها ومحاضراتها التى تزيد كل يوم عن الألفين فى مراكزها ومكاتبها وفروعها . وكل يوم تشهد عشرات الشباب يقبل على مساجدها ودروسها يلتمس السبيل السوى لدينه ودنياه . ولها مجلتها الشهرية «الاعتصام» التى لها وزنها فى كل البلاد الإسلامية وغيرها . ويتبع مساجدها مؤسسات أخرى اجتماعية واقتصادية وصحية وثقافية ودينية ، وكثيرا

(*) أجرى هذا الحديث الأستاذ خالد الرجيعى فى جريدة «المسلمون» أثناء تواجد الشيخ بالسعودية كأستاذ زائر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الفترة من ١٣/٤/١٩٧٧ إلى ١٧/٥/١٩٧٧م .



الشيخ مشتهرى وهو يضع حجر الأساس لبناء ملجأ للأيتام
ضمن مشروعات الجمعية الشرعية المتعددة فى أنحاء البلاد

ما تجد بجوار مساجدها معاهد دينية سلمتها الجمعية للأزهر لتكون درعا للإسلام ضد التيارات الوافدة، وبجوارها أيضا مشاغل تنتج أنواع الثياب بأيدى نشطة، والعيادات الطبية يشرف على العلاج فيها أطباء إخصائيون، وفصول لتقوية الطلاب، ودور حضانة وإيواء لليتامى، ومدارس بمراحلها الثلاث، وبعثتها كل عام إلى الأراضى المقدسة لأداء الحج يعد أفرادها بالمئات، يشرف عليهم موجه إدارى لتنظيم شئونهم وآخر دينى يعلمهم أحكام المناسك. وهم لا ينسون حق أبدانهم فى الرياضة البريئة غير المتبذلة ولا المحرجة وبالجملة فهم خير عنوان لدينهم فى مظهرهم ومخبرهم وفى توحيدهم وطاعتهم ومباشرتهم، لا يستهينون الصغير فضلا عن الكبير. مساجدهم من أطهر المساجد خشوعا وطمأنينة وسكينة، لا ترفع فيها الأصوات ولا تنتقص فيها الصلاة، ولا يسمح فيها ببدعة فى الأذان ولا فى صلاة الجماعة. وهم أبعد الناس عن ضلالات الأفراح والمآتم والموالد. يلتزمون حمل أهلهم على الصلاة وأحكام الإسلام تنفيذا لتوجيهات القرآن، ويوصون الجيران والأصحاب والرفقاء وكل من استطاعوا باحترام شعائر الدين. ولا يمنعهم ذلك عن المشاركة الإيجابية فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأى فرد أو جماعة مهما كانت سلطتها، لا يخشون فى الله لومة لائم. وكم تعرضوا للبلاء، ولكن عناية الله ترعاهم وتكون لهم العاقبة، ولا يمنعهم تمسكهم الدينى أن يعلنوا بشاعة منكرات الأعراض والتحلل وميوعة الشباب وتعطيل حدود الله، وتعويق تنفيذ شريعته الغراء. ويرابطون دائما بين الأمن والإيمان. فلا أمن ولا استقرار بدون إيمان: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾.

ويرجعون كل إجرام يحدث إلى عدم تنفيذ حدود الله الرادعة، ويعلنونها صرخة مدوية فى دروسهم وعلى منابرهم أنه: ﴿من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

ويلاحظ أن الجمعية أنشأت معهد إمامة لتخريج الدعاة لفروع الجمعية يقوم على التدريس فيه أساتذة ممتازون فى شتى فروع العلم، ويتخرج منه كل عام عدد لا بأس به، يدعو إلى الله على بصيرة وسداد.

كما يلاحظ أن من شدة حب الناس للجمعية، فقد نجح كثير من المرشحين لمجلس الشعب بمصر على مبادئها. وهم الآن أعضاء بالمجلس يضغطون على الحكومة لتطبيق أحكام الشريعة وإقامة حدودها ومعهم أغلبية ساحقة.

ـ وعن سؤال حول العقبات التى تقف فى طريق أداء رسالتها:

أجاب الشيخ ـ رحمه الله ـ:

أهم العقبات التى تعوق أداء رسالة الجمعية كاملة هى الإمكانيات المادية، فكل هذه الأنشطة والمساجد والمؤسسات التابعة لها والمؤلفات يجمع لها المال من المحبين المشتركين فى الجمعية وفروعها، والمعونة الحكومية السنوية لا تكاد تغطى تكاليف انشاء مسجد واحد من هذه الآلاف، ولولا غيرة الشباب واندفاع المواطنين بدافع الدفاع عن دينهم لتعطل نشاط الجمعية. ونحن نلقى معاناة ليست هينة فى محاولة الجمع بين اقبال الألوف علينا وضم المساجد لنا وعجزنا عن ارضاء الجميع لقلة الموارد. ونحن نقوم بعملية تدريب الدعاة فى الجمعية تدريبا خاصا كل عام مرتين، تستغرق كل مرة أسبوعين على مستوى الجمهورية كلها، وذلك بإلقاء محاضرات خاصة عليهم تتناول المذاهب المعاصرة، وموقف الإسلام منها والفرق المختلفة، وذلك علاوة على مجهود معهد الإمامة كما سبق.

والدعاة محتاجون إلى الاطلاع على أحدث المؤلفات فى شتى الثقافات، ونحن لا نستطيع تزويدهم بما يريدون لقصور المال فى يدنا، وكل ما نستطيعه الآن شراء بعض الكتب البسيطة ونعطيها لهم مجانا كعلاج مؤقت.

أهداف الجمعية الشرعية وأئمتها من واقع منهاج مؤسسها:

إن التعرف على الأهداف الحقيقية للجمعية الشرعية وسر نجاحها واستمراريتها يتطلب منا التعرف على منهاج مؤسسها الشيخ محمود خطاب السبكى ودوافعه الذاتية كحلول واقعية عملية لمواجهة أزمة المجتمع الإسلامى.

ونجد أن أفضل سبيل لذلك هو المقال الذى نشرته جريدة الأخبار وطبعته الجمعية الشرعية (فرع شنشور منوفية) بأعداد كبيرة لأهميته(*):

تميز الشيخ محمود خطاب ـ رحمه الله ـ بالزهد فى الأضواء وإخلاص الوجه لله مع التحلى بأخلاق النجاح، لذلك فقد جاء بمنهج سبق به الزمن حيث يتميز ذلك المنهج بقليل من

(*) الأخبار، عدد الجمعة ٢٢ من رجب سنة ١٤٠٨هـ ـ ١١/٣/١٩٨٨م، بقلم الأستاذ أحمد محمد بدوى.

التنظير وكثير من العمل مما حقق حلولا للمشكلات التى يقف المسلمون الآن أمامها مقطوعى الأنفس لا يدرون كيف يبدأون ولا بماذا يبدأون.

أفلح الشيخ فى وقت مبكر جدا فى تقديم النموذج العملى الناجح لحل معظم المشكلات الحقيقية التى كان على العمل الإسلامى مجابهتها من أول يوم انتبه فيه العالم الإسلامى إلى حتمية النهوض تنظيرا وتطبيقا. فقد كان هو الجمعية الشرعية قبل أن تبدأ، وكانت الجمعية هو بعد أن انتقل إلى جوار الله، فهو لا يزال حيا بروحه ومناهجه، لا فى الملايين من الأتباع والمتعاطفين، ولكن أيضا فى عشرات المؤسسات التى تعمل فى حقل النهوض العام فى الإطار الإسلامى بكفاءة وامتياز.

كان الشيخ كثيرا ما أسمعه يقول فى دروسه حين يتعرض لذكر الدجل والشعوذة: إن أكرم كرامة يعطيها الله لعبد من عباده أن يوفقه لإحياء العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

إن الصدق مع الله ومع النفس ومع الناس، والإخلاص فى العمل لوجه الله قد مكنا الشيخ من القيام بأعباء إقامة هذا النموذج، وإن المشكلات الحقيقية للنهوض الإسلامى كثيرة، والحلول التى حققها الشيخ كثيرة، لكننا نوجزها لسهولة التناول، مع علمنا بإمكان إعطائها أسماء أخرى وتحليلها إلى مسميات أخرى.

إن تعقد مشكلات التخلف البالغ، وتراكمها المفجع، من ضمن ما أصاب المفكرين بالحيرة، بل وشلل التفكير إزاء عناصرها المختلفة، ومنها:

١ - مشكلة: من أين نبدأ؟

وبالطبيعة العلمية فى ذكاء الشيخ بدأ بالتعليم والتدريب على أسهل الأعمال وأيسرها فى التنفيذ وأكثرها قبولا من جهة المبدأ، وبأقرب المتاح من الوسائل والتى لا تحتاج إلى بطولات خارقة، بل يستطيع أن ينهض بها الأفراد العاديون تماما كما يفعل الطبيب النفسانى مع ضعفاء الثقة فى النفس. وقد يسمى هذا فى بعض الكتابات البدء من الصفر، وفيه يسهل الانتقال من سهل إلى صعب. ومن صعب إلى أصعب، ومن متاح إلى متاح بعيد، ومن متاح بعيد إلى متاح أبعد. والصعوبة هنا تتمثل للرائى من بعيد. لكن عند المنغمس فى التجربة

والممارسة، فإن النجاح فى مزاولة السهل، يجعل التالى له فى الصعوبة بمثابة الأول عند البدء، وتمرين الرباع على حمل خمسين كيلو جراما، ييسر له تمرينه على حمل الستين، وصعوبة التدريب على الرجوع بالسيارة القهقرى لا تزيد على صعوبة التمرين على السير بها للأمام.

كان أول ما يواجه المقترب من الجمعية الشرعية: ضرورة الاطمئنان فى الصلاة، وهذا أول تمرين على الجانب الإيجابى من المنهج.

وأن يتخلى عن البدع التى تصاحب الصلاة، وهذا أول التمرين على الجانب السلبى من المنهج وهو الأصعب على النفس، وكان التغلب على صعوبته هو صلب المنهج ومدار المزاولة. إن الجانب الإيجابى لم يكن بإيجاد عبادات لم تكن موجودة أو كيفيات أو مواعيد جديدة لعبادات قائمة، ولا بإيجاب أوراد من أى نوع إلا ما كان أذكار أو دعوات واردة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فى القرآن الكريم أو الأحاديث الصحيحة فى المناسبات المختلفة.

٢ - المشكلة الثانية: هى المتمثلة فى ضعف أثر الوعظ والإرشاد وبذل النصائح فى تغيير سلوك الناس:

لم ينتبه أحد كما انتبه الشيخ إلى أن المشكلة فى بطء ترك البدع والخرافات وتجنب المناهج العلمية ليست مشكلة معرفية. بمعنى أنه لا يكفى ذكر الحجج والأدلة على فساد البدع والخرافات. وضرورة المنهج العلمى حتى يتحول الشخص إلى المنهج، فإن الأدلة العقلية مهما بان وجه الحق فيها يمكن أن تقابل بأدلة أخرى أضعف ولكنها تحوز القبول، لأنها تتأيد بإلف الفرد لما يطلب إليه تركه وتعوده عليه وانسياقه مع الناس فى مزاولته. فالمشكلة نفسية عاطفية وليست نقص معرفة، والجرائم ليس خطرها مجهولا لأحد، ولكن الانحرافات النفسية تسوق إليها.

واجه المشكلة بنوعين من العلاج، أحدهما مقنن علميا فى علم النفس فى موضوع اكتساب عادات جديدة والتخلص من عادات قديمة، فلم يعمد إلى التخلية القسرية بافتعال الكرامات وإرهاب المريدين بها. بل كانت التخلية والتحلية عنده عملية واحدة تتم فيها إزاحة البدع والخرافات بتعمير الوعاء النفسى بحب النبى - صلى الله عليه وسلم - والتركيز على إبراز

عظمته الخلقية والسياسية والحربية، وترسيخ أن الحب الحقيقى لا يكون إلا بالعمل على هدية والاقتداء به لا بالتغنى بملاحة وجهه.

وأما العلاج الثانى فهو القدوة، ومطابقة لسان الحال للسان المقال ومشكلة إيجاد القدوة هى من المشاكل الكبرى التى تواجه العمل الإسلامى. فكان - ولا يزال - على وعاظ الجمعية وأتباعها الالتزام بمطابقة الأقوال للأفعال، وتطبيق شعار: «حال رجل فى ألف رجل خير من مقال ألف رجل لرجل».

٣ - المشكلة الثالثة: مشكلة من يبدأ؟

وجد الشيخ كثيرا من الناس يصرون على البدع الوثنية فى إحياء ذكرى الأربعين والسنوية لموتاهم فلا يجدون أحدا يعترض على ما يفعلون. فالحجة التقليدية على ألسنة الناس واحدة: إننا نعرف كل ذلك ولكن العادات دائما العادات. ودائما من يبدأ؟ وقد حل الشيخ هذه المشكلة بأن أوجد لأول مرة مجموعة قائدة رائدة بهذه الضخامة لا ترى فى العادات والتقاليد ذلك الشبح المخيف.

٤ - المشكلة الرابعة: هى أمان المسلمين الزائف من انطباق انذارات القرآن الكريم للذين يخالفون عن أمر الله عليهم:

كان المسلمون ولا يزال فريق كبير منهم يظن أن هذه الانذارات موجهة إلى الكفار والمسلمون منها بمنجاة. وقد ثارت هذه المشكلة من قديم بين أبى ذر ومعاوية: إذ كان أبو ذر يقول بأن الآية الكريمة: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾[١] نزلت فى المشركين والمسلمين، وكان معاوية يقول: إنها نزلت فى الكفار.

نجح الشيخ فى تقريب المشابهة بين الذين كانوا يقولون للأنبياء:

﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[٢]. وبين الذين يرون الصواب فيما كان عليه الآباء والأجداد من بدع وخرافات.

(١) التوبة: ٣٤.
(٢) الزخرف: ٢٣.

وكان فرنسيس بيكون أبو المناهج العلمية الحديثة قد أخذ هذا من القرآن الكريم. وكان أول من نبه فى العالم الغربى إلى أن من أكبر الأوثان التى تصد الناس عن الحق هو التمسك بما كان عليه الآباء والأجداد.

٥ ـ المشكلة الخامسة: هى إهدار المسلمين لقيمة العمل، وبذل الجهد، والربط بين الأسباب والمسببات:

وقد حلها الشيخ بإحياء قيمة العمل والمشى فى مناكب الأرض والأكل من رزق الله، والتأكيد عليها فى مواعظه ودروسه وتقويم رجاله، وقد يكون ذا الدلالة الناطقة على أثر الجمعية فى ذلك أن ليس بين المنتمين إليها عاطل أو عالة على غيره فى رزقه.

٦ ـ المشكلة السادسة: افتقاد المسلمين للعقلانية التى كانت للمسلمين فى الصدر الأول:

حيث اخترقت الجمعية إلى هذه العقلانية صيغ القرون الوسطى التى لا تزال تعمل فى عقول الغالبية العظمى من المسلمين من اتكالية خرقاء وغيبية عمياء، وعداوة أهلها مسربو الثقافات الأجنبية إلى الإسلام، بين ما سموه دنيويا وما سموه أخرويا، ومن سوء فهم للقضاء والقدر بإهمال الأسباب، حتى استعاذ مستعيذ المتصوفة من شرك اتخاذ الأسباب.. وهكذا نرى رأى العين أن أتباع الجمعية الشرعية لا يتواكلون ولا يقصدون الدجالين، ولا يعتقدون فى الخرافات، ونرى تفكيرهم مبنيا على المنهج العلمى الذى زاولوه وأشربته نفوسهم وعقولهم، ولم يدرسوه فى كليات ولم يعرفوا عن تنظيره الأكاديمى شيئا، وتفكيرهم بذلك أرقى من تفكير كثير من الحاملين للدكتوراه.

٧ ـ المشكلة السابعة: فقدان الوعى بترابط مشكلات التخلف وتأذى بعضها من بعض وتأثير بعضها فى بعض:

لم يهمل الشيخ الجانب الاقتصادى من التدين. وكان بذلك من أوائل من انتبهوا إلى الأهمية الدينية للإنتاج والصناعة فوق أهميتها الوطنية، وكان الشيخ قد أنشأ المصانع الوطنية للنسيج التابعة للجمعية. وبمرور سريع أوجز الإشارة إلى الوسائل التى اتخذها الشيخ:

١ ـ أنشأ الجمعية الشرعية رابع جمعية إسلامية بعد العروة الوثقى والجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية المساعى المشكورة، لتكون امتدادا حيا لحياة الشيخ ومنهجه.

٢ ـ إنشاء المساجد الخاصة ليسهل ايجاد الفئة التى تقوم بالمنهج، وكان هذا عملا فى منتهى الحكمة، إذ لو اتخذ الشيخ والجمعية المنابر العامة لوقعت الفتن العمياء، إذ لم يكن ليسع الناس قبول هذا الكلام الجديد عليهم، ولم يكن ليسع الدعاة السكوت على ما يشاهدون من بدع.

٣ ـ اتخاذ شعار العذبة واللحية من السنة الشريفة: فقد كان هذا عملا بارعا وفكرة عميقة الفلسفة من تسهيل التعارف وتسهيل المحاسبة على الالتزام والتدريب على مواجهة اعتراض الناس وتندرهم فوق تأكيده على اتساع معنى السنة.

٤ ـ إخراج فتاوى أئمة المسلمين: كانت أكبر حجة يتذرع بها العوام فى تمسكهم بالبدع هى سكوت العلماء على ما يحدث أمامهم من البدع، ولا تزال هذه الحجة قائمة عند المتمسكين ببقايا البدع، فحصل الشيخ من كبار العلماء من جميع المذاهب وشيوخ الأزهر والمفتين وكبار شيوخ المذاهب فى الأزهر على فتاوى بإبطال جميع البدع التى نادى الشيخ بإبطالها، ونشرها فى كتاب«فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان البدع والمبتدعين».

آل خطاب والشيخ مشتهرى:

وهكذا كان منهج الشيخ محمود خطاب وأسلوبه العملى فى الدفاع عن الكتاب والسنة، وقد سار على هذا النهج من بعده ابنه الشيخ أمين خطاب ثم حفيده الشيخ يوسف خطاب حتى آلت الإمامة إلى الشيخ مشتهرى فى مارس عام ١٩٧٦ وعندما تداول الناس قولهم: «إنه أول إمام لأهل السنة من غير آل خطاب» رد الشيخ مشتهرى قائلا(*):

إن إمامة الجمعية لم ولن تنتقل من آل خطاب، فكلنا خطابيون، وأئمة آل خطاب ـ رضى الله عنهم ـ بنوا أمر الإمامة على الموهبة والكفاية ـ حسب أحكام الشرع ـ لا على القرابة أو النسب أو العصبية والعنصرية وهذا الفهم منهم لهذه القضية هو تطبيق لتوجيهات الإسلام التى يشير إليها النبى عليه السلام فى قوله: (آل محمد كل تقى). إن هؤلاء الأئمة بجهادهم وعلمهم

(*) نشر هذا فى الحديث الصحفى فى صحيفة الأخبار ومجلة الاعتصام فى مايو سنة ١٩٧٦.



الشيخ مشتهرى مع الشيخ أمين خطاب فى رحاب تدعيم أواصر الحب الإلهى بين المسلمين

وورعهم قد أتعبوا كل من سيجىء بعدهم. لكننى أعود وأقرر أننى من آل خطاب ولست غريبا عنهم. لأن القرابة فى الإسلام هى قرابة قربة وليست قرابة نسب.

لقد تتلمذت على أيديهم، ونشأت فى رحابهم، وعشت فى مدارسهم منذ أن كنت تلميذا بالابتدائى وحتى الآن. قرأت كل كتبهم وترددت على مساجدهم، وصحبتهم فى السفر والحضر، وشاركتهم أيام الشدة وساعات الرخاء، وكانت ثقتهم فى وحبهم لى نعمة من الله على شخصى الضعيف لا يعدلها إلا شكر الله عليها.

نحن لا نسعى إلى دنيا نصيبها، ولا إلى وجاهة نتميز بها على الناس إن كل أعمالنا نبتغى بها وجه الله وحده.

لماذا اختير الشيخ مشتهرى إماما لأهل السنة؟

يرد على هذا السؤال الأستاذ أحمد محمد خطاب حفيد الشيخ محمود خطاب حيث كتب عن جهاد أئمة الجمعية الشرعية كتابا من جزئين أفرد فيه للشيخ مشتهرى حيزاً كبيرا تكلم عن نشاطه وعوامل نجاحه ومكانته. يقول سيادته(*):

إن لفضيلة الشيخ مشتهرى لدى الإمامين (أمين ويوسف) مكانة لا حد لها، وكانا يبادلانه حبا بحب، وتقديراً بتقدير، ووفاء بوفاء، وعرفانا بعرفان، عن صدق وإيمان. وذلك لما آنساه فى فضيلته من حب للسنة، وتفان فى الدعوة، فهو عالم عامل، وخطيب مفوه، وواعظ بارع، وله مقدرة فائقة على امتلاك مشاعر السامعين والتأثير فيهم، ولهذا كانا يلحان عليه كل الإلحاح أن يظل مرافقا لهما، وألا يتخلى عن إلقاء الخطب والدروس فى مساجد الجمعية مهما تكن عنده من أعذار، كما كانا يحيلان عليه الفتاوى، ويطلبان منه بيان مراجع الأحاديث والأحكام.

إن الإمام الأمين وخليفته الإمام يوسف، كانا يقدران الشيخ مشتهرى حق قدره، وكانا لا

(*) من كتاب (تاريخ وجهاد أئمة الجمعية الشرعية)، تأليف الأستاذ أحمد محمد خطاب، الجزء الثانى، ص ٨٤.

يستغنيان عنه بحال من الأحوال بل يعتبرانه ساعدهما الأيمن وعضدهما الأقوى، وأنه لسان الجمعية الشرعية المعبر.

ولو أنى استطردت فى وصف العلاقة التى بين الإمام يوسف والشيخ مشتهرى - بعد وفاة الإمام الأمين - لاحتجت إلى وقت طويل لبيان مداها وجوانبها وعمقها وحسبى أن أشير إلى أن هذه العلاقة ظلت متمكنة راسخة حية قوية فى قلب الإمام يوسف حتى ارتحل إلى الرفيق الأعلى، وآية ذلك أن الإمام يوسف حين فكر فى تحرير وصيته، لم يختر أحدا ليصلى على جثمانه سوى فضيلة الشيخ مشتهرى.. لماذا؟ لأن الشيخ مشتهرى كان أحب إلى قلبه، وأقرب الناس إلى نفسه، ولم يكن هناك - فى نظره - من هو أولى منه نظرا لإخلاصه وتقواه وعلمه وجهاده فى الحق.

ولذلك فإن ثلاثة من كبار علماء الجمعية حضروا من البلاد العربية التى يعملون بها لإخلاص البيعة للشيخ مشتهرى وإعلان التضامن تمكينا لرسالة الجمعية ودفعها إلى الأمام نحو أهدافها. وهؤلاء الثلاثة هم: فضيلة المرحوم الشيخ كامل عبد المجيد خطاب، والدكتور عبد العظيم خطاب وقد حضرا من الرياض بالسعودية. وفضيلة الشيخ فرحات على حسن حلوة وقد حضر من الشارقة.

والأيام قد أثبتت أن الإمام يوسف كان صادق النظر، وكان على حق فيما اختار، فالشيخ مشتهرى كان خير خلف لخير سلف، وقد حمل الأمانة فى ثقة واعتداد، وتفان وإخلاص، وسار بالسفينة المحمدية قدما إلى الأمام، حيث نشطت فى عهده الجمعية الشرعية واتسعت فروعها، وأصبحت متطورة ناهضة تؤدى رسالتها على خير ما يكون الأداء.

نص وصية الشيخ يوسف خطاب ورد الشيخ مشتهرى عليها:

كتب الشيخ يوسف - رحمه الله - وصيته قبل موته وطلب ممن جاء ذكره فى الوصية من ناحية إجراءات الدفن بالتوقيع عليها، ومنهم الشيخ مشتهرى، رغم صعوبة ذلك عليه لشدة الحب التى تربطه بالشيخ يوسف. ولكنها السنة التى يرفعون رايتها تفرض ذلك على كل مسلم بالغ عاقل، وعلى المسلمين السمع والطاعة وعلى القادة أن يكونوا قدوة فى السلوك والتنفيذ.

جاء فى الوصية:

يصلى علىّ فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى إبراهيم، ولا يبكى أحد علىّ عند موتى ولا يصرخ ولا يحدث ضوضاء، وبلغوا يامن بعدى سلامى على أحبائى.

كما أوصى بألا تقام أصونة. وكل ما أرجوه اتباع النبى - صلى الله عليه وسلم - فى كل ما أمر به والبعد عن كل ما نهى عنه. كما أرجو أن أدفن فى المقبرة رقم ٧ بالمقابر الجديدة أمام المقابر القديمة. وعلى الفاضلين: خميس عبد القوى وعبد الرءوف يونس بعد وضع المجاديل، أن يكون معهما حديد مسلح وزلط ورمل وأسمنت كاف، ليصبوا هذا فوق المجاديل، حتى لا تفتح لأحد معى وبعدى، رجاء أن يسترنى ربى فى الآخرة كما سترنى فى الأولى.. كما أرجو أن أنال رضا الله جل جلاله وشفاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ودعاء إخوانى فى كل جهة.

والشيخ عبد اللطيف مشتهرى إبراهيم مسئول عن هذا. والله على ما أقول شهيد.. وليعلم الجميع أنه ليس علىّ دين لأحد، وقد سبق أن أخطرت الجمعية الشرعية بما أوقفته وبعته للجمعية بسمادون وزاوية رزين، وذكرت أن جميع كتبى تضم لمكتبة الوالد والجد - عليهما الرحمة والرضوان - على أن تبقى فى مكانها وفى أصونتها، ولا يعار منها كتاب خارج المنزل لأحد مهما كان ومهما دفع، والمشرف عليها سناء يوسف خطاب، والاستعانة بالأستاذ عبدالعظيم حامد خطاب. وملابسى تأخذ منها سناء ما تشاء لأولادها فقط فقط فقط. وما زاد عن حاجتهم فهو للفقراء. إن الله بصير بالعباد. فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم.

- ووقع على هذه الوصية بالعلم: عبد الرءوف يونس، وخميس عبد القوى.. أما الشيخ مشتهرى فلم يكتف بالتوقيع بل كتب ردا يليق بمشاعر الود المتبادلة بين إمامين ملأ الإخلاص قلبيهما.. وذلك فى نهاية الورقة المدون فيها الوصية ذاتها.. فكتب يقول:

- أطال الله حياتكم يا فضيلة إمامنا، وإمام أهل السنة فى طاعة الله، فخيركم من طال عمره وحسن عمله. وأنتم يا أهل البيت الطاهر حسنت أعمالكم، وربيتم أجيالا على طاعة الله ولزوم السنة، ولولاكم لكنا فى غمار الفوضى المنسوبة لدين الله، والبدع التى تملأ كل مكان

للعبادة، ما عدا مساجد الجمعية الشرعية، ولله الحمد. رحم الله الإمامين العظيمين وبارك فى عمركم.

أما الوصية الخاصة بى من فضيلتكم، فإن عنقى ينحنى أمام هذه المكرمة التى منحتموها لى واعتبرتمونى أهلا لها. وقلبى يتقطع عبرة وانفعالا بهذه الوصية المفاجئة لى.. وربما شرفنى ربى يا سيدى ورحمنى بصلاتك أنت على، وتكرمتم بالسماح لى بأن أدفن فى مقابر الجمعية الشرعية لأجاور الأبرار ممن سبقونا بالإيمان، والله أعلم بالآجال.

يا سيدى: ألتزم أمام فضيلتكم وأتعهد بتنفيذ هذه الوصية إن كنت حيا، وأستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك آمين عبد اللطيف مشتهرى (١٣/٦/١٣٩٣هـ - ١٣/٧/١٩٧٣م).

شهادة الشيخ عبد الحليم محمود للجمعية الشرعية وإمامها الشيخ مشتهرى(*):

لقد تفضل الله سبحانه وتعالى علينا بأن نشأ فى هذه الأمة - الشيخ محمود خطاب عليه رحمة الله ورضوانه - فكرة الجمعية الشرعية بدأت معه فى الأزهر الشريف، حيث تعلم وتثقف كأحسن ما يكون إماما من الأئمة: قرآن وسنة نبوية شريفة وسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

كل هذا كان من العناصر التى مكنت الشيخ محمود خطاب أن تنتشر دعوته فى الأمة المصرية وأن تخرج منها إلى غيرها من أمم العالم الإسلامى.. انتشرت الدعوة هنا وهناك بسبب ما قامت عليه من أسس سليمة من الدين الإسلامى من القرآن والسنة.

خلفه فى الدعوة الشيخ أمين. وقد حضرنا عليه فى معهد الزقازيق، كان رجلا متفانيا فى العلم، وكان مدرسا من خيرة المدرسين، وكان باستمرار متجها إلى الله سبحانه وتعالى داعيا إليه فى المجتمع وداعيا إليه فى المعهد.

ثم كان الأخ الكريم الذى عاصرناه وزاملناه: الشيخ يوسف خطاب حيث سار على النهج وسار على الطريق.

(*) جاء ذلك فى احتفال أقيم بمناسبة افتتاح المعهد الدينى بالمعادى فى أول العام الهجرى الجديد عام ١٣٩٧ هـ وعام ١٩٧٧م.

ثم انتهى الأمر إلى الشيخ عبد اللطيف مشتهرى وهو من كبار علماء الأزهر. من هؤلاء الذين مكن لهم الله سبحانه وتعالى، مكن لهم بالقرآن، ومكن لهم بالسنة، ومكن لهم بالسيرة الصالحة الكريمة، ومكن لهم بحسن اللغة وحسن الأسلوب. ومكن لهم بالقبول وحسن اللقاء الذى يتلقاه الناس منهم.

والواقع أن إمام أهل السنة له رسالة كبرى فيما يتعلق بالقطر المصرى وفيما يتعلق بالعالم الإسلامى. وهو يؤدى هذه الرسالة فى غير ملل، وفى غير تعب، يؤديها باستمرار هنا وهناك، وفى كل يوم له درس وله محاضرة وفى كل آونة له موعظة تؤثر فى القلوب وتهدى إلى الرشد.

الجمعية الشرعية: فيما يتعلق بمنهاجها: فهو منهج موفق لا شأن لها بالسياسة التى تتعلق بشهوة الحكم. وقد قلت أكثر من مرة إن شهوة الحكم عند الدعاة الإسلاميين تفسد عليهم دعوتهم وتعرقل مسيرها كلما سارت. الجمعية الشرعية ابتعدت عن هذا، ولكنها فى هذا المنهج الموفق منغمسة فى أعماق السياسة. لماذا هى منغمسة فى أعماق السياسة؟

لأن السياسة الحكيمة هى أن تصلح الأفراد، فإذا أصلحت الأفراد فقد أصلحت المجتمع، وصلح هؤلاء الذين يتولون أمر المجتمع من وزراء ومحافظين ومن كبار وصغار. وماذا يريد الدعاة غير صلاح المجتمع؟

وهكذا فإن الجمعية الشرعية من هذه الجمعيات التى تسير على طريق مستقيم. وهذا ما جعلها بمنأى عن كل اضطهاد أو تعرض لها. هناك جماعات تدخلت فى السياسة فلم تكن عاقبتها حميدة. ولكن الجمعية الشرعية من فضل الله سبحانه وتعالى أن وفقها ألا تتعرض مطلقا للجانب السياسى. وهى مع ذلك فى إرشادها فى الدين، وفى اتساعها للموعظة هى فى صميم السياسة، أى أنها لا تتدخل فى السياسة الشكلية، وإنما تعمل فيما يتعلق بالجوهر.

هذه المساجد التى انتشرت فى أنحاء البلاد كالنجوم المضيئة اللامعة إنما هى من آثار الهداية، وهذا الطريق المستقيم الذى اختطته الجمعية لنفسها.

إننا حقيقة نثنى على الجمعية فى اختيارها الطريق المستقيم الذى تسير عليه، ونثنى على أئمتها. جزى الله الجميع فى الجمعية الشرعية خير الجزاء.

رد الشيخ مشتهرى على افتراءات جريدة مايو:

فى يوم الاثنين الموافق ٢٥/١٠/٨١ صدرت جريدة مايو وعلى غلافها وفى داخلها خبرا عن الشيخ مشتهرى بأن اسمه موجود بين أسماء الذين أعدتهم الجماعات المتطرفة ضمن الذين ستيولون مسئولية الحكم فى البلاد فى حالة نجاح خطتهم الشيطانية. حيث سيكون هناك - فى نظرهم - مجلس للعلماء - ومجلس للشورى. والشيخ مشتهرى مكتوب عندهم فى مجلس العلماء.

وقد أثار هذا الخبر الرعب بين أحباء الشيخ ومريديه ظناً منهم بأنه لن تجرؤ صحيفة على كتابة هذا الخبر إلا بعد توجيه الاتهام للشيخ وإيداعه السجن أو على الأقل التحقيق معه. وهو ما لم يحدث إطلاقا.

ونظرا لأهمية الإعلام فى التأثير على الرأى العام فقد تصدى الشيخ - رحمه الله - لتفنيد الادعاء الكاذب لتلك الجريدة، وبيان جزاء الكذب فى الشريعة الإسلامية، ليس دفاعا عن شخصه، ولكن دفاعا عن مبادىء الحق، ودفاعا عن الجمعية الشرعية التى يعتبر ممثلا لها، وبيان أمانة الكلمة وتنبيه الصحافة إلى أهمية الالتزام بها لإشاعة الأمن والاستقرار فى الوطن، وليس إشاعة الفتن والبلبلة والفوضى نتيجة الأخبار الكاذبة.

قال الشيخ فى خطبة الجمعة(*)، وصوته يفيض أسى وحسرة وانفعالا على تورط صحيفة تنتمى إلى الحزب الحاكم فى افتراءات لا سند لها من الحقيقة:

من الممكن أن يكون المسلم بخيلا، يحمله حب المال على البخل. ومن الممكن أن يكون جبانا، ليس عنده أعصاب لتحمل الضرب وهجمات المعركة. أما المسلم لا يمكن أن يكون كذابا، حتى لو صلى أمامنا وقرأ القرآن وتصدق بماله كله. والذى قال هذا الكلام هو خير الأنام - صلى الله عليه وسلم -:

قالوا: يا رسول الله أيكون المؤمن جبانا؟ قال: قد يكون.

قالوا: يا سول الله أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: قد يكون.

(*) يراجع التسجيل الصوتى لهذه الخطبة، الشريط رقم ٢٣٨ م من تسجيلات الشيخ الصوتية بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٨١.

قالوا: يا رسول الله أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا.

﴿إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ (النحل ١٠٥).

فلسان المؤمن يجب أن يكون معصوما ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم - أو قال على مناخيرهم - إلا حصائد ألسنتهم،.

وألعن الناس الذى يروج الشائعات. والكلمة الصغيرة تبدأ فى أول النهار كحبة الرمل، وآخر النهار تصير فيلا. من الذى ضخمها هكذا؟ الكذاب صاحب الافتراءات والشائعات.

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة﴾ (النور١٩).

وقد أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه ليلة المعراج رأى قوما يشرشر شدقهم بمشرشر إلى قفاهم، ثم مناخيرهم إلى قفاهم، ثم أعينهم إلى قفاهم. ثم يتحول الملك إلى الجهة اليسرى ثم تصح الجهة اليمنى فيأتى إليها. وعذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.

فقال: من هؤلاء يا جبريل المعذبون؟ قال جبريل: هؤلاء رجال كان أحدهم يخرج من بيته فى الصباح فيكذب الكذبة أو يشيع الإشاعة، فلا يمسى المساء إلا وتبلغ الآفاق،.

والمؤمن دائما يجب أن يكون متثبتا متأنيا حتى لو سمع الخلق كلهم يقولون لأنه عالم بقوله تعالى:

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم. إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (الإسراء٣٦).

أى لا تعمل بعلم غيرك، لأنه حصل على الخبر من غيره، وغيره حصل عليه من غيره، وهذا الغير قد لا يكون محل ثقة. وكل كلمة يقولها الإنسان فهو مسئول عنها. وألعن شىء اتهام الغير.

﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾ (النساء ١١٢).

﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ (الزخرف ١٩).

ولكن الناس لا يقرأون القرآن ولا يخافون من الديان. لأنهم لو قرأوا لعرفوا أن القرآن يحذر من تصديق الشائعات ويدعو إلى ضرورة التحرى فى الكلام:

﴿وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ (الأنعام ١١٦).

ولذلك يجب أن يكون المسلم الحق مع الأقلية الممتازة المتأنية.

ومن عجائب الصحف أن تصدر جريدة مايو خبرا عنى ليس فيه أى شىء من الصحة، حيث أعلنوا أن الجماعات الإرهابية سجلتنى عندها فى مجلس العلماء. وهذا الخبر جعل العالم كله ينقلب علىّ: من الاسكندرية إلى أسوان، حضروا إلىّ وكلمونى فى التليفون. والبعض خاف أن يحضر إلىّ. ورغم أنى أصلى فى الجامع وأذهب هنا وهناك إلا أن الناس غير مصدقين وكأننى شبح، لأنهم يعتقدون أن الشيخ عبد اللطيف أخذوه.

وأخيرا قرر مجلس إدارة الجمعية الشرعية أن يرسل وفدا إلى مباحث أمن الدولة للسؤال عن الموضوع. فقوبل الوفد بمنتهى التجلة والاحترام وقيل لهم: الشيخ عبد اللطيف ملء السمع والبصر، ونحن نحترمه ونكن له كل التقدير. ونحن نعرف ظاهره وباطنه، وإذا اشتد فى الكلام وأراد تغيير منكر فإنه لا يسمى أحداً. وليس عنده نية انقلاب ولا تنظيمات سرية ولا أسلحة ولا منشورات ولا شلل ولا اجتماعات سرية، وليس له نشاط غير تحركه من المسجد إلى البيت. فإذا قال المتطرفون أننا سنعينه، فما ذنبه هو؟ نحن لا نأخذ إلا من ثبت عليه فعلا بالصوت والصورة أنه اجتمع معهم وذهب وجاء، وتورط معهم واتفق وكتب بخط يده. والشيخ عبد اللطيف بالنسبة لأمن الدولة طاهر من كل هذا.

وأنا لا أقول هذا الكلام دعاية لى، إنما دفاعا عن الجمعية الشرعية التى أعتبر نفسى ممثلا لها. ورجال الجمعية الشرعية كلهم أطهار أبرار يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

والجمعية الشرعية لها ثقلها ووزنها، وعمرها ما تتورط مع إرهابيين لأنها ماشية مع الله، وليس لها طمع فى الحكم، ولذلك فهى مستمرة منذ حوالى ١٠٠ سنة (أى قرن من الزمان) رغم تغير العهود، وجاء عهد كان الإنسان يخاف فيه من زوجته فى البيت، وكل إنسان لا يعرف إن كان سيصبح عليه نهار أو يمسى عليه ليل أم لا، ومع ذلك فالجمعية مشت فى حالها ولم يمس أى واحد فيها.

أمـا من جـهـتى شـخـصـيـا، فـأنا واثق بربى ومطمـئن وأعـرف أن كل أعـاصـيـر أو رياح سـتـجـتـازنى بعون الله وذلك بسبب رؤيا رأيتـهـا منذ أكـثـر من ٥٥ سنة، وأنا فى سن العـاشـرة تقـريبـا، وهذه أول مرة أروى فـيـهـا تلك الرؤيا وذلك بسبب شدة الضغوط التى تقع علىّ من خوف الأحباء من ضياع الشيخ:

كنت أبيت مع جدتى فى حـجـرة فوق سطح المنزل فى الريف صـيـفـا، وكـانت تقـوم الليل دائما تتهجد حبا فى ربها. ويومها كنت مريضا وقبل قيامى لصلاة الفجر رأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام يلمس على جدتى فقالت له: خذ بالك من عبد اللطيف يا سيدى، نحن أرسلناه الكتاب ليحفظ القرآن، ثم نرسله للمعهد الدينى بالأزهر. فقال لها: إن عبداللطيف لن يضره إنس ولا جن فى الدنيا والآخرة. هذه رؤيا أتيقنها كما أتيقن أن اليوم الجمعة وأمس الخميس وليس معنى هذا ـ اعـتـمـادا على تلك الرؤيا ـ أن أعـمل انقـلابات أو أتخـبط أو أعـمل فساد.. أبدا فالله لا يحب الفساد. والسعيد من جنب الفتن.

فأسألكم بالله يا من تحضرون هذه الخطبة أن تبلغوا عنى الخير كما سمعتم الشر. وكنت أتمنى أن مـجلة الحـزب الوطنى تتـوخى الحـقـيـقـة، لتـحـقق الاسـتـقـرار والأمـن لأنـهـا جـريدة الحكومـة، وأى حكومـة يهـمـهـا ذلك. وتعرف المجلة قبل نشر الخبـر أن الشيخ عـبـد اللطيف مشـتـهرى يمثل جمعيته التى لها وزنها فى طول البلاد وعرضها حيث فيها أكثر من مليون مشترك و ٢٠٣٠ فرع(*).

فلتـتق الله تلك المجلة ولا تجرح الناس حتى لا تحدث بلبلة. أسأل الله أن يثبت قلوبنا وأن يعصم ألسنتنا وأن يعرف الجميع أمانة الكلمة فيضعونها موضعها الذى تؤدى به الحقوق وتعلو به راية الحق والدين. وتزداد تلك الأمـانة خطورة بالنسبة للقائمين على أجهزة الإعلام، لأنهم يخاطبون جماهير الأمة فى لحظة. فيا لها من مسئولية خطيرة وأمانة جسيمة يسألون عنها يوم الدين، يوم لا ينفع المال والبنون والمركز والجاه إلا من عرف حق الديان. فـاللهم وفـقنا إلى ما فيه فلاح أمتنا.

(*) كانت هذه الأرقام فى سنة ١٩٨١، أما فى سنة ١٩٩٥، عام وفاة الشيخ فقد تضاعفت تلك الأرقام تقريباً

الصحافة وحديث الناس حول الجمعية الشرعية:

في حديث صحفي أجراه الأستاذ رضا عكاشة مع الشيخ مشتهري(*) نختار منه بعض الأسئلة التي تضفي مزيدا من الضوء على دور الجمعية الشرعية ومنهاجها من وجهة نظر إمامها وذلك قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بأقل من عام:

- قال الصحفي: سألت الشيخ مشتهري عن واحدة من أكثر المسائل حساسية، وهي مسألة ما يشاع عن ضم مساجد الجمعية الشرعية إلى وزارة الأوقاف.

- تنهد الشيخ ثم قال: نحن لدينا استثناء بعدم الضم من مجلس الشعب، لأن مساجد الجمعية الشرعية «ماشية في حالها» وأنا لا أعتقد أن أحدا يفكر في هذا، ولا أعتقد أن وزير الأوقاف يفكر في هذا، ودائما فيه ود بيننا وبين الدكتور محمد علي محجوب وعندما يكون له ملاحظة يعرضها علينا ونوافقه طالما هو صادق فيما يقول.. والحقيقة أننا مستعدون لخدمة المساجد، وتحت إشراف الجمعية الآن نحو أربعة آلاف مسجد، وتخدم نحو ١٨٠ ألف يتيم. وتعقد القوافل وحلقات تحفيظ القرآن في جميع محافظات مصر وتقدم الخدمات للمعوقين، ولدينا مشروع لتشغيل أمهات اليتامى، ومشروع التيسير على الزواج، فضلا عن الخدمات الطبية وعلاج المرضى.. وأنا أسأل: هل أحد يكره هذا؟ وهل أحد له القدرة على تشغيل هذه المؤسسات بكفاءة وأمانة مثلنا؟ نحن لا نريد شوشرة على أحد، ولا نريد لأحد أن يشوشر علينا، عملنا في النور، وخدمة دين الله هي غايتنا. وأكرر لك ما تقرره الجمعية الشرعية من أن «الأمن ضرورة من ضرورات الإيمان». فلا إيمان في ظل بلد ليس فيه أمن. ولذا لا ينبغي أن نكون حساسين أكثر من اللازم مع المسئولين عن أمن البلاد والعباد. ولم يحدث في أي عصر أن حدث احتكاك بيننا وبين الشعب، أو احتكاك بيننا وبين الحكومات. وألعن شيء عندنا هو حب الدعاية.

- وقال الصحفي: سألت الشيخ مشتهري بوضوح: هل تعمل الجمعية الشرعية بالسياسة؟

- أجاب الشيخ بصورة أكثر وضوحا: نحن نعمل بالإسلام وله. وعلى فكرة: كل تحرك من

(*) جريدة اللواء الإسلامي، العدد (٦٧٠)، السنة الرابعة عشرة، الخميس ٢٠ من جمادى الآخرة ١٤١٥هـ - ٢٤ من نوفمبر ١٩٩٤م.

قبلنا لدى المسئولين عن البلد صورة منه وعنه. وهناك تعاون فى قوافل التوعية بين دعاة الجمعية الشرعية وكبار المسئولين.. وليس هناك خصومة بيننا وبين أحد من رجال الحكم، لأنه ليس لدينا أغـراض، وليس لدينا مطمع فى الحكم، وليس لديهم مطمع فـينا. وأنا أقـول دائما: الخطأ خطأ. لو أخطأ أحد فى الجمعية الشرعية، ينبغى أن يحاسب وليس هناك أحد فوق المساءلة. ونحن نطالب بتطبيق الدين، ولكن ليس فى سلطاتنا أكثر من المطالبة والتذكير، والله سبحانه وتعالى قال لرسوله: ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ (الغاشية ٢١، ٢٢) ﴿فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى..﴾ (الأعلى ٩، ١٠).

- قال الصحفى: أنتقل مع فضيلتكم إلى موضوع آخر يثير الأخذ والرد بين العاملين فى حـقل الدعـوة إلى الإسـلام، بل وبين غـيـر العـاملين بهـا، وهو مـوضـوع تعـدد الجـمـاعـات والجمعيات الدينية.. أين الصواب والخطأ فى مبدأ التعدد..؟

- رد الشيخ: والله أقول إن المؤمن الحق لا يلتفت إلى هذا التعدد والله تعالى قال فى قرآنه الكريم: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ (هود ١١٨).

ومن جـمـال الدنيـا أن يكون هناك تبـاين، ولولاه مـا عـرف حق من غـيـر حق ومـا عـرف حـلال من حـرام. ولكن المهم أن يعمل الكل فى إطار كـتـاب الله وسنة رسـوله وألا يكون أحـد معول هدم فى المجتمع.

- قـال الصـحـفـى: هنـاك تـخـوف من أن انـشـغـال جـمـعـيـة مـعـينة بالجـانب العـقـائدى.. وجـمـعـيـة أخرى بالجـانب الروحـانى.. وجـمـعـيـة ثالثة بـالجـانب الإسلامـى.. قد يبـدو هذا أمـام بعض غـيـر المتـحـمسين للدين أنه نوع من تعـدد الإسلام ذاتـه.. ونوع من تشـتيت اهتـمـامـات الناس..؟

- رد الشيخ: التخوف يأتى عندما يقترن التعدد بالتعصب. أما عندما يكون التعدد نوعا من التنوع فى خدمة الناس فلا شىء فيه. فعندما تعنى جمعية بتهذيب سلوكيات الناس، وأخرى تحـارب البدع، وثالثة تبنى المساجـد. لا شىء فى هذا. والجـمـعـيـة الشرعـيـة بحـمـد الله تقـوم تقريبا بكل هذا خدمة لله. إن الخطورة فى الشقاق والتنازع على مكاسب الدنيا والجرى وراء الأهواء، ولو تجرد الكل لله فلا خوف من التعدد على الإطلاق. والقرآن يرشدنا إلى الطريق:

﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾ (النساء ٥٩).

- سأل الصحفى: ألا تعتقد أن اختلاف بعض الجمعيات على بعضها قد عوق عملية انتشار الدعوة..؟

- أجاب الشيخ: لا أعتقد بل ساهم فى الدعوة وتعريف الناس بالإسلام. وأحب أن نفرق بين تعدد المؤسسات العاملة فى خدمة الناس تحت عناوين وأهداف شرعية وبين العاملة فى ضوء اختلاف الأحكام الشرعية: فالأولى فى خدمة الناس.. والثانية لها رجالاتها الذين يجتهدون ويفتون.

- وهنا تساءل الصحفى: وماذا لو تداخلت الأدوار بحيث كل من ينتسب إلى جمعية معينة يعتبر نفسه مجتهدا؟

- أجاب الشيخ: لا. المؤمن الحقيقى أبعد الناس عن التجرؤ على الفتوى. وطوال التاريخ الإسلامى الناس يسعون إلى المفتى. والمفتى العالم العابد لا يفتى إلا بما علم. وإذا حدث تضارب فى الفتوى فهذا معناه غياب بعض العلماء الثقات عن ساحة الفتوى والدعوة والاجتهاد. وغياب المؤسسات والمدارس الإسلامية والتربوية التى تغرس العقيدة النقية والوعى الرشيد بتعاليم الإسلام.

- وعن السلفية التى يثار حولها جدل واسع: فالبعض يعادلها بالإسلام ذاته والبعض يرادف بينها وبين التزمت والجمود.

- أوضح الشيخ أن السلفية: يشار بها إلى السلف الصالح رضوان الله عليهم، الذين تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله، ويتمثلون فى صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومجاهدى الصدر الأول للإسلام، القريب والمعاصر لنور النبوة. والحديث يقول: خير القرون قرنى ثم الذى يليه.

والسلفية هى فى المقام الأول تمثل أخلاق رسول الله وهديه ودعوته وسنته وأى عمل يناقض سنة رسول الله، ليس من الإسلام وليس من السلفية.. والله الموفق.

ما هى أنشطة الجمعية الشرعية مجملة(*) ؟

يهمنا هنا أن نبرز أهداف الجمعية الشرعية ونشاطاتها مجملة فى سطور على أن تلك السطور تعنى جهاد وكفاح وعرق وجهد رجال مخلصين باعوا أنفسهم لله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولا غرو فى ذلك فمؤسس الجمعية الشرعية ـ الشيخ محمود خطاب السبكى ـ إمام مشهود له بالتقوى والورع والصلاح وبالتالى فقد بارك الله خطاه ومسعاه مصداقا لقوله تعالى:

﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (التوبة ١٠٩) .

ويلخص الشيخ مشتهرى أنشطة الجمعية فى النقاط التالية:

١ ـ الاهتمام بالمسجد كما بدأ المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بناء الدولة الإسلامية من المسجد. لأنه من المسجد ينتشر كل خير.

٢ ـ إنشاء معاهد إعداد الدعاة الملتزمين بمنهج الجمعية لمواجهة الأعداد المتزايدة للمساجد التابعة للجمعية الشرعية، ويقوم بالتدريس فى هذه المعاهد أساتذة أجلاء من جامعة الأزهر والامتحانات دقيقة.

٣ ـ إنشاء مستشفيات لتوفير العلاج الاقتصادى وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعى.

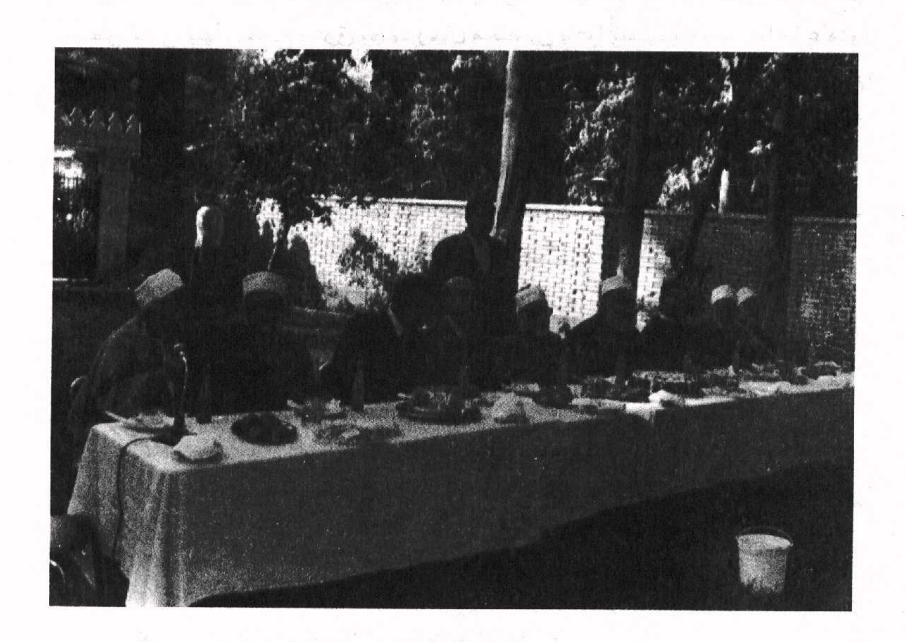
٤ ـ تكوين لجان إصلاح بين الناس عملا بقوله تعالى:

﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (الحجرات ١٠) .

ويختلف عدد الأفراد فى اللجنة حسب حالة المتنازعين، فالنزاع بين الأسر غير النزاع بين القبائل حيث الأخير يحتاج عدد أكبر.

٥ ـ مشروع كفالة اليتيم على مستوى الجمهورية لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصى

(*) من حديث أجراه الأستاذ جمال سالم (محرر فى جريدة عقيدتى) مع الشيخ مشتهرى سنة ١٩٩٢م (أى قبل وفاة الشيخ بحوالى ٣ سنوات) .



الشيخ مشتهرى أثناء الاحتفال بافتتاح دار حضانة، فمنها يبدأ إعداد الإنسان المسلم

كثيرا باليتيم، فالمآسي كلها فيه نتيجة وفاة الأب وعجزه عن الكسب وسبب نجاح هذا المشروع المتابعة الدائمة المخلصة.

٦ - مشروع المعوقين لأن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا.

٧ - مشروع تيسير زواج الفتيات (بدأ لليتيمات ثم اتسع ليشمل الجميع).

٨ - مشروع تحفيظ القرآن الكريم لأنه نور حياتنا.

٩ - مشروع تشغيل أمهات الأيتام: لزيادة الموارد وتوفير الحياة الكريمة.

١٠ - قوافل الدعوة التى تجوب البلاد وفيها دعاة متميزون يبددون ظلمات الأفكار المنحرفة عن دين الله القويم، ويثرون أفكار الوعاظ المحليين. ويتناولون القضايا التى تهم كل إقليم.

إن أعمال الخير دائما لا تنتهى، وكل أحداث جديدة، تجدد معها متطلبات جد يدة للمشاركة الاجتماعية الجادة. والله الموفق إلى سواء السبيل.

نصائح للعاملين فى الجمعية الشرعية من إمامهم الشيخ مشتهرى(*):

على من يحب أن يلتحق بالصالحين من عباده: أن يكون أولا محبا لله ولرسوله حبا يفيض على جوارحه، فتؤدى كل ما أمر الله به، وتترك كل ما نهى عنه. وأن يكون على وعى كامل بما خالفت فيه الجمعية الشرعية بقية الناس، وعلى علم بالأدلة من الكتاب والسنة، وأن يبتعد عن الجدل والمراء.

والهدى هدى الله، يهدى من يشاء، ونواصى الخلق بيده سبحانه، فما علينا إلا الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ثم ندع الباقى على الله. ورب كلمة خير هدت قلوب عاصية، والله يحب المؤمنين.

إن جمعيتنا اسمها: الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية. وهى كما ترون من هذا الاسم: كتاب وسنة وشريعة وتعاون وعمل.. وهذا من البداية القانون الذى

(*) من مجموعة أحاديث صحفية أدلى بها الشيخ أثناء حياته رداً على أسئلة وجهت إليه فى هذا الشأن.

يحكم تفكير أعضائها وسلوكهم: أناس صفت نفوسهم وأشرقت بنور الله يفرون من الكسالى والعاطلين والخاملين، إذا فتشت بين صفوفهم فلن ترى متسولا ولا متسكعا، بل تراهم وقد شق كل منهم طريقا فى الحياة يسلكه إلى عمل مشروع.

ونصيحتى لهم ولكل العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية: إن الصبر مطلوب لأن عاقبته خير من الله. وامتثلوا دائما قول الحق عزّ وجلّ:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا. إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾. (لقمان ٣٣).

هذه نصيحة الشيخ فى حياته. وندعو الله أن تؤتى ثمارها بعد مماته، فالكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين.

تنقلات الشيخ مشتهرى داخل البلاد وخارجها

لقد كانت حركة الشيخ - رحمه الله - فى الدعوة الإسلامية، حركة دائبة مثل خلية النحل، لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود. فقد تعلقت روحه بالملأ الأعلى، وبالتالى لم يكن يسعد تلك الروح ويطمئنها إلا ما يكون على شاكلتها. فانطلق يدعو ويدعو إلى الله فى كل مكان وكأنه طائر مغرد لا يعرف غير الشدو بعظمة الديّان، والتسبيح له فى كل زمان ومكان.. وقد أتاح له اتصاله بالجمعية الشرعية أن يفرغ تلك الشحنات الإيمانية الهائلة التى أمدها الله به فى جذب النفوس الشاردة إلى حظيرة الإيمان وتبصيرها بما ينتظرها من أهوال إذا هى أصرت على العصيان وما ينتظرها من نعيم وجنات إذا سلكت طريق الطاعة والغفران.

تنقلات الشيخ داخل حدود مصر:

إن تتبع تلك التنقلات يجعل الإنسان يسجد أمام عظمة الوهّاب الذى يودع فى عباده تلك القدرات. فالشيخ كان يمارس مهنته كواعظ فى الأزهر فيلقى المحاضرات التى يكلف بها سواء كانت فى المساجد أو الكليات تلبية لدعوة اتحادات طلابها علاوة على دعوة وزارة الداخلية لإلقاء محاضرات لتوعية المساجين ودعوة القوات المسلحة لتوعية الضباط والجنود داخل وحداتهم العسكرية لبث روح الإيمان فيهم والوطنية هذا علاوة على المؤتمرات الإسلامية التى كان يدعى إليها.

وكان هناك بعض الشركات الكبرى مثل شركة الغزل والنسيج بالمحلة تدعو الشيخ ليلقى درسا على العمال الذين يتجمعون فى أعداد هائلة فى درس الأربعاء من كل أسبوع.

كما كانت هناك بعض الجمعيات الإسلامية مثل جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية(*) التى تطلب علم الشيخ ويقينه فلا يبخل بهما على أحد لأنه يقول دائما فى مواصفات الداعى أنه يجب أن يكون كريما ودائما على استعداد لبذل الجهد والتعاون مع الناس فى الخير. فخصص لها درسا ثابتا صباح كل سبت للسيدات. وجميع هؤلاء كانوا يكنون للشيخ كل الحب والتقدير،

(*) كانت تقع فى جزيرة بدران ويرأسها الشيخ محمد عثمان فى ذلك الوقت - رحمه الله. واستمر الشيخ مشتهرى يلقى فيها المحاضرات فى الستينيات وبداية السبعينيات.

وتتسع معهم دائرة المحبين والمريدين، لأن قلوبهم تتعلق به وفاء لما أسداه إليهم من علم هداهم إلى الطريق المستقيم وعرفهم عظمة الدين وتعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى الأمين.

كل هذا إلى جانب عمله بالجمعية الشرعية الذى بدأ به وهو فى سن الحادية عشرة من عمره وحتى لقى ربه فى الثمانين مجاهدا لآخر رمق. وتتطلب منه هذا العمل الانتقال إلى فروع الجمعية فى أنحاء القطر التى تربو على الأربعة آلاف فرع: فكان يفسر القرآن يوما من كل أسبوع حتى انتهى من تفسير القرآن كله. ويوم الجمعة يخصصه للرد على مزاعم المستشرقين وأعداء الإسلام والرد على ما جاء بالصحف.. ويخصص يوما للسيرة النبوية ويدافع من خلالها عن السنة المطهرة، ويوما لتدعيم العقيدة من خلال شرح العقيدة النقية الصافية من شوائب الإلحاد وأفكار المتطرفين. هذا إلى جانب متابعة الأحداث المحلية والعربية والعالمية التى تمس حياة المسلمين ومصالحهم وشرحها من وجهة نظر إسلامية. فيعرف المسلم كيف يعيش حياة إيجابية، ليس فيها ازدواجية تفصل بين العقيدة فى الوجدان، وتطبيقها مع مجريات الأحداث ومرور العصور والأزمان.

لقد رأينا أناسا كثيرين فى أنحاء متفرقة من جمهورية مصر يعرفون الشيخ مشتهرى ويقدرونه حق قدره، ويدينون له بالفضل أنه علمهم كثيرا، ونبههم من طريق الغفلة الذى يسيرون فيه، وانتشلهم من براثن الشيطان إلى مدارج الإيمان، فتذوقوا حلاوته، وعرفوا نعمة الطاعة وفضل الإنابة.

لقد وصل الأمر بالشيخ أن يعطى أربعة دروس فى اليوم: درس صباحى للنساء فى احدى الجمعيات الإسلامية، ودرس بعد صلاة الظهر، لعمال الشركات أو طلبة الجامعات أو توعية المساجين، أو جنود القوات المسلحة أو... ودرس بعد العصر فى أحد المساجد تنفيذا لدواعى مهنته فى الأزهر. ودرس ثابت بين المغرب والعشاء: استجابة لعمله بالجمعية الشرعية. كل هذا وابتسامة الرضا لا تفارقه لأنها نابعة من متعة العطاء وراحة الضمير والوجدان.

تنقلات الشيخ خارج جمهورية مصر:

لم يكن سفر الشيخ خارج مصر، لدنيا يصيبها، أو مغنم يسعى إليه ولكن كان جهاداً فى

سبيل الله، وتلبية لدواعي وظيفته في الأزهر، بعد إلحاح من البلاد العربية على الأزهر الشريف في استضافة الشيخ مشتهري، وخاصة في شهر رمضان. ولم يستمر غياب الشيخ في أي سفر سافره خارج مصر أكثر من شهر ـ باستثناء سوريا ـ التي قام أهلها بمظاهرات شديدة مطالبين ببقاء الشيخ بينهم لما استفادوه منه استفادة عظيمة جعلت القلوب تتعلق به. فتوسط شكري القوتلي عند جمال عبد الناصر، مما كان سببا في بقاء الشيخ في سوريا ثلاث سنوات.

وباستثناء ذلك ونظرا لظروف الوحدة بين مصر وسوريا، فإن الشيخ رفض البقاء في أي بلد عربي أكثر من شهر، راغبا في الجهاد في سبيل الله في بلده، عن عرض الدنيا الزائف وبريق الدينارات والريالات في البلاد العربية.

سفره إلى سوريا:

اختاره الرئيس جمال عبد الناصر في فترة الستينات وبالتحديد في أولها، أيام الوحدة بين مصر وسوريا ليكون أستاذا وإماما وخطيبا في محافظة اللاذقية، الملاصقة تقريبا لحدود تركيا، وذلك ضمن التعاون الديني بين البلدين. وكان العالم الوحيد في هذا الاختيار الذي بقي هذه المدة في سوريا.

ونعرض هنا صورة لدور الشيخ في الدعوة في تلك المدينة، من خلال رسالة بعث بها الشيخ عبد الباقي محمد الشريقي ـ بعد وفاة الشيخ ـ إلى أولاده يرثي فيها الشيخ، ويبين فيها آثار دعوته في سوريا.

قال الشيخ الشريقي في رسالته(*):

إن آثار دعوة سماحة الشيخ المشتهري في مدينة اللاذقية فاقت الوصف: ففي عام ١٩٦٠م عهد الوحدة بين القطرين الشقيقين مصر وسوريا: بدأ سماحته محاضراته القيمة في مسجد العجان حي الشيخ ضاهر يوميا بين المغرب والعشاء، والتي كانت تمتد بعد صلاة العشاء في كل مرة ساعة فأكثر. وكانت تنهال الأسئلة على سماحته من شتى الفئات، والمذاهب الدينية والسياسية: من المحبين والمنصفين والمغرضين، وفي شتى المسائل الهامة قديمها وحديثها، فكان سماحته يجيب عليها أجوبة شافية كافية.

(*) جدة في ١٤/٤/١٤١٦ هـ. القاهرة، فاكس رقم ٢٤٨٢٣٩٩.

تعلقت به قلوب الجماهير، فكان المسجد ـ على اتساعه ـ يغص بالمصلين، حتى كأنك فى عيدى الفطر والأضحى، بل أشد زحمة منهما. وكان فناء المسجد والشوارع المحيطة بالمسجد، والمقاهى المجاورة له تغص بالناس الذين وفدوا من جميع الأحياء، ومن الضواحى والمدن القريبة، جاءوا برغبة ولهفة ومحبة ليسمعوا محاضرات سماحته الهادفة المعلمة المرشدة المؤثرة، المليئة بالعلم الغزير، والتوجيه الإسلامى الإصلاحى العظيم. إنها الدعوة إلى معرفة الإسلام بجوهره الصافى: التوحيد ـ التفقه فى الدين ـ مكارم أخلاق الإسلام ـ السمو فى العبادات والأعمال والمعاملات.

كلام بليغ يدخل القلوب، وأسلوب رفيع يأسر النفوس، المطر ينزل كالطل، والمئات بمظلاتهم يقفون بالشارع فى البرد والمطر، يحيطون بالمسجد إحاطة السوار بالعصم. إنهم يسمعون كلاما عجبا، ونصائح غالية، وخبايا التاريخ ذات العبرة المؤثرة مما يتمايلون لها طربا. وبلغ التأثير أشده فكان مئات من رجال وشباب النصارى يقفون بالشارع حول المسجد مع جيرانهم المسلمين راغبين فيما يسمعون من سماحته، مشدوهين ببياناته العظيمة التى تروى غليل العالم والمتعلم، والمستمع والسائل، مما لم يسمعوا بمثله من أحد، لم يجدوا فى تاريخ حياتهم نظيرا.

وكان ـ طيب الله ثراه وأعلى مقامه فى الفردوس الأعلى ـ يدعو جميع المذاهب الدينية والسياسية إلى سماحة الإسلام والانتفاع بشريعته الكاملة لدنياهم وآخرتهم، ويكشف زيف الباطل على مهارة واتقان.

أجل، لقد كانت محاضرات سماحة الشيخ المشتهرى تهز القلوب وتحرك العواطف والشعور، وتتمشى مع الفطرة السليمة، وتشحذ الهمم، وتصفى النفوس وتستأصل الأحقاد والضغائن، وتوحد الصف وتزرع الألفة والمحبة بين المسلمين والناس، كل الناس (لا إكراه فى الدين) وتحقق الإخاء الإسلامى العظيم بين مختلف فئات المسلمين، والإخاء الإنسانى بين أهل الأديان. وتدعو الجميع إلى الترفع عن سفاسف الخلافات ومتاع الدنيا الزائل، والسمو إلى درجة الإحسان عبادة ومعاملة.

هذا ما دعا إليه سماحة المشتهرى فى محاضراته: دعا المسئولين عسكريين ومدنيين،

ودعا الشعب علماء وزعماء، قادة وأحزاب، أفرادا وجماعات، رجالا ونساء، طلابا وطالبات.. دعاهم جميعا إلى سماحة العقيدة، والتعاليم النبيلة العظيمة، التى تصلح كل جزئية من جزئيات الحياة، وتسمو بها إلى المثل العليا، وأن تكون القاسم المشترك فى التعامل فيما بينهم ومع جيرانهم غير المسلمين.

أجل لقد عرف سكان اللاذقية وضواحيها عظمة الإسلام وجوهره الصافى وإصلاحاته البناءة التى ترافق كل جزئية فى حياة الإنسان وتهمين عليها وتضبط حسن تصرفها.. عرفوا ذلك كله من بيانات سماحة العالم العلامة، مرشد الأجيال ومربيها: الشيخ مشتهرى.

وعرفوه من محاضراته التى عالجت أمراض المجتمع كافة، وأعطت الوصفة الطبية المفيدة المجربة والعلاج النافع الشافى.

إنه الإخلاص والعلم والأخلاق والإيمان، والسمو فى التعبير والبيان، والحجة الدامغة: بهذه الصفات مجتمعة، فتح الشعب اللاذقى بجميع فئاته ومعتقداته قلبه لمرشده الكبير المخلص سماحة المشتهرى.. ولقد بلغ تأثير هذا الداعية العظيم فى الشعب اللاذقى المسلم مبلغا عظيما إذ استجاب لندائه - نداء الإسلام - آلاف الرجال والشباب الهاجر للمساجد، فعادوا إليها رغبة وحبا وطاعة لله سبحانه، كما عادت آلاف الفتيات والنساء من أهل السفور وتاركات الصلاة إلى الحجاب والصلاة ولله الحمد والمنة.

والحق يقال: إن الفتح العظيم الذى حصل بدعوة سماحة المشتهرى فى اللاذقية، والكرامة التى منحها الله سبحانه لهذا الداعية العالم المخلص، وهذا التوفيق العظيم بتوبة المسلمين وإنابتهم إلى الله جلّ جلاله، وإقبالهم على الطاعة وحسن التعامل فيما بينهم ومع غير المسلمين، والذى لم يسمع بمثله فى القرن العشرين بمدينة أخرى ليعد كرامة كبرى لهذا الشيخ الذى يندر وجود مثله.

والأغرب من هذا التغيير العجيب فى مدينة اللاذقية، أن محاضرات الشيخ مشتهرى عطلت دور السينما وأوقفت حركتها المعتادة، فأصبح غالبية روادها فى مسجد العجان يوميا أو فى فنائه أو فى الشوارع المحيطة به، أو فى المقاهى المجاورة له، والكل آذان صاغية لما يتكلم به سماحة المشتهرى. ذلك لأن مشهد الحشد حوله وبياناته وأسلوبه الأخاذ بمجامع قلوب

السامعين، أكثر تأثيرا من كل ما يقال ويروى فى أفلام السينما. ولقد ضاق الحال بأهل دور السينما فعمدوا إلى استئجار النساء البارعات فى الدعاية للأفلام ليطفن على البيوت يشوقن أهلها للحضور إلى السينما، فلا يجدن استجابة تذكر، وليس من شك أن هذا الحدث ليس له مثيل فى العالم.

ومن آثاره - طيب الله ثراه -: أن أربعة آلاف امرأة كانت تسمع درس سماحة المشتهرى فى الجامع الجديد المشهور. ولقد استطاع بإخلاصه ومنزلته الرفيعة فى قلوب المسلمين فى اللاذقية حل مئات المشاكل المعضلة، وفض المنازعات المستعصية بين المسلمين، وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين.

ومن آثاره - رحمه الله -: أنه عقد عدة لقاءات مع كبار مشايخ العلويين بغية تقريب وجهات النظر مع أهل السنة ودعوة إلى وحدة صف الأمة.

وعندما حان ميعاد رحيله شيعه أهل اللاذقية بالهتاف والدعاء والبكاء فى مظاهرات عارمة تبلغ الآلاف مرددين: (يا لطيف - يا لطيف - ارجع لنا الشيخ عبد اللطيف) كما أوردت ذلك مجلة المصور المصرية فى عددها الأسبوعى الصادر وقتئذ ضمن تحقيق صحفى عن أعمال الشيخ .

سفره إلى بقية الدول العربية:

سافر إلى السودان ثلاث مرات، وكذلك دُعى إلى الكويت ثلاث مرات، وكذلك عمان حيث تولى الإذاعة الموجهة إلى إقليم ظفار العمانى ضد المتمردين بهذا الإقليم. وقد هدى الله الكثيرين على يديه فكانوا ينزحون من هذا الإقليم ويلقون أسلحتهم للسلطات العمانية استجابة لنداءات الشيخ لهم عن طريق هذه الإذاعة فيجذبهم إلى نور الله.

وقد دعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة السعودية لزيارة الجامعة بالرياض لإلقاء محاضرات على طلبة الدراسات العليا وإلقاء بعض المحاضرات العامة وذلك فى غضون شهر ربيع ثانى عام ١٣٩٧هـ ولابد أن الكثيرين يتشوقون إلى معرفة منهج الشيخ فى التدريس وما هى المحاضرات التى ألقاها على هؤلاء الطلبة. ونظرا لأن مهمتنا الأساسية فى هذا الكتاب هى إلقاء الضوء على شخصية الشيخ من نواح متعددة - باعتبارها شخصية

متميزة وقائدة، فإننا سنحاول الإشارة الموجزة إلى هذا الأمر داعين الله أن يكون هذا المنهج نبراسا يهتدى به الدعاة وهم يقومون بمهمتهم المقدسة فى الحياة.

نبذة عن محاضرات الشيخ فى المعهد العالى للدراسات الإسلامية بالرياض (السعودية):

إن أهم ما يميز شخصية الشيخ مشتهرى هو الالتزام الشديد بالمبادىء التى يعتنقها والنظام الأشد فى أمور حياته كلها، والعناية بكل عمل يقوم به سواء صغر هذا العمل أو كبر عملا بقول الرسول الكريم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

ولذلك فإنك تجده قد قام بالتحضير لتلك المحاضرات كتابة واستيعابا كأحسن ما يكون التحضير. وربما قام كثير من المدرسين أو الأساتذة بإلقاء الحصص أو المحاضرات بدون تحضير. ولكن السر الذى يكمن وراء عظمة الشيخ وشهرته هو تلك الدقة والاهتمام الذى يوليه كل عمل يقوم به. وكتابة كل ملاحظة تعن له أو حادثة تطرأ خلال تدريسه لتلك المحاضرات.

من هذه الملاحظات:

- كان المطلوب من الشيخ التدريس لطلبة الدراسات العليا (قسمى خطابة ودعوة). ولاحظ أن قسم الخطابة يدرس له خطابة مرة واحدة فى الأسبوع دون دعوة، فكتب تلك الملاحظة وأتبعها باستنكاره وتساؤله: إن هذا أمر غير مفهوم. فكيف يتعلم الخطابة من لم يتعلم الدعوة؟ وقال: قد أقرنى على هذا العجب د. عبد الغفار عزيز المنتدب لتدريس المادتين بالمعهد.

- وزع المنهج المطلوب منه على سبعة أسابيع، وكان يكتب تاريخ كل محاضرة بالهجرى والميلادى، وما تم من تدريسه وما منعه من ذلك مثل (الأحد، الاثنين ١٣، ١٤ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ الموافق ١، ٢ مايو ١٩٧٧م أجازات لمناسبة شفاء الملك خالد وعودته لبلده). ومثل يوم (الثلاثاء ١٣٩٧/٥/٢٢هـ الموافق ١٩٧٧/٥/١٠م) كتب يقول: لأول مرة لم أعط فرقة (أ) الدعوة لأن العميد طالبنى مع د. عبد الغفار بوضع الأسئلة لامتحان الدعوة والخطابة. وقد تم ذلك ولله الحمد.

ـ كتب فى جدول التحضير: أن فرقتى (د، جـ) طلبوا إملاء رسالة المسجد كلها وأمليتها بالكمال لهما مثل بعض. أما فرقة (ب) فهم يميلون لكلامى الشفوى الوعظى أحسن من الإملاء مهما كان فيراعى هذا إن شاء الله.

ـ من ملاحظاته أيضا التى كتبها فى آخر يوم فى المحاضرات أنه يجب إعطاء كل فرقة (دعوة أو خطابة) فكرة عن الأسئلة من طريق بعيد.

أما موضوع المحاضرات نفسها فكان يدور نحو النقاط التالية:

ـ قيمة الدعوة وامتيازها ونيابتها عن الله وعن رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ثم أورثنا ـ ومن أحسن قولا ـ ادع إلى سبيل ربك ـ لأن يهدى الله بك ـ من دل على خير).

ـ شرط الداعى الأساسى الإيمان بما يقول والانفعال به واستيعابه فى الذهن تصورا كاملا والعمل بعلمه حتى يؤثر فى غيره ولا يكون ممثل أو حاكى أو متصنع مثل الفرق بين الثكلى والمؤجر ـ من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ـ خلونا بالله فى ظلام الليل... يتحدث ليصدقه الله لا من أجل مدح الناس ـ تأثره بما ورد فى النصوص كوصف الجنة والنار حتى إذا تكلم تكلمت روحه المنفعلة فأثرت فى الأرواح.

ـ إدراك النصوص من الكتاب والسنة والتاريخ والسيرة وواقع الحياة.

ـ الكلمة الطيبة بنت شرعية للنية الصادقة وأب شرعى للعمل الصالح (إليه يصعد الكلم الطيب... منافق القلب عليم اللسان ـ مرور عمر على آله قبل إصدار تعليماته ليحذرهم ـ العلماء ورثة الأنبياء).

ـ وسائل الدعوة فى عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعصر الحديث: (مكاتبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لخارج الجزيرة فى آسيا وأفريقيا بواسطة ممثليهم لدى العرب).

ـ صفة الخطبة وشروط الخطيب والفرق بين المحاضرة والخطبة والندوة والمناظرة.

ـ فضل المساجد لو أديت رسالتها. وروادها لو فهموها وعملوا على تحقيقها فهذا أصلح مناخ للإرسال والاستقبال (أى البقاع خير ـ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ـ مقومات

الرجولة ـ صلاة الجماعة وحكمتها ـ حسد اليهود على خمس ـ نظافتها وحرمة زخرفتها ـ المسجد كان للحكم والتعليم والأسير وجمع التبرعات والرد على الشائعات ـ المسجد لدنيا الناس ودينهم ـ تعليم الوفود ـ عقد المعاهدات ـ الفتوى...) .

ـ الجانب الاجتماعى فى أركان الإسلام: ما يراه الخاطب من المخطوبة ـ الرد على الباقورى فى الإباحة المطلقة.

ـ القرآن دستور الحياة: أدلة نقلية وعقلية على ذلك.

ـ سياسته صلى الله عليه وسلم فى تبليغ التوحيد: مراحل الإبلاغ ـ أسلوبه ـ ثمرة النجاح ـ آيات الإبلاغ بمكة والمدينة.

والملاحظ أن تلك نقاط الموضوعات فقط التى تكلم فيها الشيخ أما صلب الموضوع نفسه فلا شك أنه تكلم فيه بإسهاب وأسلوب شيق لدرجة أن الطلبة كانت تفضل أسلوب الشيخ الشفهى عن الإملائى لأنه عندما يتكلم لا تحده حدود ولا تقيده قيود نتيجة ما حباه الله به من غزارة علم وسعة أفق وعمق يقين.. ندعو الله أن يعوضنا عن فقده خير عوض، ويجازيه عما بذل للمسلمين خير الجزاء.

وقد طلبت منه الجامعة البقاء فى السعودية أو تكرار تلك الزيارة ولكنه كان ـ رحمه الله ـ يرى أن الجهاد الحقيقى له فى مصر، وسط ملايين البشر الذين هجرهم كثير من العلماء فى تلك الآونة وسافروا إلى البلاد العربية تأمينا لمستقبلهم المادى ومستقبل أولادهم.

ولكن الشيخ مشتهرى كان يحمل على عاتقه أمانة كبيرة وهى إمامة أهل السنة التى بويع لها فى مارس عام ١٩٧٦ . فآثر أن يقوم بأداء تلك الأمانة خير قيام مهما عرض عليه من كنوز الدنيا كلها. فالآخرة خير وأبقى. وندعو الله أن يكون عند حسن ظن عبده المشتهرى به.

من حصاد أعمال الشيخ مشتهرى

إن المتتبع لأعمال الشيخ مشتهرى، لتبهره تلك الحصيلة الهائلة من الإنجازات التى حققها ذلك الشيخ الفاضل - رحمه الله - ولعرف أن عباد الله الصالحين، يمدهم الله بمدد رسوله الكريم. فأعمالهم لا تقاس بالشهور والسنين، ولكنها عطاء من رب العالمين، تدل على قدرة الله العظيم.

ولعرف أيضا المتتبع لتلك الأعمال أن عظمة الرجال لا تأتى من فراغ بل هى حصاد جهد وعرق السنين، وإخلاص لرب العالمين، فالجهد الذى يبذله المؤمن المخلص لا يبتغى به جزاء ولا شكوراً من أحد، ولكنه يقصد به الدرجات العلا فى جنات الرحمن والصحبة مع خير الأنام.

ونحن لن نستطيع بأى حال من الأحوال بيان ما بذله الشيخ من جهد فى سبيل الدعوة إلى الله خلال سبعين عاما. حيث بدأ تلك الرسالة المقدسة وهو فى الحادية عشرة من عمره، تلبية لتطلعات روحه التى عشقت الملأ الأعلى، واستجابة لإمكانياته الفكرية والعقلية فى استيعاب العلوم الإسلامية بسرعة مذهلة، حيث حفظ القرآن الكريم وهو فى العاشرة من عمره، واستوعب كل ما يسره الله له من علوم فى تلك السن المبكرة نتيجة رعاية أساتذته له منذ نعومة أظفاره، لما رأوا فيه من ذكاء وفطنة ورغبة فائقة فى تحصيل العلم.

وسنحاول - بعون الله - بيان مؤشر لأعمال الشيخ، أما أعمال الشيخ نفسها، فلا يعلم عدها وإحصاءها، إلا المولى عزّ وجلّ، لسبب بسيط هو أن الشيخ يبذل الجهد فى دعوة الناس إلى الله وتحريرهم من براثن الشيطان، وتبديد الجهالة والظلمات التى تعوقهم عن طريق الرحمن منذ عام ١٩٢٦ هـ وتسجيل الشرائط بالشكل المتداول به حاليا لم يبدأ إلا فى منتصف السبعينات أى بعد حوالى نصف قرن من الجهد المتواصل للشيخ.

أى أننا سنحاول بيان أعمال الشيخ فى عشرين عاما فقط أى منذ حوالى ١٩٧٥ إلى ١٩٩٥. وعلى أولى الألباب - بعملية إحصائية تقوم على تقدير المعلومات من العينة - أن يعرفوا حقيقة الجهد الذى بذله الشيخ، ويعرفوا بالتالى أن شهرته التى بلغت الآفاق لم تكن من فراغ، وأن



الرئيس مبارك يسلم الشيخ مشتهرى نوط الامتياز من الدرجة الأولى
تقديراً لجهوده فى ميدان الدعوة (وذلك عام ١٩٨٩م)

تقدير الدولة له بإعطائه وسام من رئيس الجمهورية يمثل نوط الامتياز من الدرجة الأولى، كان عن جدارة يستحقها، وأن وضعه فى الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة، هو نتيجة جهاد طويل عبر السنين، وأن الإقبال الشديد على كتبه وشرائطه لم يكن إلا تجسيدا لكفاءته وسعة أفقه وعمق يقينه.

وكل ما يسعنا فى هذا المقام أن ندعو للشيخ من أعماقنا دعاءً مخلصاً يعوض النقص فى تقصيرنا عن بيان أعمال الشيخ الحقيقية. وعزاؤنا فى ذلك أن الشيخ كان يسعى فى الحياة لا يبتغى غير وجه الله الكريم، ولا يسعده الثناء والمديح، ولكن يسعده التفاف القلوب المحبة المخلصة حوله، حيث تكون نوعا من رضاء الله عنه - كما يعتقد - ومؤشرا لوضع القبول له أولا فى السماء ثم سريان نور هذا القبول إلى الأرض. والله عند حسن ظن عبده به. وندعو الله أن يستجيب ظن الشيخ فيه ويجازيه خير الجزاء.

كتب طبعت للشيخ:

١ - تحديد الملكية أمام الدين والعقل والقانون.

٢ - مدرسة الصوم.

٣ - سيد الشباب.

٤ - الإيمان والمؤمنون.

٥ - فضل رمضان وأحكام الصيام.

٦ - شريعة الله فى الصوم والصلاة.

٧ - الدنيا مع الآخرة على طريق الإسلام.

٨ - المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح.

٩ - من أنوار القرآن الكريم.

١٠ - أنت تسأل والإسلام يجيب.

١١ - التذكير بآيات الله فى النفس (من البداية إلى النهاية).

١٢ - هذه دعوتنا. وهذا الكتاب يدرس فى المعاهد الدينية للأزهر الشريف.

بالنسبة إلى جهوده المسموعة والمرئية فى مجال الدعوة إلى الله:

فإن القلم يعجز عن توفية تلك الجهود حقها، لأن الأرقام فى حد ذاتها لا تحمل ما بذله الشيخ من جهد لإعداد تلك الدروس والمحاضرات، ولا تحمل ما بذله من معاناة فى الانتقال بين مساجد الجمعية الشرعية فى القاهرة ومساجدها فى أنحاء جمهورية مصر بأسرها: مدنها وقراها فى وجه بحرى أو وجه قبلى، فى طول البلاد وعرضها.

وإذا تكلمنا بالأرقام:

- فإن الكتيب الذى يحوى فهرست شرائط الشيخ مشتهرى يبلغ ٤٨ صفحة.

- عدد شرائط المجموعات ٧٠٨ شريط كل منه ساعة ونصف وتتمثل تلك المجموعات فى:

١ - تفسير القرآن التفصيلى فى ٢٤٩ شريطاً.

٢ - تفسير القرآن الموضوعى فى ١١٥ شريطاً.

٣ - السيرة النبوية العطرة فى ١١١ شريطاً.

٤ - الفقة الإسلامى فى ٧٠ شريطاً.

٥ - قصص الأنبياء فى ٢٥ شريطاً.

٦ - الدار الآخرة فى ٢٨ شريطاً.

٧ - محمد رسول الله فى القرآن فى ١٨ شريطاً.

٨ - العقيدة الإسلامية والتوحيد فى ٢٠ شريطاً.

٩ - الدعوة الإسلامية والدعاة فى ١٩ شريطاً.

١٠ - المواسم الإسلامية فى ٧ شرائط.

١١ - تفسير سورة الأحزاب فى ١٣ شريطاً.

١٢ - تفسير سورة الأنفال فى ٦ شرائط.

١٣ - تدريب وتكوين الدعاة فى ٦ شرائط.

١٤ - العدل فى الإسلام فى ٧ شرائط.

١٥ - السحر والحسد فى ٢ شريط.

١٦ - الإسلام وصحوة الضمير فى ٥ شرائط.

١٧ - الأسرة المسلمة فى ٧ شرائط.

- هذا علاوة على ٦٠٣ شريطاً لخطب الجمعة فى موضوعات تهم المسلمين ومناقشة قضايا الساعة.

- بالإضافة إلى ٢٢٧ شريطاً تمثل دروس ومحاضرات ألقاها الشيخ فى بلاد عدة ومناسبات متنوعة.

- أما بالنسبة لشرائط الفيديو، فقد سجل ١٣ شريطاً زمن الشريط الواحد ٣ ساعات، وكل منه يحوى أربعة موضوعات أى كل موضوع يستغرق ٣/٤ ساعة.

تعليق على الأرقام:

إن النظر إلى تلك الأرقام مجردة عن الظروف المحيطة بها قد لا تعطى الدلالة الكافية على الجهد الجبار الذى بذله الشيخ بنفس راضية وابتسامة مطمئنة توحى بعمق الصفاء النفسى الذى يشعر به الشيخ فى البذل والعطاء. ولكن بتحليل بسيط لتلك الأرقام نعرف أن طريق المجد شاق ويتطلب العمل المتواصل المقرون بالدقة والالتزام والاخلاص:

- إن عدد الشرائط هذا يعتبر منذ تاريخ قريب فى رحلة جهاد الشيخ أى فى الثلث الأخير منها تقريبا.

- إن الموضوعات التى تتضمنها تلك الشرائط موضوعات قيمة استغرقت إعدادا كافيا من الشيخ وجهدا وافيا.

- إذا علمنا أن الشيخ كان يخصص لكل يوم فى الأسبوع موضوعا معينا يوفيه حقه من الشرح والتمحيص فإنه بحسبة بسيطة نجد أن القرآن التفصيلى (والذى شرحه فى ٢٤٩

شريطا) قد استغرق ما يقرب من خمس سنوات ليختمه بحمد الله وفضله، بعد أن يكون قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة.

- أن خطب الجمعة التى بلغت ما يقرب من ٦٠٠ شريط استغرقت ما يقرب من اثنى عشر عاما، رحل فيها الشيخ إلى بلاد عدة منها: سبك الأحد - كوم حلين - قليوب زفتى - الزقازيق - المنصورة - الجيزة - ميت بره - بنها - شطانوف - القناطر - منيا القمح - دمياط - سندا بسط - أسيوط - الدلجامون - المحلة - الزفازيق - أبو النمرس - أبو جوان - كوم أشنين - كفر رمادة - طنطا - السنطة - نبروه - الإسكندرية - أجا - العريش - أبو صير - سمادون - شبين الكوم - كفر شكر - بنى مزار - بنى سويف - الفيوم - شنوان - الباجور - العزيزية - قلما - البدرشين.

هذا علاوة على مساجد الجمعية الشرعية داخل القاهرة: سواء فى القاهرة القديمة أو المطرية - أو حلوان - أو المعادى - أو شبرا الخيمة - أو بهيتم أو..........

- إن تلك الأرقام لا تمثل الدروس التى كان يلقيها الشيخ فى الجمعيات الأخرى، أو خطب العزاء التى كان يذهب لمواساة أصحابها، أو المؤتمرات العلمية والندوات الثقافية فى الجامعات والهيئات المختلفة أو الأحاديث الصحفية التى كان يدلى بها للصحفيين نتيجة مركزه الهام سواء وظيفته فى الأزهر أو إمامته لأهل السنة.

- من كل ذلك يتبين عظمة الجهد الذى بذله الشيخ وأن إنجازاته حقا تقدر بمئات السنين وليس بالعمر الفعلى الذى عاشه على الأرض.. إنه أنجزها بعمره الروحى الذى يبلغ من الثراء ما تنعكس آثاره على أعماله وأخلاقه وطموحاته التى لا تنتهى فى سبيل عمل الخير.

ولكى تكتمل الحقيقة فى أبعادها لابد من إلقاء نظرة موضوعية على أعمال الشيخ بعد أن ألقينا نظرة رقمية، تشمل تلك النظرة: منهجه فى تفسير القرآن - منهجه فى الدفاع عن السنة - موقفه من بعض القضايا العامة - نماذج من فتاوى الشيخ.

منهاجه فى تفسير القرآن الكريم:

تناول الشيخ مشتهرى شرح القرآن مرتين مرة تفصيليا ومرة موضوعيا.

أولا: بالنسبة لشرح القرآن تفصيليا: فقد استطاع بفضل الله وحوله وقوته وما

وهبه من ذكاء وعلم وفطنة وسلاسة أسلوب واستيعاب اللغة العربية استيعابا متقنا، ودراية بالأحداث الجارية والماضية (الداخلية والخارجية) . استطاع بفضل هذا كله أن يقرب إلى الأذهان والوجدان كيف أن القرآن دستور حياة:

- ففى أول سورة البقرة بين أن هذه السورة لا بد أن يعرفها كل مسلم أو مسلمة معرفة تامة لأن فيها طباع اليهود وكيف عاملوا الأنبياء بمكر ودهاء، وأنهم لا يلتزمون بعهود ومواثيق، وقارن بين الماضى والحاضر ومواجهة النبى - صلى الله عليه وسلم - لهم بحزم ويقين، ومواجهتنا لهم بليونة وبعد عن الدين فكيف نحقق معهم أية مكاسب ونحن خالين الوفاض من الأسلحة المادية والعقائدية؟

- فى كل سورة يربط بين القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى عهد النبوة، وبين قضايانا فى العصر الحديث، ويبين كيف أن الضمير الحى واليقين هما سبب انتصار المسلمين على كل قوى الإلحاد والشرك رغم ضعف الإمكانيات المادية والعددية للمسلمين وقتها، وتفوق قوى البغى والعدوان فى كل مجالات الحياة.

- كان يهمه جدا بيان دور المساجد فى حياة المسلمين حيث كانت القطاع القائد للنهضة الإسلامية فى عصر الرسالة الأولى وما بعدها من عصور. ولذلك كان يرحب دائما فى كل درس بالحاضرين من رجال ونساء تركوا راحتهم بالمنزل، لتلقى العلم النافع والاجتماع على محبة الله، ويبين مكانة المتحابين فى الله ويذكر أهمية الدروس فى شفاء القلوب وتجديد الإيمان مثل تعهد البيوت بالنظافة والصيانة.

- لم يتوان لحظة فى مواجهة وسائل الإعلام إذا تعرضت لتزييف حقائق الإيمان ويبين وجه الحقيقة فى كل مرة ويستنكر كيف أن وسائل الإعلام أصبحت منابر أخرى يستقى منها الناس عقيدتهم، رغم أن كل مهنة تعتز بتخصصها ويحرم على الغير ممارسة تلك المهنة مثل الطب والصيدلة و.... ويتساءل: لماذا إذن الدين يقحم الجميع نفسه فى الإفتاء فيه بحجة الحرية؟ رغم الجهل بأصول الدين وفروعه والأحاديث النبوية والفقه و...... ويحذر من استشراء تلك الظاهرة حتى لا تنفك عرى الدين.

- كان هدفه دائما تدعيم عقيدة المسلمين: سواء بعرض نماذج من الإيمان المجسم لمؤمنين

صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أو عرض حرية الإيمان والتوحيد باستعراض مواقف الصحابة مع الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكيف نزل القرآن مؤيدا لرأى بعضهم أثناء مناقشتهم بعض القضايا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم -، حيث أن القرآن استجاب لصرخة امرأة خائفة من الضياع وكانت تجادل الرسول دفاعا عن كيانها وأولادها فنزلت سورة المجادلة..

- ومن وسائله أيضا فى تدعيم العقيدة: مناقشة القضايا التى يثيرها ضعاف الإيمان من وقت لآخر مثل:

* هل الإنسان مسير أم مخير؟

والشيخ حددها بحزم لا لبس فيه وبين أنه فى حالة سلب الإرادة فالإنسان مسير مثل النسيان والإكراه.

أما فى حالة التخطيط والتفكير فى المعصية فالإنسان مخير بلا شك ومحاسب على تخطيطه هذا.

* قضية الناس على دين رؤسائهم.

وبين أن كل مؤمن محاسب على عمله وأن كل نفس بما كسبت رهينة، وشرح الآيات التى تبين عاقبة من اتبعوا رؤساءهم وكبراءهم ولكل منهم ضعفين من العذاب الرؤساء: بسبب الضلال والإضلال. والمرءوسين: بسبب الضلال والتهاون فى تحرى الحقائق.

وتساءل بشدة: لماذا يدقق الناس جيدا عند شراء أى متاع دنيوى ولا يتحرون الدقة فى أمور دينهم.

- كان يحرص بصفة مستمرة على بيان مواصفات المسلم الحق وقد جمعت تلك المواصفات الآية الكريمة:

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (الأحزاب ٣٥).

وشرح الشيخ كل درجة من هذه الدرجات وأجملها فى قوله: إن الإيمان الحق هو تسليم الظاهر مصحوب بالتصديق الباطنى والثقة فى الله والخضوع له.

وبين أن الناس فى الآونة الأخيرة أعرضوا عن الإسلام ثم نسبوا تخلفهم للإسلام. وجهلوا أن النكسات والهزائم عقوبة من الله بسبب البعد عن الإسلام عنادا مع أنفسهم. وكثيرا ما كان يردد: جربتم الشيطان فجربوا الرحمن.

- بين دائما فى شرحه لآيات القرآن الكريم أن قوة الدولة الإسلامية الرادعة ضرورة لفرض هيمنتها على قوى البغى فى الداخل والخارج وبذلك يتوفر الأمن للناس لممارسة دينهم، فالأمن والإيمان متلازمان.

- برع الشيخ مشتهرى فى تقريب مشاهد يوم القيامة إلى الأذهان حتى كأن الحاضرين تحتبس دماؤهم خشية من الله وإجلالا له، وتخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. ولا شك أن هذه مقدرة يتمتع بها الشيخ نتيجة تفهمه للعقيدة وأصول الدين، فيصول ويجول فى ميدان الحق بتمكن لا يتيسر إلا لأولى الألباب.

- نجح الشيخ - والحمد لله - فى بيان مكانة المرأة الحقيقية فى الإسلام وأزال كثيرا من اللبس الذى يحيط بتلك المكانة الرائعة، وفى نفس الوقت أكّد على أهمية احتفاظ المرأة بحشمتها وفضيلتها حتى لا تكون سببا فى إشاعة الفاحشة فتأخذ وزرها ووزر من افتتن بها، فقد وضع الله فيها من أسراره ما جعلها فتنة للناظرين، فيجب أن تتقى الله فيما أوكل إليها من أمانات وما أناط بها من مهام. فالتكليف يصاحبه التشريف، وضرب للمرأة المثل الأعلى فى ذلك وهن أمهات المؤمنين رضى الله عنهن جميعا.

القرآن وقضية الإلحاد (قضية كل العصور):

ونحن نعرض لمنهج الشيخ فى تفسير القرآن، كان لا بد من عرض قطرة من هذا الخضم المتلاطم، لتكون بلورة لما نقول وقد اخترنا آيات قال الشيخ نفسه عنها: إن كثيرا من المسلمين لا يفهمونها حق الفهم. وقد أردنا عرضها لأنها تفيدنا كثيرا فى عصرنا الحالى الذى انتشرت فيه المادية والإلحاد وتكالبت على فك عرى الإيمان فى كل الجبهات. وقد فنّد الشيخ - رحمه

الله - ادعاءات الشيوعية، وكل من سار فى ركبها حتى يخلصهم من ظلمات الشيطان ويأخذ بهم إلى نور الإيمان.

تلك السورة هى: سورة البينة نختار منها تلك الآيات:

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة. رسول من الله يتلو صحفا مطهرة. فيها كتب قيمة﴾ (البينة ١ : ٣).

قال الشيخ فى تفسير تلك الآيات:

إن الله يقرر، وقراره صدق، ويقضى وقضاؤه محكم: أن أهل الدنيا كلها يوم أن كانت الإنسانية فى الجاهلية، كان المشركون فى العالم، وأهل الكتاب المنسوبون إلى اليهودية والنصرانية، كانوا فى الجهالة وفى الظلم، وكانوا مستمرين فى القسوة وفى الخرافات وفى التضارب والتطاحن والتدابر، ولم يكن يتصور أن ينفك هؤلاء المشركون ولا أهل الكتاب عن جهالتهم وعن ضلالتهم إلا إذا أتاهم برهان من الله على يد حبيب الله ومصطفاه محمد - صلى الله عليه وسلم -.

اقرأوا الآية الأولى وافهموها جيدا، فهناك ملايين من المسلمين يقرأون هذه الآية ولا يفهمون لها مغزى:

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾ أى أن الله يقول: لم يكن فى استطاعة المشركين من أنفسهم، بعلمهم وثقافتهم، ومعهم أهل الكتاب والجميع كفرة فجرة، سواء كانوا من المشركين عباد الأصنام والوثنية، أم كانوا من أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين يزعمون اتباع موسى أو عيسى عليهما السلام - لم يكن هؤلاء أبدا يتصور انفكاكهم، وتركهم للهمجية والشرك والضلال الذى عمهم - لم يكونوا أبدا بحال يستطيعون فيه الفكاك مما هم فيه من ضلال وجهالة إلا لما جاءتهم البينة.

ما هى البينة التى فكت قيودهم، وحلت حبسهم، ونقلتهم هذه النقلة الطيبة المباركة، من ضلال إلى هدى، ومن عمى إلى بصيرة، ومن شرك إلى توحيد، ومن همجية إلى نظام؟ قال: ﴿رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة﴾.

وهذه الآيات تقرر أن سنة الله واحدة، وأن الدنيا ما دامت فى شركها وإلحادها وشيوعيتها ووثنيتها، وخرافات أهل كتابها، فإنها لا تزال فى الضلال حتى يرزقها الله عزّ وجلّ بقائد مؤمن يعلم ويعمل، ويدعو إلى الله على بصيرة، فهناك تنفك من جهاليتها، وهناك يرفع عن بصيرتها الجهالة، ويرفع عنها الغشاوة، وتنتقل من الظلمات إلى النور.

ودائما سنة الله واحدة فى أول العالم وآخره، وقد عاد للإسلام غربته كما أخبر سيد الأكوان صلى الله عليه وسلم:

«بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء. قالوا: من هم؟ قال الذين يصلحون ما أفسد الناس». (أخرجه السيوطى عن أبى هريرة)(*).

العالم الآن ظهر فيه الفساد فى بره وبحره وجوه. وما من شبر الآن فى الكون المادى السفلى إلا وفيه فساد، والفساد أساسه الإلحاد، لأن الإلحاد مادية محضة، لا تعرف خلقا ولا قيما ولا روحانيات ولا إلهيات ولا سماوات ولا جنة ولا نار.

الإلحادية الشيوعية التى تمثلها الشيوعية فى القمة الآن، هى عقيدة تكفر بالله ورسله وتكفر بيوم الجزاء، وتكفر بالخلق، وليس عندها إلا ما سطرته فى أول دستورها: «لا إله والحياة مادة».

أى أنه ليس للكون إله، والحياة: أكل وشرب وجنس وشهوات ونعم وملذات، وليس فيها مروءة ولا روحانيات.

* وفى قرارهم الثانى: «الخبز هو السلام».

أى أنك إذا ضمنت للناس لقمة العيش ورغيف الخبز، فقد تحقق السلام.

هؤلاء الشيوعيون الكذبة الملحدون الفجرة يكذبهم الواقع: فإن هناك دولا تعيش الآن لا على رغيف الخبز وحده، ولكن جاءتهم النعم المادية من كل حدب، وانصبت عليهم الشهوات حتى غرقوا فى براميل الملذات، فكل شىء فى الدنيا فيه متعة، سواء كانت لنفوسهم الأمارة بالسوء أو لأبدانهم، أتيحت لهم.

ونحن نرد على الشيوعية الملحدة، وعلى كل أنصارها فى مصر وفى غير مصر فنقول:

(*) حديث رقم ١٥٨٠ فى صحيح الجامع.

هؤلاء غرقوا فى الملذات، فلم لم يتحقق لهم السلام الذى تدّعون وتقولون فيه إن الخبز هو السلام؟ بل إن السلام أبعد عنهم كبعد الثريا من الأرض: فهناك الانتحار فى السويد، وهو أعظم نسبة موجودة الآن حسب إحصاء هيئة الأمم المتحدة، وهناك التقاتل والتضارب فى جوف أمريكا.. ويجوز أن أجهزة الدعاية تعمل عكس ما هو الحقيقة، فمن هو بعيد عن أمريكا، يظن بحكم تأثير أجهزة الإعلام عليه، أن أمريكا غارقة فى الملذات وراحة النفس. والواقع أن هذه الدول التى توفر فيها الخبز والطعام والمتعة، وانطلقت فى الإباحية وغرقت فيها للأذقان حتى أصبح الزنا يباشر فى الطريق علنا وجهاراً.. هذه الدول تعانى من كل الأمراض النفسية، وهناك كثير من الشباب يفرون من هذه الحياة ويتخلصون منها.

وإذا سألت العقلاء عن سبب الانتحار، مع وجود الخبز والانطلاق الجنسى فلا كبت ولا عقد؟

جاءك الجواب: أنهم أشبعوا البطون والنفوس، ولكنهم لم يشبعوا القلوب ولا الأرواح. فهناك خواء وفراغ فيهما. والإنسان ليس جسما حيوانيا ضخما كأنه الحمار أو الصرصار يملأ بطنه ثم يسخر فى العمل، ثم يموت وتنتهى حياته.. كلا!! الإنسان نوع آخر كرمه الله ونسبه إلى ذاته المقدسة، «يا عبادى» ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر﴾. ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾، يخلفنى فى تنفيذ أحكامى وتبليغ رسالتى. ونفخ الله فى هذا الخليفة الآدمى من روح الله، فأصبح هذا الآدمى مميزا عن كل حيوان فى الأرض، وعن كل ذى حركة وإحساس، مميز بالروح الربانية التى نفخها الله فيه من قدسه ورحابه سبحانه. هذه الروح لا بد لها من غذاء ولا بد لها من إمداد وتعهد دائم. وهؤلاء الذين تواصوا خيرا بأبدانهم وسلموا الأبدان كل الشهوات والمتع، وفهموا أن الخبز هو السلام، وأن الإنسان إذا انفك من الكبت والعقد، وانطلق فى كل امرأة يقابلها وفى كل بنت يلقاها يتمتع حسب هواه ومزاجه، هؤلاء الناس ظنوا أن هذه الإباحية المسعورة تحقق للناس السلام.

ونحن نسألهم: لماذا إذن تزايدت حالات الانتحار عندكم؟

وجوابنا هو: إن الشاب الذى يعطى نفسه الحيوانية شهواتها، يأتيه النداء الصارخ من بعيد: أين غذاء الروح؟ إن لك ربّا ستلقاه، وإن لك يوما ستقف فيه أمام الميزان، وإذا كانت قوانين

الشيوعية تنكر هذا اليوم، فإن قلب الإنسان من الداخل ومن الأعماق يناديه بأنه يستحيل أن يوجد هذا العالم مصادفة، ولا بد أن له ربّا خلقه، وربّا سينهيه، فالإله الذى بدأ الخلق يعيده وهو أهون عليه.

ولا يمكن فى عرف العقل السليم أن إلها حكيما قادرا، له الأسماء الحسنى، وله الصفات العليا، وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض، يخلق هذا الخلق، بسمائه وأرضه، وكواكبه وأنهاره، وبحاره وفصوله وأزمانه، علويه وسفليه، ثم ينتهى هذا العالم من غير حكمة ولا مصير. سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولو أن إنسانا رأيته أمامك يبنى بيتا منسقا جميلا، ثم يحشد فيه من كل أنواع التحف والبدائع والغرائب والعجائب، ثم رأيته بعد أن تم البناء والحشد والكمال ينقضه حجرا حجرا، ثم يعيد بنائه ثم ينقضه، لحكمت على هذا البانى بالجنون والهوس وأنه عابث: فلم بنى؟ ولم هدم.

فاتقوا الله يا أهل الإلحاد يا من تظنون أن الدنيا مبدؤها رحم ومنتهاها قبر، وأهدافها العليا طعام وخبز.. وأن الخبز هو السلام، ولا بد أن تنفكوا عن ضلالتكم وجهاليتكم لتحموا من يمشى وراءكم ويرفع شعاركم من دمار الروح والقلب فلا إله إلا الله، وهو السلام المؤمن الحى القيوم العزيز الجبار. اتقوا يوما ترجعون فيه إليه فيحاسبكم على ضلالكم وإضلالكم. لشعوبكم وشعوب غيركم. وهذا والله هو العذاب المبين.

ثانيا: بالنسبة لشرح القرآن موضوعيا:

نظرا لأهمية القرآن الكريم فى حياة المسلمين، فقد تناول الشيخ تفسيره وشرحه مرتين: مرة تفصيليا ومرة موضوعيا. ولكى نعرف أهمية التفسير الموضوعى فى العصر الحديث، نلقى نظرة سريعة عى ما قاله الشيخ محمد الغزالى فى هذا الصدد(*):

لقد شعرت - على ضوء ما أحسست من نفسى - أن المسلمين بحاجة إلى هذا اللون من التفسير. كيف؟ لقد صحبت القرآن من طفولتى، وحفظته فى سن العاشرة، وما زلت أقرؤه

(*) نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم، للشيخ محمد الغزالى، ص ٥ - ٦، فى المقدمة. دار الشروق، (الأجزاء العشرة الأولى).

وأنا فى العقد الثامن من العمر.. ثم بدا لى أن ما أقبس من معانيه قليل، وأن وعيى لا يتجاوز المعانى القريبة والجمل المسردة، فقلت: إنى ما قضيت حق التدبر فيه كما أمر منزله العظيم! يجب أن أغوص فى أعماق الآية لأدرك رباطها بما قبلها وما بعدها، وأن أتعرف على السورة كلها متماسكة متساوقة.. ثم شعرت بأن همتى دون هذه المهمة! وكدت أتوقف، ثم قلت: لأن أقطع شوطا أو شوطين فى هذا الطريق أفضل من أن أستسلم للعجز فى المراحل الأولى.

وأكرر أننى مستكشف قاصر، وأن الوادى الذى أستقى منه يسيل على قدرى أنا - وهو محدود - ولكنه يحث الخطى إلى ما هو أبعد، ويحدو أولى الألباب إلى الشأو الأعلى فى خدمة القرآن، وإماطة اللثام عن روائعه وبدائعه.

إننى أختار من الآيات ما يبرز ملامح الصورة، وأترك غيرها للقارىء يضمها إلى السياق المشابه، وذلك حتى لا يطول العرض ويتشتت، والإيجاز مقصود لدى..

وأنبه إلى أن هذا التفسير الموضوعى لا يغنى أبدا عن التفسير الموضعى، بل هو تكميل له وجهد ينضم إلى جهوده المقدورة. وهناك معنى آخر للتفسير الموضوعى لم أتعرض له! وهو تتبع المعنى الواحد فى طول القرآن وعرضه وحشده فى سياق قريب، ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس. وقد قدمت نماذج لهذا التفسير فى كتابى «المحاور الخمسة للقرآن الكريم» و «نظرات فى القرآن». ولا ريب أن الدراسات القرآنية تحتاج إلى هذا النسق الآخر. بل يرى البعض أن المستقبل لها! «أ. هـ».

ونحب أن نلفت النظر إلى أن الشيخ مشتهرى نهج فى تفسيره للقرآن الموضوعى هذا النسق الآخر «وهو تتبع الموضوع الواحد فى القرآن كله». وذلك حتى يكون المسلمون على بصيرة من قرآنهم وحتى يستقر فى قلوبهم على صفاء ونقاء، وتوفير مادة جاهزة للوعاظ تعينهم على أداء مهمتهم. وهذا ما قاله الشيخ - رحمه الله - فى أول شرحه للقرآن الموضوعى.. وهذا يدل على مدى الجهد الذى بذله، والعلم الفياض الذى وراء هذا الجهد، والحب الشديد للقرآن مما يدفعه إلى تذليل الصعاب وتيسيرها أمام فهم العامة له.

ولا غرو فى ذلك فالشيخ مشتهرى عاش بالقرآن وللقرآن، وسبق كل علماء عصره فى تلك العناية البالغة التى أولاها للقرآن.

ونوجز الموضوعات، التى تكلم فيها الشيخ فيما يلى:

١ - فضل وعلوم أحكام القرآن:

بدأ الشيخ بهذا الموضوع لأن القرآن الكريم هو ربيع قلوبنا ودستور حياتنا وصفه الله بأنه مهيمن على الكتب السابقة كلها أى رقيب عليها وحفيظ وشاهد. ويجب أن نتمسك به تمسكا يليق بعظمة القرآن فهو قد حوى كل العلوم من غير إفراط أو غلو. وينبئنا عن التاريخ والحاضر والمستقبل بكل الصدق من قبل آدم حتى يستقر الناس فى الجنة أو النار بعد القيامة. والذى أخبرنا به هو النبى الأمين الذى أسرى به الله ليلة المعراج ليريه ملكوت السماوات والأرض فكان إذا أخبرنا عن شيء فهو يخبر عن عين اليقين. وهذه نعمة على المسلمين: أن يتلقوا العلم اللدنى من مصادره النقية الصافية،

ولذلك فإن فلاح المسلمين الحقيقى فى دراسة القرآن حق دراسته والعمل به. وإذا جاء النص فى القرآن فلا نص بعده فى أى كتاب آخر من التوراة أو الإنجيل لأن أصحابها غيروا فيها من أجل شهواتهم فلبسوا الحق بالباطل ليشتروا به ثمنا قليلا.. ولكن الله لم يرض فى القرآن لأشرف عباده أن يزيد فيه حرفا واحدا. وكم رجا الكفار محمدا - صلى الله عليه وسلم - أن يلين بعض الشيء ويداهنهم. ولو كان محمد من أهل السياسة لهادنهم لأن السياسة مبنية على الأنانية والمصالح الذاتية. ولكنه رسول من رب العالمين: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله. قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ (يونس ١٥).

وقد تناول الشيخ فضل وعلوم أحكام القرآن فى ثلاث عشرة حلقة (أى فيما يزيد عن ثلاثة أشهر) تناول فيها النقاط التالية:

* بيان فضل القرآن الكريم - عدد آياته - مصدره - كيفية الوحى به: كيف كان ينزل وكيف كان يتلقاه صلى الله عليه وسلم - وماذا كان يحدث له عند نزول الوحى؟
* ما الفرق بين الآيات المكية والمدنية وما هى العلامات المميزة لكل منهما؟
* ما هى مدة الوحى. ومن هم كتاب الوحى وكم عددهم؟
* جمع القرآن الكريم فى عهد الصديق ونسخه فى عهد عثمان بن عفان.

* بعض الشبه والطعون التى أوردها المستشرقون والملحدون على بعض آيات القرآن الكريم والرد عليها.

* ذكر المحكم من القرآن والمتشابه وأحكام القرآن.

* تقسيم المسلمين إلى أربعة أقسام فى استفادتهم من القرآن كما أخبرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

* واجبات المسلم نحو القرآن: فهمه - كيف يقرؤه - الآداب التى يجب أن يتجمل بها حامل القرآن، آداب تلاوة القرآن. آداب حملة القرآن.

* عناية الله بالقرآن وكيف تعهد بحفظه إلى أن يرث الأرض وما عليها.

وقد جاهد الشيخ ليستعين بالألفاظ والأحاديث النبوية لشرح القرآن قدر الإمكان، حتى يبين أهمية الأحاديث فى فهم مراد الله، رداً على المزاعم التى تروج دعوة الاكتفاء بالقرآن. فأراد أن يثبت لهم بالدليل العملى أنه لولا أحاديث النبى الأمين ما فهمنا القرآن الكريم.. ورغم ما فى ذلك من جهد إلا أن الشيخ كان يستعذب الصعاب فى سبيل ترسيخ المبادىء الحقة للشريعة فى مفهوم العباد.

٢ - الشيطان وعلاقته بالإنسان فى القرآن(*):

بدأ الشيخ هذه السلسلة ببيان نظرة القرآن إلى الإنسان لأنه هو الذى سيتعرض للتلقى عن الله والملائكة والنبوة الخاتمة، وسيكون له جولات وجولات مع الشيطان يحاول فيها أن يبعد الإنسان عن طريق الرحمن. وكيف حذر القرآن كثيرا من مكائد الشيطان التى يدخل بها إلى الإنسان. حتى إذا فهم الإنسان عن ربه كيف يتقى تلك المكائد بسلاح الشرع نجا وأفلح وصار حبيب الرحمن.

ولذلك فقد اهتم الشيخ كثيرا ببيان نظرة القرآن إلى الإنسان وكيف خلق وكيف كرمه الله. فالإنسان فى نظر الشيوعية مادة يتم فيها تفاعلات كيميائية تسبب الحركة والشعور والإحساس

(*) يراجع تسجيلات الشيخ الصوتية (فى تفسير القرآن الموضوعى)، الشرائط رقم (٢٦٤ - ٢٧٠).

وليس له أى اتصال بالله قبل موته ولا بعد موته. وقد حسب الشيخ ثمن المادة التى يتكون منها الإنسان كما بينها العلماء (من دهن - كربون - فوسفور - ملح ماغنسيوم - جير - حديد - مادة كبريتية - ماء) فوجد أنها لا تزيد عن جنيه واحد أى لا يساوى علف حمار أو ثور يوما واحدا.. هذا على حين أن الإسلام يكرم الإنسان إلى أبعد مدى ويجعل حياته تمتد من قبل آدم إلى آخر الحياة وبعد الحياة من جنة أو نار. وتزيد قيمة هذه الحياة إذا اكتملت فيه صفات الإنسانية من نبل ومروءة وشرف وقيم رفيعة تستمد أصولها من الإيمان بالله وتعاليمه السامية. ولذلك قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن ابن مسعود القصير جدا وذو الرجل الدقيقة التى كان يعجب لها الصحابة: إن ابن مسعود رجله أثقل فى الميزان عند الرحمن من جبل أحد.. وهذا أعظم تقييم للإنسان.

ولقد تتبع الشيخ الطباع التى ذكرها القرآن فى الإنسان ومنها:

العجلة - خلق ضعيفا - كنود - كادح إلى ربه كدحا - خلق فى كبد - ظلوم كفار - ظلوم جهول - الشك فى البعث - الوسوسة فى الصدر - الغرور.

وبين أن الشيطان يدخل للإنسان من تلك الطباع.. ولذلك رحمة بالإنسان من الضياع جاء شرع الله ليكون سلاحا أقوى من الطباع نواجه به الشيطان. ولسنا بأعصى من العرب فى الجاهلية حيث استطاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يحول العرب من جاهلية جهلاء وحروب ووثنية إلى إخوة متحابين فى الله يؤثرون بعضهم على بعض بعد أن كان الواحد منهم يقول: أنا ومن بعدى الطوفان.

إذن تحويل الطباع عما عليه من السوء ممكن بسلاح الشرع نسلطه على أمراض النفس فنعالجها فننقذ أنفسنا من الشيطان الذى يريد أن يدفع بنا إلى نار الحقد والضلالة والجهالة والوثنية والشحناء والبغضاء وحروب الدمار.

إن معرفة النفس بأهمية بمكان لأنه يمكن بعدها معرفة موضوعات القرآن كلها ونعرف كيفية النجاة من مكائد الشيطان وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما قال:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

٣ ـ علاقة الإنسان بالكون فى القرآن(*):

تناول الشيخ فى تلك الحلقات نظرة القرآن إلى علاقة الإنسان بالكون الذى يعيش فيه: ما هى قرارات القرآن فى هذا؟ ما هى توجيهاته؟ وكيف انتهى القرآن إلى أن الإنسان ممكن أن يتعامل مع الكون كله. ليس معاملة معاداة أو تنافر وتطاحن وتدابر، ولكن معاملة انسجام واتساق وتعاون ومحبة.

والكون هو ما نسميه العالم. والعالم هو كل ما سوى الله عزّ وجلّ وجمعه «العالمين». ومن عجب القرآن أن تكون أول آية بعد البسملة:

﴿الحمد لله رب العالمين﴾. لأن الله يلفت أنظار المؤمنين من أول لحظة إلى علاقة المسلم بالعالمين. كأن الله يقول له: اعلم أن هناك عالمين وأن الله ليس ربك وحدك ولكنه رب العالمين وأنه هو المهيمن على هذه الأكوان كلها بأنواعها، وما من ذرة فى الكون ولا مجرة إلا وهى مسخرة بأمرالله وهيمنته وقدرته وتدبيره إلى أجل حدده الله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾. (السجدة ٥).

وعلى المسلم أن يتعرف على الكائنات الأخرى حيث يتعامل معها بأمر من الشرع فيحقق الهدف الأسمى من وجوده سواء كانت تلك الكائنات إنسانا مثله أو جنا أو ملائكة أو سماوات أو شموسا وأقماراً ومجرات وأثيرا أو بحارا وأنهارا أو نبات وجماد ومعادن سواء فى باطن الأرض أو ظاهرها. والله عزّ وجلّ يحثنا على التعمق فى هذه الكائنات سواء للتفكر فى عظمة الله أو لاستغلالها أحسن استغلال ممكن وإلا كان القرآن حشوا وعبثا وحاشا لله أن يفعل ذلك، فقد أودع كل أسراره فى كتابه عرف ذلك من عرف وجهله من جهل: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود ١).

وأعظم أنواع الكائنات فى هذا الكون هو جنس بنى آدم وخاصة الرسل منهم والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومتبعيهم بإحسان. أولئك هم الصفوة لأن عبادتهم لله اختيارية أما الملائكة فعبادتهم إجبارية فإنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى لا تكون لهم شهوة

(*) الشرائط رقم (٢٧١ـ ٢٨٠). أى ١٠ شرائط تناولت ذلك الموضوع فى حلقات تفسير القرآن الموضوعى.

ولا يتشاحنون ولا يتباغضون لأنهم خلقوا من نور. فالعبادة عندهم مثل التنفس عندنا ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (الأنبياء ٢٠).

أما الإنسان الذى ركب الله فيه الشهوات من ميل إلى الطعام والشراب. ميل إلى الجنس الآخر - حب التملك - حب البقاء - الفزع - الغضب - الجزع - الهلع - الكبر.... فإذا جاء هذا الآدمى وتعامل مع الله وهذه القواطع فى جسمه تحمله إلى المعصية - فإذا تغلب على هذه الطباع وعلى نفسه الأمارة وعلى الشيطان وعلى الهوى وعلى الدنيا الفاتنة - كان حقا على الله أن يكرمه لأنه دخل معركة مريرة وانتصر فيها وكان عاقبة أمره خيرا.. لذلك فإن أعظم الكائنات هو المؤمن الذى عرف ربه وعرف أسماءه الحسنى وصفاته العليا، وعرف أن له المثل الأعلى فى السماوات والأرض والسيادة المهيمنة، وسمع كلام الأنبياء وعمل الصالحات.. من أجل هذا يستحق أن يهيمن على عرش العالم وأن يعطيه الله رزقا من لدنه: ﴿وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه﴾ (الجاثية ١٣).

وهكذا من شدة حب الله للمؤمن أن كل ما فى السماوات والأرض مسخر له وأعطاه السيادة عليه: الشمس والقمر والنجوم والسحاب والحيوان والأنهار والنبات والمعادن وأسجد لأبيه آدم أطهر نوع عنده وهو الملائكة وشرف الأب شرف للأبناء.

وهكذا فالمؤمن مدعو إلى أن تكون علاقته بالكون علاقة نظر متكرر وبحث وتفتيش: ﴿الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ (الملك ٣).

ومن الغريب أن الديانات الأخرى غير الإسلامية بحثت فى السماء ونظرت بالأجهزة الجبارة إلى ملك الله فى السماء وأصبحنا نحن عالة نستورد هذه الكتب ونعتبر ما فيها حجة. ولو كنا خلطنا بين الإيمان بالقرآن وبين تنفيذه والبحث فى ملك الله لكان إيماننا أعمق وأصلب لأنه مصحوب بالعمل والتطبيق والبرهان العملى، ولكانت حياتنا أكثر رخاء وحضارة وتطورا. ولكن للأسف لم يستغل المسلمون الكون كما ينبغى ولا هم عبدوا الله حق عبادته مع أن الله عزّ وجلّ يقول فى حديث قدسى:

«يا عبدى خلقت الكون لك. وخلقتك أنت من أجلى، فلا تنشغل بما خلقت لك عنى فتكون من الخاسرين».

فلا بد أن يسير المسلمون فى الأرض يعمرونها ويستغلونها، ويتطلعون إلى السماء يكتشفون أسرارها حتى يعرفون الله جق معرفته ويعيشون أعزة كراما بخيرات الله التى يستثمرونها كما أراد الله بتسخيرها لهم. ونحن أولى بالبحث والتفتيش فى الكون من غيرنا حتى لا نعيش فى عزلة عن ديننا. وأول خطوات ذلك البحث هو العلم بعلاقة الإنسان بالكون فى القرآن الكريم ثم يلى العلم العمل.. وقد بين الشيخ كيف يتعامل المؤمن سليم الإيمان مع الكون بالكلمة والحركة سواء كان سماء أم كان أرضا أم كان هواء أم زمانا أم مكانا. ليلا كان أو نهاراً، صيفا كان أو شتاء شدة أو رخاء. وما هى الأدعية التى يقولها المؤمن عندما يفزع أثناء النوم وعندما يصاب بالقلق أو الأرق وعندما يستيقظ من النوم وعند دخوله المنزل أو خروجه منه وعند دخوله المسجد أو خروجه. كل ذلك لأن حركة المؤمن فى الحياة تكون باسم المصالح التى طلبها الله منه. وذكر الله يسهل له تلك المصالح ويبعد عنه معوقات الشيطان.. فاللهم وفقنا إلى ما تحبه وترضاه.

٤ ـ الصلاة ومشروعيتها(*):

نظرا لأهمية الصلاة فى إقامة دعائم الإسلام وتشكيل شخصية المسلم وتحديد علاقته بربه فقد اهتم الشيخ اهتماما بالغا ببيان محددات الشرع لإقامة الصلاة على وجهها الصحيح. فالصلاة لا ندخلها طفرة بدون مقدمات ولا فجأة بدون مبادىء، وإنما يقدم لها الإسلام تقدمة يوقظ الله بها الشعور وينبه العقل الغافل، ومن هذه المنبهات:

ـ **شريعة الأذان**: فهى الشريعة الأولى فى التنبيه على حلول وقت الصلاة المفروضة وشرح الشيخ أسرار الأذان لتعظيم من شرعه وهو الله، ويترتب على تعظيمنا لله حبنا له ويترتب على هذا الحب الإذعان له والخضوع لأوامره وسرعة تنفيذ مراده. والأذان كلمات مباركات صائحات، أولها إيمان وآخرها توحيد بالله وبينهما شهادتان بوحدانية الله ورسالة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم دعوة الناس للصلاة ثم دعوة بالنجاح والفلاح. فكأن الأذان يحمل العقيدة والعبادة والجزاء والسلوك أى أنه جاء بالدنيا والآخرة، ولهذا قضى الإسلام بإبطال كل حركة وكل صوت عند سماع أول صوت للأذان حتى لو كان الكلام فى عبادة

(*) يمكن مراجعة تسجيلات الشيخ الصوتية (٢٨١ ـ ٢٨٩)، أى ٩ شرائط من التفسير الموضوعى للقرآن الكريم.

مثل قراءة القرآن أو دروس دينية ومن باب أولى يمنع كلام الدنيا حتى ننصت خاشعين لدعوة الله نتدبرها ونلبيها.

- **آداب دخول المسجد والخروج منه**: فيجب على المسلم أن يدخل المسجد بقدمه اليمنى لأنه داخل إل مكان مفضل ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويدعو الله أن يفتح له أبواب رحمته. وعند الخروج يخرج بالقدم اليسرى لأنه خارج إلى مكان أدنى منزلة من المسجد ويدعو الله أن يفتح له أبواب فضله فيرزقه فى الحياة الدنيا.

- **سنن ما قبل الصلاة وبعدها**: تعتبر ضرورية فى عصر تشتت فيه فكر المسلم فى قضايا شتى، فهى تجبر التقصير فى فروض الصلاة وتمنع منافذ الشيطان فى هدم الفرض نفسه حيث تكون كالحصن الذى يحيط بالصلاة يحفظها من كيد الشيطان.

- وتكلم الشيخ عن **إقامة الصلاة وتكبيرة الإحرام** وآداب صلاة الجماعة كدعائم للصلاة.

- كيف تؤدى الصلاة حتى يقبلها الله؟

إن الصلاة رأس الإسلام بعد التوحيد، ولم يتركها الله للأهواء بل حدد شروط قبولها فى أربع آيات: ﴿وأقيموا الصلاة﴾. ﴿فى صلاتهم خاشعون﴾. ﴿على صلاتهم دائمون﴾ - ﴿على صلاتهم يحافظون﴾.

- معنى «**أقيموا الصلاة**» أى تؤدى كاملة الأركان والشروط والآداب، مثل الرجل القائم بصحته، أما المريض فهو يكون جالسا أو راقدا، فكذلك الصلاة يجب أن تعدل.

- معنى «**الخشوع فى الصلاة**: سكون الجوارح وحضور القلب مع الرب، فتبطل الحركات الكثيرة الصلاة. وعلامة الخشوع أن ترى الجمع فى صلاتك، فإذا لم تجد جمعا فى صلاتك أو تدبرا فى قراءتك ، فاعلم أن بك مرضا من سوء كبر أو قلة أدب ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق﴾ (الأعراف ١٤٦) فليس لك من صلاتك إلا ما عقلت.

- «**على صلاتهم دائمون**»: أى مواظبون على صلاتهم. فهناك من يصلى الصبح ويهمل

بقية الأوقات، وهناك من تشغله الدنيا عن أداء بعض الفروض، أو يجمع بعضها بدون عذر شرعي. وقد حذّر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من ذلك فقال:

«من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر».

- **«على صلاتهم يحافظون»**: يحافظون على قيمة الصلاة ومركزها. أى لا يرتكبون الفواحش بعد الصلاة ولا قبلها حتى يظل الرصيد من الأعمال الصالحة كما هو، فلايهتك عرضا ولا يظلم ولا يفسق ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت ٤٥) وهكذا مطلوب لكل من يريد أن يلقى الله طاهرا أن يحافظ على الدعائم الأربع للصلاة.

نموذج للصلاة التامة:

- ذكر الشيخ جواب بعض الصالحين على سؤال وجهه إليه شيخه عن كيفية الصلاة؟ فقال: أهيىء نفسى للصلاة هكذا: مستنجيا بالاستبراء - ثم متوضئا بالإسباغ - ثم قائما بالاستقبال - ثم ناويا صلاتى بالاستحضار - ثم مكبرا ربى بالتعظيم - ثم مستفتحا صلاتى بالأدب - ثم متعوذا بالتحصين - ثم قارئا الفاتحة والسورة بالتدبر - ثم راكعا بالخضوع - ثم معتدلا بالتوبة ثم ساجدا بالخشوع - ثم جالسا بين السجودين بالترقب - ثم راجعا للسجود الثانى بالأمل فى رحمة الله - ثم قائما لبقية صلاتى بالنشاط - ثم متشهدا بالثناء على الله والسلام على رسوله وأهله - ثم داعيا ربى بما يصلح أحوالى فى دنياى وأخراى - ثم مسلما على اليمين واليسار بين الرجاء والخوف هل قبلت صلاتى أم ردت؟ - ثم ختاما صلاتى بالاستغفار والأذكار المأثورة - ثم محافظا على صلاتى من أن يصلها البطلان بالذنوب والعصيان أو بضياع الخشوع والاطمئنان أو بالظلم والطغيان - ثم أؤكد قبولها بالتواضع والرحمة للناس والسعى فى برهم.

فقال شيخه: وفقك الله وتقبل منك صالح عملك.. هذه حقا هى الصلاة التى يتقبلها الله من المتقين..

٥ - الشفاعة فى القرآن(*):

تدرج الشيخ من بيان مقاصد القرآن الكريم المتجمعة فى فاتحة الكتاب وعلى رأسها

(*) شرائط رقم (٢٩١ - ٢٩٤)، ٤ شرائط من موضوعات التفسير الموضوعى للقرآن الكريم.

التوحيد الخالص ﴿إياك نعبد وإيّاك نستعين﴾ إلى شرح موضوع الشفاعة فقال ـ رحمه الله ـ: إن من يفهم بأن الشفاعة استئناف لشيء جديد لم يكن في علم الله فهو كافر.. ومن يفهم بأن الشفعاء كلهم (رسلا كانوا أو ملائكة أو صديقين أو شهداء أو علماء أو....) قد غيروا قرار الله وحولوه في الاتجاه المعاكس فهو أيضا كافر.. ومن يفهم بأن الشفاعة تأثير على الله بعد أن كان قدر شيء فتحول قدره إلى شيء آخر فهو أيضا كافر.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ (البقرة ٢٥٥) وقال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ (الأنبياء ٢٨).

فمعنى الشفاعة الديني والعلمي: أنها دعاء وتوجه من بعض أحباب الله بإذن من الله وإلهام منه، يأذن بها تكريما لهؤلاء الشفعاء بما قدموا في دنياهم من جهاد وتضحية. فلا بد أن يكون الشفيع مأذونا له من الله ومسجلا في كشف الشفعاء. ولا بد أن يكون المشفوع لهم أيضا قد أثبتت أسماؤهم بكشف مع الشفيع. فلا شفعاء إلا بإذن الله ولا مشفوعا لهم إلا بإذن الله.

فكل الشفعاء مستغفرون والله هو الغافر وداعون والله هو المجيب. والاستغفار والدعاء إلهام من الله.. وهناك ناس لن يقبل الله الشفاعة فيهم: ﴿قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾. (المدثر ٤٣: ٤٨).

أي أن الذين سيشفعون سيكون بأمر من الله ورضا منه عن المشفوعين ولن يعرف ذلك إلا يوم القيامة حتى إن الرسل يطلبون السلامة لأنفسهم والنجاة بذواتهم. ولن يتمالك نفسه إلا النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي يقول: أمتي أمتي. لأنه ادخر دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة.

وتكلم تبعا لذلك عن الوسيلة والنذر والدعاء والنداء. وقال إن أهم شيء للمسلم هو الاعتصام بشرع الله من قرآن وسنة ففيهما النجاة والأمان.

٦ ـ الوعد والوعيد في القرآن(*):

معناه: التبشير والإنذار.. الوعد دائما في الخير والوعيد يأتي في الشر. ولذلك كتب الإمام

(*) يراجع تسجيلات الشيخ الصوتية، شرائط رقم (٢٩٦ ـ ٣٠٧)، أي ١٢ شريطاً.

المنذرى كتابه عن الأحاديث النبوية باسم: الترغيب والترهيب. أى الترغيب فى الجنة بالطاعات والترهيب من النار بتجنب أسبابها.. وهذا رحمة من الله بعبيده أن أرسل الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بشيرا ونذيرا... واستعرض الشيخ آيات الوعد فى القرآن وشرحها بالأحاديث النبوية التى تؤيدها وتوضح معانيها، وكذلك بما يتلاءم مع تلك الآيات من أحداث مرت بها الدعوة الإسلامية.

ثم استعرض آيات الوعيد وبين أن الشر ليس من صفات الله ولكن الزجر للتأديب والتهذيب والإصلاح:

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ (البقرة ٢٥١). فالمولى عزّ وجلّ قال عن نفسه: ﴿إن رحمتى سبقت غضبى﴾ وقال فى كتابه الكريم: ﴿قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء﴾ (الأعراف ١٥٦).

* واستخلص الشيخ من هذه الحلقات ضرورة أن يرحم الإنسان نفسه بأن يبعدها عن إغضاب ربها، ويزجرها بوعيد الله لها إن ارتكبت معصية ويبشرها بما أعد الله لها من جنات ونعيم إن هى فطمت نفسها عن المحرمات وتطلعت إلى مكارم الأخلاق وتمسكت بشرع الله القويم.

وخالف النفس والشيطان واعصهما	وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما	فأنت تعلم كيد الخصم والحكم
فالنفس كالطفل إن تهمله شب على	حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

* وبعد رحمة النفس، على الإنسان أن يرحم أولاده بتعليمهم أساسيات العلم الدينى وبعض علوم الدنيا وينشئهم على مبادىء قويمة وأخلاق رفيعة.

* ثم يرحم والديه وزوجته وأقاربه وجيرانه وعشيرته ومخالطيه.

* وعليه أن يعمم رحمته بعمل معروف فى الحى الذى هو فيه حتى يرحم أهل حيه ويكون قدوة لغيره فى عمل الصالحات ببناء المساجد أو المعاهد الدينية أو دور حضانة أو مستوصفات للعلاج أو مصنع أو مشغل لتشغيل الأيدى العاطلة... وهكذا تصبح دروس القرآن

مع الشيخ مشتهرى مجالا لخوض الحياة على أسس ثابتة قائمة على شرع الله ومنهاجه القويم.

٧ - الإحسان فى القرآن(*) :

ذكر الشيخ أن هذا موضوع هام جدا لأن الله كرر ذكره فى كتابه وجعله أساسا من أسس الإسلام التى يتقبل الله عليها العمل. وبدون هذا الإحسان تكون الأعمال باطلة وفى هباء. ولذلك كان لا بد من تعريف معنى الإحسان وأنواعه ومجالاته ثم النصوص التى تتعلق به والجزاء الذى أعده الله للمحسنين لأن عملهم يكون خالصا لوجه الله قائما على الاتقان.

تعريف الإحسان: كثير من الناس يظن أن الإحسان هوالعطف على المساكين وإعطاء الصدقات لهم. ولكن الإحسان فى القرآن والسنة أعم من هذا وأعمق وأشمل حتى أن الله سمى أسماءه العظيمة المشرفة «بالأسماء الحسنى» ومعنى الإحسان هو : اتقان الصنعة فى كل شىء لأن الناقد خبير.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معرفا الإحسان: «**هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». (تخريج السيوطى عن أبى هريرة)(**).

وقال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شىء**». (تخريج السيوطى عن شداد بن أوس)(***).

مجالات الإحسان: مطلوب من المؤمن فى كل حركاته وسكناته وكلماته وعباداته حتى صمته. فأحيانا يكون الكلام معصية وأحيانا يكون السكوت حراما «**الساكت عن الحق شيطان أخرس**».

فالإحسان مطلوب فى الصلاة والصيام والزكاة والإحسان إلى الوالدين وإحسان المعاملة مع الناس والإحسان فى القول وفى أداء المعروف ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾ (الكهف ٧) ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾. (الإسراء ٢٣) ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ (البقرة ٨٣).

(*) من تسجيلات التفسير الموضوعى للقرآن الكريم (٣١٠ - ٣١٢) متمثلة فى ٣ شرائط.

(**) حديث رقم ٢٧٦٣ فى صحيح الجامع.

(***) حديث رقم ١٧٩٥ فى صحيح الجامع.

جـزاء الإحـسـان: لقـد أعـد الله للمـحـسنين مـنزلة عـاليـة لأن هذا مـعناه إخـلاص العـقـيـدة وإخـلاص العـبـادة وإخـلاص العـمل فـاسـتـحـقـوا إحـسـانـا من الله جـزاء إحـسـانـهم: ﴿هل جـزاء الإحـسـان إلا الإحـسـان﴾ (الرحـمن ٦٠) ﴿للذين أحـسنوا الحـسنى وزيادة﴾ (يونس ٢٦) ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ (آل عمران ١٧٢).

وهكذا فإن الإحـسـان منزلة عظيمـة فى القـرآن وفى السنة لبناء المجـتـمع الإسـلامى على أسس راسخة من نبل الأخلاق والتعامل النابعان من سمو العقيدة وأصالتها.

٨ - الجن فى القرآن(*) :

بمناسبة الحديث عن علاقة الإنسان بالكون تحدث الشيخ عن علاقة الإنسان بالملائكة فى حلقتين وعـلاقة الإنسان بالشياطين فى خمس حلقات من جهـة عـلاقتنا بهم حيث يضروننا بالوسوسة والإضلال.

وقد أفرد الشيخ حلقات طوال (٣٣ حلقة) للحديث عن الجن والشياطين من ناحية: وجود هذه الأنواع ومـا الفـرق بين الشـيطان والجنى وأصل تكوينـهم وحكمـة تكوينهم وأنواعـهـم وعلاقـتهم بنا وأماكن وجودهم ومعيشتـهم واتصالهم بالنبى - صلى الله عليه وسلم - وأماكن تجمعاتهم (أوطانهم التى يعيشون فيها). والسبب فى الاهتمام بذلك الموضوع: أنه عالم خفى عنا، ومن كان له عدو ظاهر أمكنه التحرز منه بسهولة، أما العدو الخفى فهو المشكلة، لأنك لا ترى شيئا أمامك تحاربه، بل هو شىء خفى يأتيك أحيانا فى صورة نصيحة، وهى فى الواقع وسوسة مهلكة، كما ظهر اللعين إبليس لأبينا آدم عليه السلام فى صورة ناصح، وكما فعل مع أبينا يفعل معنا فتأتينا الهلكة فى صورة نصيحة.

فإذا كنت متمكنا فى دينك يمكن النجاة من هذه الوسوسة بالاستعاذة بالله منه ومن شره. وإذا كنت ضعيفا فى التدين والعلم، استطاع أن يجلب عليك بخيله ورجله كما حكى القرآن، واستطاع أن يستفزك وأن يؤزك: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾ (مريم ٨٣) ... والعاصم من مكر الشياطين هو الاعتصام بالله دائما وكثرة ذكر الله. فإن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الشياطين والجن. وخلق بنى آدم والملائكة والكون كله: سماءه وأرضه،

(*) لمزيد من التفصيل يمكن الاطلاع على تسجيلات الشيخ الصوتية فى تفسير القرآن الموضوعى، شرائط رقم (٣١٣ - ٣٤٥)، أى ٣٣ شريطاً.

حيوانه ونباته وجماده، بحره وجوه، أفلاكه ونجومه ومجراته، هواءه وأثيره .. فإذا استعذت بالله الخالق القاهر المهيمن، فأنت فى حمى القوة الكبرى التى تخضع لها جباه الشياطين ومن هم أعلى من الشياطين. أما إذا تركت الله فإنك ستدور فى الدوامة، ويتلقفك هذا وذاك، ولا ندرى إن كنت ستعود سالما أم تذهب إلى درك الهلاك.

إن الكلام عن الجن موضوع حيوى وضرورى لأنهم كل شىء فى حياتنا لأنهم وآباؤهم الشياطين هم الذين عكروا الصفو للإنسان، فكانوا سبب المعاصى والبلاء، بل ما خلقت جهنم إلا بسببهم: فما قامت الحروب إلا بسببهم، وما فرقت امرأة من زوجها إلا بسبب الشياطين. وما عادى أخ أخاه، وما اقترف إنسان خيانة فى عرض ولا فسادا فى الأرض ولا عنادا ولا إلحادا ولا ظلما وغيبة ونميمة واختلاسا وكل أنواع المعاصى إلا بسبب الشياطين. وهذه ليست عداوة ظاهرية سطحية يمكن تطهيرها بالماء. إنما الشىء النجس نفسه كيف يمكن تطهيره؟ فعداوة الشيطان لنا ليست عداوة تشبه التنجس يمكن إزالتها بأسباب عرضية والصلح معه، بل هى عداوة متأصلة قديمة قدم خلقتنا من يوم أن خلق الله أبينا آدم. هذا اللعين إبليس (أبو الشياطين والجن) طرد من الجنة بسبب امتناعه عن السجود لآدم واعتراضه على الله.

ومن حكمة الله أن ابتلانا بالشيطان حتى تعمل أسماؤه الحسنى عملها: (التواب ـ الغفور ـ الرحمن ـ الرحيم ....) ولكنه سلحنا أمامه بسلاح الإيمان وزودنا بالرسل والعلماء والكتب السماوية. وجعل كيد الشيطان وسوسة من الداخل، أما الرسل فهم ظاهرون لنقتدى بهم حيث توفر فيهم كل الجلال والكمال أى أن الخير غالب. فكيف يغلب الشيطان كل هذا؟

إنه لا يعمل عمله إلا من خلال ضعاف الإيمان وضعاف النفوس الذين يريدون الشهوات والشهرة والجاه والرياء والنفاق وكل هذا من سوق الشياطين.

الفرق بين الشياطين والجن:

ـ ليس فى الشياطين واحد منهم يعبد الله أو يعمل ويساعد على عبادته بل تمحض كلهم للغش والظلم والوسوسة للمعصية.

أما الجن فهم عالم مكلف مثلنا تماما، فيه الهداية والضلال، فيه الإيمان والكفران، فيه الصلاح والطلاح. أصناف شتى أكثر من أصناف بنى آدم ما يقرب من عشر مرات، لأن

علماءنا قالوا - حسب ما استنبطوا - إن الله عزّ وجلّ خلق الملائكة والإنس والجن عشرة أجزاء، فخص الملائكة بتسعة أجزاء من العشرة، وبقى جزء واحد قسمه الله إلى عشرة أجزاء أعطى الجن تسعة منهم وأبقى للإنس جزءا.

- هذا كان الفرق من حيث عملهم وأثرهم فينا فالشيطان شر محض، والجن شر مع خير.. أما من حيث **مادة الخلقة:**

فهما الاثنان مثل بعض من مارج من نار. وسماه الله أيضا من نار السموم لأنها تتعمق من مسام الجسم وتنفذ نفوذا عنيفا.

الجن انفصل عن الشياطين - وإن كانت خلقته تتساوى مع إبليس فى النارية إلا أن هذا النوع منه القابل للهداية ومنهم القائم على ضلال. أما الشياطين فأطلق عليهم هذا الاسم من (الشطط) أى الخروج عن حد الاعتدال. فمن تمحض منهم للشر والوسوسة سمى شيطانا، ومن قبل منهم هداية الله سمى جنا. وهم يعيشون أعمارا طويلة جدا، فبعضهم قابل سيدنا محمدا وقال له أنه من أيام موسى أى منذ ٢٢٠٠ سنة (بين موسى وعيسى ١٦٠٠ سنة وبين عيسى ومحمد ٦٠٠ سنة).

وحلقات الجن فى القرآن تدور حول الموضوعات التالية:

- الاشتقاق اللفظى لكلمة الجن: وهو من الخفاء.
- وجود الجن: هل هو موجود أم شيء غير موجود كما يزعم الملحدون الكفرة.
- تركيب الجن: عناصر خلقته لأننا ماء وتراب تكون منهما طين وهو من نار السموم.
- غذاء الجن: ماذا يأكلون وكيف يأكلون.
- معيشتهم: هل يعرفون بعض؟ وهل لهم جماعات وقبائل ورؤساء ومحاكم وطاعة ومعصية مثل بنى آدم أم لا؟
- وسوسة الجن - مواطن الجن - قصص عن الجن مهمة حدثت بالفعل للرسول - صلى الله عليه وسلم - وغيره.
- حقيقة الجن - تاريخ خلقتهم - أنواع الجن - تناسلهم - أدلتهم العلمية والنقلية - حياتهم ومماتهم - دينهم واعتقادهم - علاقتهم بالإنس.

- السحر وأصله: لا تصاله بالجن.

- عموم البعثة لهم: لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعث لهم مثلنا تماما.

- الفرق بين الجن والشياطين - قدراتهم الخارقة للعادة.

- التشكل الجنى بأى صورة - المساكن التى يسكنونها.

- نصوص من القرآن والسنة تلقى مزيدا من الضوء على حقائق الجن والشياطين وعلاقتهم أو عداوتهم لبنى آدم.

ورغم تداخل بعض الموضوعات فى بعضها إلا أن الشيخ استطاع بتفصيله المتقن وعلمه الفياض أن يوفى كل موضوع حقه بدون تكرار ممل حيث يشير فى نواحى التكرار إلى ما سبق شرحه فى هذا الموضوع.

وهكذا كان هدف الشيخ فى كل خطوة من خطوات التفسير الموضوعى أن يدعم صلة الإنسان بربه وذلك بأنه هو الملجأ والمعين على التعامل مع الكون كله بما يحقق له الأمن والرفاهية لأنه يخوض غمرات الحياة وهو مستعين بحبل الله المتين ومنهاجه القويم.

٩ - الغُرور فى القرآن الكريم(*):

تعرض الشيخ لتعريف الغُرور والفرق بينه وبين الغَرور، ومجالات الغرور التى تحدث عنها القرآن الكريم.. ونظرا لأن موضوع الغرور واسع ومتشعب فقد اختار عشرة نماذج من الغرور وقال إن العلم بتلك المجالات يدل على غيرها، فمن استوعبها استطاع أن يقيس عليها بقية المجالات وجاهد نفسه لينجو من هذا الداء اللعين الذى أخرج أبينا آدم من الجنة لانخداعه بنصيحة الشيطان.

فالغرور: هو الانخداع والاقتناع بالباطل.

ومن هذا المنطلق اهتم القرآن ببيان الحقائق ليجلى بها الباطل وينير بصيرة المؤمنين حتى لا يكون لهم على الله حجة، ويبعد عنهم صفة الغرور وهى البعد عن التدبير والذكاء والفطنة فيقعوا فريسة الانخداع بسهولة، ومن مجالات الغرور التى تحدث عنها القرآن:

(*) من تسجيلات الشيخ الصوتية (٣٤٧ - ٣٦٥)، أى ١٩ شريطاً.

- الغرور بالله : قال تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك﴾ (الانفطار ٦ : ٨).

وهذا معناه اغترار الإنسان بالله فيظن ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أن الله شبه واحد طيب يمكن الضحك عليه بأى شىء تحت عنوان حليم وكريم. نعم هو كذلك ولكنه أيضا حكيم وخبير وجبار ومنتقم وحسيب وعنده مثقال دقيق بالذرة وأصغر.. والمؤمن الحق هو الذى يعمل الصالحات ولا يأمن مكر الله فلا يغتر ببضع ركعات أداها فى جوف الليل أو صيام نافلة أو صدقات تطوع أو حج زيادة أو أسهم فى بناء مسجد أو أى عمل خير.. فيجب أن يعد فى مقابلها نعم الله التى لا تعد ولا تحصى.

- الغرور بالدنيا : ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (آل عمران ١٨٥) فإن ما فيها من زينة براقة قد تخدع الإنسان ويتلهى بها عن آخرته ويكون عاقبته الندم الشديد يوم القيامة: ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾ (الجاثية ٣٥).

- الغرور فى الدين : وهو أخطر أنواع الغرور حيث يحجب الإنسان عن رؤية الحق واتباع سبيله. قال الله عن اليهود: ﴿وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون﴾ (آل عمران ٢٤). أى أن افتراءاتهم وشططهم عن الحق أدى بهم إلى الانخداع فى دينهم وعميت بصيرتهم.

- الغرور بالشيطان : كثيرا ما ينخدع الناس بحيل الشيطان ويقعون فى شراكه لأنه من عادته أن يركب الداء فى غلاف الدواء. وقد غرَّ أبينا آدم عن طريق النصح وقال له: ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (طه ١٢٠).

فكانت العاقبة وخيمة إذ نزل بآدم وحواء من الجنة إلى أرض العناء وقال الله عن ذلك ﴿فدلاهما بغرور﴾ (الأعراف ٢٢) أى نزل بهما من عليائهما عن طريق الخداع والأباطيل.

ولذلك حذرنا الله من خداعه كثيرا: ﴿وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ (الإسراء ٦٤).

- الغرور بزخرف القول : قال القرآن عن المجرمين الذين يتآمرون على الحق

والإسـلام: ﴿وكـذلك جـعلنا لكل نبى عـدوا شيـاطين الإنس والجن يوحى بـعضـهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (الأنعام ١١٢) وقد سماهم الله شياطين الإنس لأنهم أصحاب النجوى المخـادعـة والكذب والخـداع والتـضليل للتـآمـر على المسلمين لإحـداث فـتنة بين الحق وأهله وبذلك لا يختلفون فى آثارهم عن شياطين الجن.

- **غرور الكفـار**: إن حـيـاة الكفـار كلهـا خـداع وضـلال. وكل شىء لا أسـاس له يسـمى غـرور. وقـد طمـأن الله نبـيـه مـحـمـد ـ صلى الله عليـه وسلم ـ أنه سـينـتـصـر على الكفـار رغم غرورهم وانتقالهم فى كل البلاد لنشر الحيل والأباطيل ضد الحق وللصد عن دين الله فقال عز شأنه: ﴿لا يغرنك تـقلب الذين كفروا فى البلاد مـتـاع قليل ثم مأواهم جـهنم وبئس المهاد﴾ (آل عمران ١٩٧).

- **غرور الظلمة**: وهذا يشـمل كل الظالمين سـواء لدينهم أو أوطانهم أو أنـفسـهم أو أهليـهم أو......،.

﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا﴾. (فاطر ٤٠).

فكل من هؤلاء الظالمين يـغش نفسـه ويغش الآخـرين، فـهم لم يجـتـمـعوا على مـحـبـة ولا نصيحة ولا إخلاص بل اجتمعوا على ضلالة للمحافظة على مصالحهم المادية فقط.

- **غرور الغضبـان**: إن أصـحـاب الطبـائع الحـارة الذين نقـول عنهم أهل الحـمـيـة أو أهل العصبيـة يـدركهم كثير من الغرور لأنه ليس عندهم التأنى المطلوب لدرجة الوعى والإدراك الكامل للقضايا. ولذلك دعا الحق سبحانه وتعالى إلى مجاهدة الغضب لعواقبه الوخيمة:

﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾. (آل عمران ١٣٤).

وحذر الله من الغضب لأن أهل الحمية كثيرا ما يلعب بـهم الشيطان عند غضبهم كما يلعب الصبى بالكرة. وأمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغضبان أن يتوضأ لأن الغضب جمرة من النار والماء يطفىء النار. كـمـا أمـره أن يغيـر حـالتـه فـإن كـان قـائمـا فليـقـعـد وإن كـان قـاعـدا فليضطجع.

- إن مـجـالات الغـرور التى تحـدث عنهـا القرآن كـثيـرة جـدا، وقد بذل الشـيخ غـاية جـهده

لوضع معالم أساسية لذلك الموضوع الهام لأن هذا معناه إزاحة الغبار عن وجه الشريعة السمحاء فتصبح نقية ساطعة يبهر ضوؤها الناظرين، ومعناه تدعيم العقيدة الحقة فى وجدان المسلمين.

وبهذا نكون عرضنا مختصر المختصر من منهاج التفسير الموضوعى للقرآن الكريم الذى قام به الشيخ على مدى ثلاث سنوات أو أكثر قليلا.

وقد تناولنا ذلك فى تسعة موضوعات رئيسية، ولم يسعنا الجهد أن نفصل تلك الموضوعات لأن كل موضوع منها يضم عشرات الموضوعات التى تشكل دستور حياة المسلم: كيف يقرأ قرآنه الكريم ويفهمه؟ كيف يصلى؟ ماذا يقول عند نومه وعند صحوه؟ وعند خروجه من المنزل والعودة إليه؟ وعند دخوله المسجد وخروجه منه؟ كيف يحقق الاستغلال الأمثل للكون ليعيش فى رفاهية؟ وكيف يحقق الاطمئنان النفسى بالتغلب على نزغ الشيطان وكيده؟ كيف يكون مؤمنا واعيا يفهم حقائق الحياة على بصيرة من ربه؟

لقد استطاع الشيخ بحق من خلال التفسير الموضوعى أن يجيب على عشرات الأسئلة التى تجول فى خاطر كثير من المسلمين، واستطاع بعلمه الغزير وتمكنه العميق من أصول الدين أن يغرس فى عقول وقلوب المستمعين أن النجاة الحقيقية فى الحياة ماديا ونفسيا هى الاعتصام بحبل اله المتين.

فاللهم جازه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

دفاع الشيخ مشتهرى عن السنة المطهرة(*)

لقد دافع الشيخ عن السنة دفاعا مشرفا، سوف يكتب له بحروف من نور على مر العصور.. وهذا الدفاع يستند إلى **الأسس التالية:**

* إيمانه العميق بالله وتنفيذه لأوامره واجتناب نواهيه وهو القائل عزّ وجل:

﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر ٧).

﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء ٨٠).

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب ٢١).

* حبه الفطرى للرسول- صلى الله عليه وسلم- والذى بلغ منه مبلغا شديدا فهو القائل عنه: نبينا هو ملء أسماعنا وأبصارنا يعيش معنا فى قلوبنا عيشة كاملة. فالمسلم عليه أن يقول فى كل تشهد: (السلام عليك أيها النبى) بكاف الخطاب والخطاب دائما يكون لحاضر. ولو أنه غائب عنا لقلنا «السلام على النبى ورحمة الله وبركاته» أو «السلام عليه ورحمة الله وبركاته» بضمير الغيبة: لا فالله شرع لنا أن نقول: (السلام عليك أيها النبى) ومعناه أنه حاضر أمامنا يسمع كلامنا ويرد علينا. وهذا تعظيم من الله العظيم للمصطفى الكريم. رسول يعيش معنا بسنته ويعيش معنا توجيها. معاذ الله أن نعبده مع الله. لا نطريه كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم. فنحن نعتقد أنه عبد الله ورسوله. ورغم أنه بشر إلا أنه سيد بنى آدم ولا فخر. فالصلاة والسلام على من علمنا كيف نسير فى الدنيا على هدى من الله.

* عمله فى الجمعية الشرعية وهو فى الحادية عشرة من عمره، لقنه منذ نعومة أظفاره أهمية السنة فى حياة المسلمين، وأهمية الدفاع عنها وتطهيرها من البدع أو الجحود بها، ولا غرو فى ذلك فقد كان أول كتاب تلقاه من الشيخ حسين القلعى (زميل الشيخ محمود خطاب) هو كتاب «الإبداع فى مضار الابتداع».

والجمعية الشرعية ما أنشأت أصلا إلا لإحياء العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى

(*) يمكن الرجوع إلى شرائط السيرة النبوية العطرة، رقم (٩٧ - ١١١).

الله عليه وسلم ـ، وتطهير السنة من البدع حفاظا على الشريعة نقية ناصعة يبهر ضوؤها كل من يطلع على أصولها.

* انزعاجه الشديد من الدعوة الخبيثة التى تنادى بالاحتكام إلى القرآن وحده بحجة أن الحديث فيه موضوع مما يدعو إلى الشك فيه، فهب للدفاع عن السنة مبينا أن هذا منزلق خطر يدعو إلى تعرية القرآن عن السنة التى توضحه وتبين أحكامه وشرائعه حتى يصير كالشجرة العارية. والعلماء قالوا: «إن الأشجار التى لا تورق الثمار أولى قطعها وحرقها بالنار».

كيف رد الشيخ على تلك الدعوة الخبيثة التى تدعو إلى الاقتصار على القرآن ؟

قال الشيخ كثيرا فى دروسه ومحاضراته: إن الشرع ما شرعه الله وطبقه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فلقد ذكر الله فى القرآن الأحكام مجملة والرسول تولى بنفسه بيانها قولا وفعلا مثل:

فى الصلاة: طريقة الوضوء ـ أوقات الصلاة ـ عدد ركعاتها ـ طريقة أدائها ـ و.....

فى الزكاة: أنواعها ـ نصابها ـ كيفية دفعها وتوزيعها ـ بيان المستحقين لها ـ والصدقات التى تكمل فريضة الزكاة.....

فى الصوم: أحكام الصيام ـ مبطلاته ـ متى يجوز الفطر وكيف يمكن قضاء ذلك الفطر ـ زكاة الفطر وأنواعها ـ و......

فى الحج: الطواف ـ السعى بين الصفا والمروة ـ الوقوف بمنى وعرفات ـ جمع الحصى من المزدلفة ـ رمى الجمار ـ الذبح ـ الحلق.

هذا علاوة على كيفية معاملة الأهل والأقارب والجيران، والأجانب، والتكافل الاجتماعى بين المسلمين ـ البيع والشراء ـ الطلاق ـ الزواج.

فلا يمكن الاستغناء عن الحديث فهذا معناه فتنة كبيرة بين المسلمين فمن بلغ القرآن بلغ الحديث. فإذا شككت فى السنة فمعناها الشك فى القرآن. ولذلك تولى الله بنفسه حفظ القرآن الكريم كما أخبرنا بذلك فى كتابه وسخر عباده الصالحين لحفظ الأحاديث، لأنها ركن متمم للقرآن وما كان الله ليدعها لتلاعب الأهواء لأن هذا فيه ضياع للشريعة فالأحاديث هى

الشارحة لكتاب الله وهى الموضحة لمراد الله عزّ وجلّ من كتابه ولولا أحاديث النبى - صلى الله عليه وسلم - ما فهمنا القرآن حق فهمه.

ولم يثبت أن التوراة والإنجيل توفر لهما معشار معشار علماء الحديث فى الإسلام، فالله عزّ وجلّ أغاث العالم بالإسلام حتى يصحح ما كذبت فيه اليهود والنصارى. فلو ضاع الإسلام أو تشوه فيه وجه الحقيقة بغياب السنة النبوية فمن يصحح للعالم ثانيا أخطاء مفاهيمه وعقائده، وخاصة أن الإسلام رسالة عالمية وسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

فيجب أن نحترم السنة والأحاديث ونلتزم بها ولا نغفلها من دين الله، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يتكلم فى دين الله إلا بالوحى: ﴿وما ينطق عن الهوى إلا هو وحى يوحى﴾ (النجم ٣).

والإمام مالك قال: كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر النبى - صلى الله عليه وسلم -.

وبلغت شدة حب الصحابة للسنة واتباعها حدا بلغ الوصف حتى إن سيدنا عمر عندما اعتمر نظر للحجر الأسود قائلا: «والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبلك ما قبلتك... (رواه البخارى ومسلم عن عابس بن ربيعة).

ولذلك كانت عقيدتهم راسخة وانطلاقهم فى الحياة رشيدا مسددا لأنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول.

أما الرد على أن الأحاديث فيها موضوع أو مشكوك فيها:

* فهل وجود ورقة بعشرة جنيهات مزيفة فى العملة يوجب علينا إلغاء كل ورق البنكنوت؟

* وهل ظهور وقة قطن فى الحقل فيها لطعة معناه حرق القطن كله؟

* وهل إذا ظهر مجرم فى بنى آدم نقتل الناس كلهم؟

كل الدنيا فيها الغث والسمين. ومن نعم الله على هذا الدين وحده أن قيض له علماء

يصونون قرآن الله بالحرف الواحد ويصونون أحاديث الرسول بالحديث الواحد. وكما جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه، فقد جمعت السنة فى عهد عمر بن عبد العزيز بتعاون علماء الأمة الإسلامية كلهم.

وعلماء الحديث يفتشون جيدا عن **السند**: وهو تتبع الرواة حتى يكون منسوبا إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

ويدققون فى **المتن**: وهى ألفاظ الرسول - صلى الله عليه وسلم -: فلو صح السند وجدنا عند المتن فوجدناه غريبا نرفضه، فيجوز أن هؤلاء الرواة أخذ واحد منهم - بحسن نية ظنا منه أن كل الناس صالحة مثله - من رجل إسرائيلى أسلم ليس حبا فى الإسلام ولكن طعنا فى تلك الأحاديث.

والإمام البخارى جمع ١٠٠,٠٠٠ حديث تحرى فيهم الدقة بقدر الإمكان، ثم ظل يغربل فيهم حتى صفاهم - مع صحتهم - على ٧٠٠٠ حديث، ثم صفاهم على ٤٠٠٠ حديث تعتبر خلاصة الخلاصة وروح الروح.

ومثله تلميذه مسلم والأئمة المشهورون: أبو داود - الترمذى - النسائى - ابن ماجة - الإمام أحمد - الحاكم - البيهقى - ابن حيان - البزار - وغيرهم...

كل هؤلاء محصوا الأحاديث جيدا: رواية ودراية، رواية من جهة اللفظ، ودراية من جهة السند.

فليس لنا على الله حجة بعد ذلك فى إهمال الأحاديث والعمل بها وتركها معناه أن نروح فى داهية. وقد تنبأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بذلك لأن الله أخبره أنه ستأتى فرقة آخر الزمان تقول: نستغنى بالقرآن عن السنة فقال:

- ثلاثة من فرق بينها وبين بعضها فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة:

* من قال أطيع ربى ولا أطيع الرسول. لأن الله قال: ﴿أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ (آل عمران ١٣٢).

* ومن قال أشكر ربى ولا أشكر والدى. لأن الله قال: ﴿أن اشكر لى ولوالديك﴾. (لقمان ١٤).

* ومن قال: أقيم الصلاة ولا آتى الزكاة. فالله قال: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾. (البقرة ١١٠).

إن إنكار الحديث معناه إنكار الصحابة وهم كتاب الوحى وهم الذين نقلوا لنا القرآن والسنة، ومعناه إنكار جهود العلماء المسلمين الذين بذلوا كل الجهد فى سبيل الحفاظ على السنة النبوية، وإنكار هؤلاء يشبه جحود الإنسان بوالديه، ولو قطعنا الصلة بهم كنا مقطوعى النسب واستحققنا غضب الله فنص القرآن أنه لن يرضى عنا الله إلا إذا اتبعنا من قبلنا من السائرين على نهج الله:

﴿والسابقون الأولون والمهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾. (التوبة ١٠٠).

وهكذا فإن الفصل بين القرآن والسنة فتنة كبيرة تعنى ضياع المسلمين وضياع دينهم وضياع جذورهم وأصلهم وهويتهم فاللهم رحماك.

جهود الشيخ فى إحياء السنة:

لقد جاهد الشيخ جهادا مستمرا فى سبيل إحياء السنة فى نفوس المسلمين وجعلها واقعا حيا ومنهجا تطبيقيا يعيشونه ودافعه فى ذلك أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم -(*):

- «من رغب عن سنتى فليس منى». (رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه).

- عن عمرو بن عوف رضى الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «اعلم يا بلال. قال ما أعلم يا رسول الله؟ قال: اعلم أن من أحيا سنة من سنتى أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا». (رواه الترمذى وابن ماجة).

- وعن العرباض بن سارية - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(*) هذه الأحاديث من كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذرى. تعليق المرحوم مصطفى محمد عمارة. الجزء الأول، طبعة بيروت، ص ٧٩ : ٨٩.

يقول: «لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. (رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة بإسناد حسن).

- وعنه أيضا قال: وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد. وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا. فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة. (رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وابن حيان).

- «من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد». (رواه البيهقى عن ابن عباس عن النبى - صلى الله عليه وسلم -).

من أجل هذا تمسك الشيخ مشتهرى بالسنة عاضاً عليها بنواجذه، ولذلك فإن اختياره إماما لأهل السنة لم يكن مصادفة إنما كان وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب، وإعطاء القوس لباريها، وتتويجا لجهاده فى سبيل رفع راية الحق عالية تعلن بوضوح عظمة الإسلام وقدرته على تغيير واقع الشعوب المرير إلى رقى وتقدم إذا هى عرفت شرائع الإسلام حق المعرفة:

* تمثل هذا التمسك فى زيه: حيث رأى مع إخوانه أئمة الجمعية الشرعية منذ تأسيسها أن إرخاء العذبة بين الكتفين سنة ثابتة، فمن فعلها أثيب، ومن تركها لا يعاقب. ولا يلتفت إلى قول من قال: إن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لم يفعلاها، إذ لا يعقل أن واحدا من الصحابة - فضلا عن هذين الشيخين الكريمين - رضى الله عن الجميع، لا يتحلى بهدى النبى - صلى الله عليه وسلم - قولا وفعلا. كيف وقد قال أبو بكر - رضى الله عنه - وإنى والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصنعه إلا صنعته، إنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ. (رواه الشيخان).

وقد فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العذبة وأمر بها كما ذكره مسلم والترمذى وغيرهما من المحدثين.

* حارب ما يستحدث من البدع فى الآذان مثل الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم -

بعد الأذان جهرا فإنها محدثة فى عهد سلاطين المماليك بمصر سنة ٧٨١هـ. أما الصلاة عليه سرا بعد الأذان فهو سنة مطلوبة من السامع والمؤذن معا.

* سارت مساجد الجمعية الشرعية على أن قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها سنة، والممنوع هو الجهر بها فى المسجد لما فيه من التشويش على المتعبدين. وأن السنة فى أذان الجمعة وغيرها أن يكون خارج المسجد. كما رواه أبو داود ونص عليه الإمام مالك رحمه الله.

* أفرد دروسا خاصة للسيرة النبوية برؤية عصرية نقية من الشوائب والانحرافات العقائدية أتمها فى (١١١) حلقة كان هدفها إبراز نواحى العظمة فى حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتدعيم منهاجه وسنته في وجدان المسلمين وضمائرهم، وتمكين حبه فى قلوبهم. والدفاع عن سنته ما وسعه الجهد.

* لم يترك مناسبة أو فرصة إلا بيّن أهمية السنة فى حياة المسلمين، وازدياد تلك الأهمية فى عصرنا الحاضر عن كل العصور.. من ذلك شرحه للحديث النبوى:

قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاطب أصحابه الذين كانوا أحياء فى عهده:

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه رضى بما تحاقرون من أعمال فاحذورا الشيطان على أنفسكم فإنى قد تركت فيكم المعتصم. ما لم تمسكوا به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله وسنتى.

وفى شرحه للحديث ـ وخاصة ـ فى شرح عبارة «رضى بما تحاقرون من أعمالكم» قال: إن الشيطان يوهم الناس بأن السنة طالما أنها ليست فرضا فيمكن التغاضى عنها. وبعض المخدوعين يستدلون على ذلك بالحديث الذى سأل فيه الأعرابى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن فروض الصلاة. فلما شرحها له قال: هل علىّ غيرهم. فلما قال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: لا إلا أن تطوع، فقال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا.

إن من يستدل بهذا الحديث على عدم ضرورة السنة هو إنسان مخدوع ولو قال هذا أمام مخدوع مثله سيضله. ونحن نقول له: لمن كان يقول الرسول: أفلح هذا إن صدق؟

إنه يقولها لصحابى سيصلى الفرض ويقتصر عليه، ولكنه سيصلى بحق صلاة مقبولة كاملة الأركان والآداب والاطمئنان والخشوع. وبالتالى فهو ليس محتاجا إلى سنة مثلنا، ولكنهم إذا صلوا السنة فهو من باب: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ (مريم ٧٦).

أما نحن اليوم: ففى هذا الجو الخانق وعصر الفتن الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والدولية. كيف يصفو للإنسان الصلاة والعقل محشو بالأحداث. والله من يقدر على ذلك فهو عملة نادرة يحق له أن يفخر بذلك.

وهكذا فإن أصحاب القلوب المشغولة والعبادات الناقصة مثلنا محتاجون إلى صلاة كثيرة لتكملة الفرائض الناقصة، وكذلك سنن الصوم والصدقات (تكمل الزكاة) وكل سنن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ (هود ١١٤).

فوجود السنن مصلحة للمسلم خصوصا إذا كان معرضا للمشاغل والسهو والارتباك. ومثال على ذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال عن ركعتى سنة الصبح أنهما خير من الدنيا وما فيها.

وكل إنسان يجادل فى الحق استحق عقاب الله:

﴿وما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد﴾ (غافر ٤).

* دعا إلى التمسك بالسنة فى كل خطوة من خطوات حياته: فى سلوكه وفى صيامه وفى شرح القرآن (تفصيليا أو موضوعيا) وفى خطب الجمعة وفى فتاويه، وفى الدروس والمحاضرات. ولذلك كان دائما يستشهد بالأحاديث حتى تصير دستورا تفصيليا للمسلمين يفسر لهم دستورهم المجمل (القرآن). وكان ينبه عليهم فى صيام السنن التى دعا إليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخاصة الموسمية مثل: صيام ستة من شوال ـ صيام يوم تاسوعاء وعاشوراء ـ ثلاثة أيام من كل شهر (الليالى القمرية) ـ صيام يوم عرفة.

ويذكر لهم من المواعظ ما يرقق قلوبهم ويشحذ هممهم لاتباع سنن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليفوزوا برضوان الله ورحمته.

* **إن كتاب «هذه دعوتنا»**(*) **الذى كتبه الشيخ مشتهرى**، ودرس فى المعاهد الأزهرية ما هو إلا علامة من علامات جهاد الشيخ لإزالة غبار البدع عن شريعتنا السمحاء مستندا فى ذلك على نصوص الكتاب والسنة ومن موضوعات الكتاب:

* نصوص من القرآن والسنة فى وجوب الاتباع والتحذير من الابتداع.

* السنة والبدعة.

* أقسام السنة: السنة الفعلية - السنة التركية.

* البدعة وأقسامها الحقيقية والإضافية.

* نصائح عامة فى بعض أنواع السلوك والعقائد:

بدع المساجد - بدع الآذان وكيفيته - بدع الجمعة وليلتها وسنتها - صلاة الجماعة وسننها - صلاة المنفرد الشرعية - الصلاة وما طرأ عليها من البدع - الصوم - الزكاة - الحج - الأعياد - بدع المقابر - بدع الجنائز وسننها - المآتم وسننها - بدع الموالد - بدع الأفراح - بدع عاشوراء وسننها - بدع الطرق - مواسم نسبوها للشرع وليست منه.

كلمة فى اللحية لمن سألوا عنها كثيرا - إنكار السنة - حكم الخمر فى كتاب الله.

الوالى والولاية - حكم الكهان والعرافين والمنجمين - حول الطلاق وتعدد الزوجات - زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأكثر من أربع - القضاء والقدر.

* حقائق عن الرسل تزهق أمامها الأباطيل.

* أفعال العباد ونسبتها فى القرآن تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى.

* الإسلام دين ودولة، قضاء وسياسة، مصحف وسلاح . معاش ومعاد.

تعريف الشيخ مشتهرى للسلفية:

- وعلى طريق دفاع الشيخ عن السنة: كان كثيرا ما توجه إليه أسئلة من الصحفيين عن

(*) توزيع مكتبة الاعتصام.

مفهوم السلفية الشرعى وهل هى تعنى التزمت أو الجمود؟وهل هى ترتبط بفترة زمنية معينة؟

فكانت إجابات الشيخ محددة قاطعة تنبع من قلب مفعم بحب الله ورسوله، وعقل متفتح ناضج يعيش أحداث عصره بوعى وإيجابية ونختار بعض إجابات الشيخ عن تلك الأسئلة(*):

إن السلفية ليست جمودا ولا عودة للوراء بل هى فى المقام الأول تمثل أخلاق رسول الله وهديه ودعوته وسنته، ثم السلف الصالح رضوان الله عليهم الذين تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ويتمثلون فى صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومجاهدى الصدر الأول للإسلام القريب والمعاصر لنور النبوة. والحديث يقول: «خير القرون قرنى ثم الذى يليه»(**).

وأى عمل يناقض سنة رسول الله، ليس من الإسلام وليس من السلفية. والعلماء قالوا إن فترة السلف: القرون الخمسة الأولى من عمر الدعوة. ولكن هذا ليس تحديداً زمنيا ولكنه تحديد لأخلاق الناس وعاداتهم التى كانت أقرب إلى الفطرة الإسلامية الصحيحة.

لأنه بعد فترات الإسلام الأولى، بدأ يدخل فى الاقتداء بالسلف بعض المخادعين والكذابين والمضللين. فتحديد الزمن ليس نهائيا لأن لكل قاعدة شواذ.

ونحن فى الجمعية الشرعية: نبرأ من كل مخادع، ونعوذ بالله من المضللين والمضللين. وقد أثر عن أبناء الجمعية منذ أن أسسها المرحوم الشيخ محمود السبكى أننا لم نجار العصر فيما انتشر فيه مما يخالف العرف الشرعى وصحيح العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق. والجمعية الشرعية لا تأتى بشىء جديد، بل تذكر بما هو ثابت فى النص الشرعى، وترتبه من حيث هو: فرض أم واجب أم سنة أم مكروه أم حرام. إلى غير ذلك من درجات الأحكام الشرعية.

والفهم الشرعى للإسلام يؤكد أن الذى يفرط فى الصغيرة سوف يفرط فى الكبيرة، وأن الصغائر هى مداخل الشيطان. فالأمور الصغيرة هى أيضا مطلوب من مطلوبات الله من عباده. ولكن أهم شىء هو عبادة الله بإخلاص سواء فى الأمور الكبيرة أو الصغيرة: فالذى

(*) من جريدة اللواء الإسلامى، الخميس ٢٠ من جمادى الآخرة ١٤١٥هـ - ٢٤ من نوفمبر ١٩٩٤م. أجرى الحديث الأستاذ رضا عكاشة.

(**) عن عمران بن حصين، حديث رقم ٣٣١٧ فى صحيح الجامع.

يقصد تقليد النبى فى ثيابه أو يصنع عذبة مثلا ولا يعبد الله بإخلاص فهذا يقدح فى إيمانه ولا نرتضيه، بل هو أمر قد يصل بصاحبه إلى النفاق، لأن النفاق إظهار خلاف ما يبطن والقلب هو مناط الإخلاص ويصحبه العمل.

وفى الحديث: الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

إن الإسلام أرقى وأعدل منهج يقود الناس إلى السلوك الحسن وتأسيس المجتمع القوى اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. والسلفية ليست جمودا، وليست مخاصمة للدنيا، بل هى فى الأساس: حب الدنيا بحب الآخرة.. ويوم أن كنا عاملين بالدين **عملا صحيحا**، كانت الدنيا تدين لنا. وظل المسلمون نحو عشرة قرون يشكلون ما يمكن أن يسمى الآن «العالم الأول» أو القوة العظمى.

وما حدث من مظاهر تأخر وانحطاط يعلمها الكل وسببه عدم العودة إلى الإسلام، ونهج الرسول القويم، وتلقف لقمة العيش من الآخرين. وهذا عارعلينا عظيم. ولا يجوز شرعا من كل الوجوه (فرائضها وسننها).

هذه كانت بعض لمحات من دفاع الشيخ مشتهرى عن السنة، وإذا حاولنا إلقاء مزيد من الضوء فلن تكفينا صفحات وصفحات وخير الكلام ما قلّ ودلّ.

فاللهم اهد المسلمين إلى اتباع سنة نبيك الأمين لأن فى هذا خير الدنيا والدين، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين وكل من اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام على أكرم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

آراؤه تجاه القضايا العامة

لقد تفاعل الشيخ بحرارة مع قضايا عصره، فكان يفرح من أعماق قلبه مع انتصار العقيدة والعزة والكرامة، ويحزن بشدة حتى تزمجر كلماته مع قضايا انتهاك الحقوق والعدوان وظلم الإنسان لأخيه الإنسان سواء على مستوى وطنه الصغير أو على مستوى المسلمين أجمعين.

وهذا التفاعل كان مفروضا على الشيخ من اتجاهين:

- الاتجاه الأول: نابع من عقيدته الراسخة التى تفرض عى المؤمن ايجابية وتفاعل مع الأحداث لأن المصطفى الأمين علمنا ذلك(*):

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

«المسلم للمسلم كاليدين تغسل بعضهما بعضا».

«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

- الاتجاه الثانى: تفرضه عليه وظيفته كداعية إسلامى وعالم من علماء عصره، الذين يسعى الناس إلى معرفة آرائهم بعد تعرفهم على الآراء المختلفة (الغث منها والسمين) من وسائل الإعلام المتنوعة. ويهم المخلصين معرفة رأى الدين لتكون خطواتهم فى الحياة على بصيرة ويقين.

والحق يقال إن الشيخ مشتهرى تفاعل مع كل الأحداث والأخبار والقضايا التى تشغل الناس كبيرها وصغيرها، خطيرها وحقيرها، لأنه عود محبيه ومريديه الايجابية فى الحياة، وعلمهم أن الدين هو روح الحياة وأنه ليس شعيرة تعبدية فى الوجدان، وأنه صالح فى كل زمان ومكان، وأن من ينادون بفصل الدين عن الدولة كأنهم ينادون بفصل الروح عن الجسد وهذا معناه موت الشعوب ووضعها فى سراديب التخلف والإهمال.

وسنحاول بقدر الجهد، بيان مؤشر عام لآراء الشيخ تجاه القضايا الكبرى، وباختصار أيضا، وعلى من يريد مزيدا من التفصيلات أن يرجع إلى شرائط الشيخ نفسها، فهى بحر خضم

(*) الأحاديث التالية رواها البخارى.

متلاطم الأمواج، يموج بالتفاعل الإيمانى مع قضايا المسلمين، تفاعلا يليق مع عظمة الرسالة المحمدية وتبرهن بالدليل العملى أن الإسلام بحق دين الحياة فى كل صورها وعصورها.

أولا: تفاعله تجاه حرب أكتوبر ١٩٧٣ - العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ:

كان الشيخ إبّان حرب أكتوبر فى الكويت وذلك أثناء شهر رمضان، يلقى مواعظه الكريمة لأبناء الشعب الشقيق، وتلتف حوله قلوب أبنائه بكل الحب والتقدير: وتنقل الإذاعة خطبة الجمعة من المسجد الذى يلقى فيه الشيخ مشتهرى تلك الخطبة.

وفرحة بانتصار أكتوبر ألقى الشيخ خطبته عن «الجهاد وأثره فى حياة المسلمين» وعندما رجع إلى مصر لم ينس الشيخ أن يعبر عن ابتهاجه بذلك النصر العظيم، وألقى خطبة أيضا كما عوّد أحبائه على إيجابيته فى كل مواقف الحياة.

ومن الخطبتين يمكن تسجيل تفاعل الشيخ تجاه تلك الحرب التى أعادت لمصر وللعرب واللمسلمين، كرامتهم وهيبتهم الضائعة.

قال الشيخ رحمه الله وصوته يشع فرحة وعزة:

أراد الحق تبارك وتعالى أن يجعل شهر الصيام مصحوبا بأعلى درجات التقرب إلى الله ألا وهى الجهاد. حيث هبت علينا رياح الجنة تحمل فى طياتها بشريات النصر على يد رجال ضربوا للدنيا بأسرها أروع الأمثال فى البطولة وهم لله محتسبون، وقد ضاعف من عزمهم أن الله اختار لميعادهم أعظم الشهور عند الله وهو شهر رمضان والذى انتصر فيه المسلمون فى غزوة بدر، وفتحت فيه مكة فى العام الثامن الهجرى.

ما الذى مكن الجيش المصرى من عبور أكبر مانع مائى وتحطيم خط بارليف؟

إنه الإيمان بالله: فلا بد للجندى الذى يحمل السلاح من قلب عامر بالإيمان يصدر له الأوامر، فالروح تعطى صاحبها طاقات لا حدود لها، والله وعد المؤمنين: إما نصر وكرامة أو موت وشهادة والثانية أحب إليهم من الأولى.

نحن لا ننكر أن للتدريب أثره فى النصر، ولتوفير السلاح أثره، والخطة الجيدة لها أثرها..

ولكن نحن كان عندنا كل هذا سنة ١٩٦٧ فلماذا فشلنا؟ لأن الجنود لم تكن تحارب بعقيدة راسخة، وعندما غيرنا ما بأنفسنا وصححنا أخطاءنا غيرت السماء سياستها مع الأرض:

﴿ذلك بأن لله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الأنفال ٥٣).

أذاقنا الله عينة من اختلاط الروح بالمادة وكيف تصنع المعجزات حتى نكمل المشوار فى رحلة قدسية تتصل فيها الأرض بالسماء.

إن تلك الحرب حققت فى وقت قصير نتائج مذهلة:

- أن أفريقيا كلها قاطعت إسرائيل وهذا أمر لم يحدث عليه إجماع بهذا الشكل من قبل.

- أن أوروبا الغربية خرجت عن طوع أمريكا لأول مرة وقالت إن العرب على حق ولا بد لإسرائيل أن تنجلى عن أرضهم.

- اجتمعت كلمة العرب على كلمة سواء لم تحدث منذ زمن بعيد: فكان الجميع على استعداد لقطع البترول - استعداد لسحب الأرصدة من بنوك أمريكا وأوروبا - استعداد لتدمير الدولار.

- رأينا نيكسون على صفحات الجرائد - وهو رئيس أكبر دولة - يخرج وراء وزير خارجيتنا يودعه حتى يركب السيارة، بعد أن كان يتغطرس على رؤساء الجمهوريات.

إن انتصار أكتوبر يدعونا لتحرير المسجد الأقصى والأرض المحتلة كلها من الصهيونية الباغية الذين طغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد. وظنوا أن اعتداءاتهم المتكررة ستعيد لهم ملك داود وهيكل سليمان، وظنوا أن ملكهم يجب أن يمتد من النيل للفرات. كم بنوا من حصون، وشيدوا من مستعمرات وظنت اليهود أنهم الخالدون وأنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا.

ويجب على العرب جميعا أن يساهموا فى هذه المعركة بكل ما يملكون: بالنفس والمال والدم، فالجهاد فرض على كل أفراد الأمة وإلا تمكن منها أعداؤها. فكما تحاربنا قوى الشرك كافة فيجب على العرب والمسلمين أن ينفروا كافة:

﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ (التوبة ٣٦).

ومن يحرص على الحياة يأتيه الموت الذليل وهو على فراشه كالحيوان. ومن يحرص على الموت توهب له الحياة.

فهيا يا عرب جددوا عهد آبائكم، وكما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

«من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا. ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا». رواه البخارى ومسلم.

وكل مسلم اليوم مطالب بالجهاد وتحديد مصير المعركة حتى لا يندم ويتعرض للاحتلال أو الفتنة التى هى أشد من القتل، حيث فيها الإجبار على اعتناق معتقدات لا تتفق مع الدين:

﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم﴾ (التوبة ٣٩).

وأنصح الجميع ألا ينصت لإذاعات الأجانب ويصدقها لأنهم يبلبلون الأفكار ويزعزعون العقيدة سماهم الله «المرجفون».

حقا إن شعب مصر لم ينس ربه - حتى وهو فى أحلك ظلماته، فهو شعب يندفع فى المعارك بيده السلاح وفى قلبه الإيمان، فالله أمرنا أن نجاهد بصدق لنمحو العار والذلة عنا، وهو عليه العون والنصرة:

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ (التوبة ١٤).

وقد حفلت خطبة الشيخ فى الكويت وفى مصر عن حرب أكتوبر بأمثلة فريدة عن جهاد المسلمين الأوائل، وتبرعهم للمعارك بكل ما يملكون حتى لو كان ما يملكون هو أقل القليل، فالمهم هو الإخلاص وصدق النية فى إعلاء كلمة الله وتحرير المسلمين من ذل العبودية لغير الله.. فاللهم ألهم المسلمين رشدهم، وأعد لهم مجدهم، ووفقهم إلى ما تحبه وترضاه.

ثانيا: تعليقه على زيارة السادات للقدس(*):

إننا كعلماء لا ننتقد شهوة فى الانتقاد، أو بحكم الإحراج، إنما نرى الحق حقا بحسب ما يبدو لنا فنؤيده، ونرى الباطل باطلا فننكره ونتجنب أصحابه وندعو عليهم إن لم يرجعوا عنه.

(*) يراجع تسجيلات الشيخ الصوتية، شريط رقم ٦٦، بتاريخ ١٨/١١/١٩٧٧م فى مسجد الجلاء.

وبالنسبة لزيارة السادات لإسرائيل: فهناك زوابع فى البلاد العربية لا ندرى ما الباعث عليها: هل هى الغيرة أو التنافس بحسب زعمهم أن السادات قد ينفرد بمجد أو زعامة يصنعها لمصر أو لنفسه دون أن يشهدهم بها. لا ندرى الله أعلم.

وللآن لم نر شيئا فى نظرنا يثبت لنا سوء النية من هذه الزيارة، ثم إن نية السادات نفسها لا ندريها لأننا فوجئنا بها وفوجىء بها العالم كله. فلا ندرى: هل هناك سر مخبوء وراء هذه الأعمال الظاهرة؟ وهل هناك اتفاق سرى بين السادات وبين كارتر وبين بيجين؟ هل هناك اتفاقات وتنازلات؟

إن الأمور كما قال المصطفى الغيور - صلى الله عليه وسلم -: **«إنما الأعمال بخواتيمها والأعمال بعواقبها»**.

واليوم سيلقى السادات خطبته وسيعود غدا، وستتكشف الأمور كلها: فإن وجدنا النتائج خيرا وحسنا بحيث لم نتنازل عن شبر من الأرض، ولم نهمل فى حق فلسطين، ولا المسجد الأقصى ولا الضفة الغربية ولا مرتفعات جولان ولا كل المقدسات فهذا مكسب لنا، ولا نقول: كيف ذهب؟ لأن ذهابنا كلنا إلى المسجد الأقصى هو حق من حقوقنا. كل واحد منا يستطيع أن يذهب إلى القدس - رغم أنف إسرائيل أو باختيارها - حتى يصلى ركعتين فى المسجد الأقصى. هذا أمر واجب التنفيذ عند من يستطيع، فالركعة فى المسجد الأقصى بخمسمائة ركعة فيما سواه.

ولا نقول أن تلك الزيارة ذلة، إنما الذلة عند الاستكانة وعند التنازل وعند إضاعة الحقوق. ولقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدخل فى مفاوضات أحيانا لحقن دماء المسلمين وفى نفس الوقت تحفظ لهم حقوقهم وكرامتهم وعزتهم.

فإن كان السادات يعز عليه أن يراق دماء المسلمين من الجنود والقادة، ورحلته هذه رحلة سلام حسب ما قال - والله يعلم صدق نيته - حتى يجنب الناس إراقة الدماء، فهى نية نشجعه عليها ونثنى عليه.. وأقسم بالله غير حانث بصفتى وكيلا للأزهر، ورئيسا للجمعية الشرعية، أننى لا أجامل أحدا - حتى ولو كان رئيس الجمهورية.

فإذا استطعنا أن نحل مشاكلنا بالسلم - وهو مبدأ إسلامى خطير - فلا مانع من ذلك. عملا بقول الله تعالى:

﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ (الأنفال ٦١).

لا أقول هذا الكلام تشجيعا للسادات، فكم انتقدناه، وكم لعنا قرارات تصدر مخالفة لأمر الله. وكم لعنا المعوقين لتنفيذ الشريعة الإسلامية سواء فى مجلس الشعب أو الحكومة.

ولكن هذه المسألة لن تتبين إلا فى عواقبها. ولقد سمعت اليوم إذاعة لندن فى الساعة السادسة ورأيت أنهم أتوا ببعض كلام، قالوا إنه ورقة عمل سيقدمها بيچين للسادات، وفيها بعض الاقتراحات.. ولا أدرى: أهو مقلب من مقالب لندن حتى تهيىء الرأى العام أم هى حقيقة؟

ومن ضمن هذه الورقة: أن تتنازل إسرائيل عن كل أرض سيناء لمصر، وتعطيها ملكها كله إلا شرم الشيخ تأخذه إيجارا لمدة معلومة من السنين.. مثل هذا الكلام لا نعلم مدى صحته، ولكننا لا نرضى بالصلح المنفرد عن العرب أبدا حتى لو شتمونا وسبونا. لن نفرط فى سنتيمتر واحد من الأرض العربية. فإذا حققنا هذا ومعه حقوق فلسطين وإقامتها كدولة، فهذا شىء نحمده ونثنى عليه. ولكن أخيرا أقول لكم:

هل لو سلمت إسرائيل وضغط عليها كارتر وقال لها: لقد أعطيتم شيئا من الاعتبار والاحترام بمجىء السادات إليكم، رغم ما لاقاه من معارضة من العرب وحرق للسفارات المصرية هنا وهناك. فلا بد أن تتساهلوا معه وتنجزوا له مطالبه.

لو فرضنا أن ضغطا جاء لإسرائيل. وسلمت فى كل شىء نحبه فهل انتهى الأمر؟

إننى أقول باسم الدين: لا.

إننا كعلماء لا نرضى أبدا أن تحرر أرض، وأن ترد الأملاك، ثم يبقى دين الله مهضوما ومظلوما. حتى أننى أقرر بأن كل من يقتل فى حرب ليست لإعلاء كلمة الله فليس بشهيد، لا بد أن تكون هناك نية عند السادات وعند حكومته وعند مجلس شعبه من ضرورة تطبيق شرع الله وإقامة حدود الله.

والله الذى لا إله إلا هو، لو أصبح الناس وقالوا لى: يا عبد اللطيف لقد تنازلت إسرائيل عن تل أبيب وملكناها - وهى العاصمة لهم - لقلت لهم: هذا أمر لا أهش له ولا أبش. وإنما أفرح وأغتبط يوم نرى الإسلام منصورا والإلحاد مدحورا.

يا رب منك التوفيق ومنك الهدى. اللهم إن كنت تعلم أن السادات ذهب لمرضاتك وإلى سبيلك ونصر الحق فانصره يا رب ورده سالما غانما حتى لا تشمت فينا عدوا. وإن كنت تعلم أن هناك عوجا فى النية وعوجا فى الضمير والأهداف فاللهم سدد. واللهم تب.

ثالثا: حول تطبيع العلاقات مع إسرائيل(*):

لا بد قبل التعامل مع اليهود وتطبيع العلاقات معهم أن نعرف أولا من هم اليهود؟ ما هى خصالهم؟ ما هو منهاجهم فى الحياة؟ كيف ينقضون العهود حتى مع أنبياء الله؟ وذلك حتى نكون على بينة ونحن نخط علاقتنا معهم.. وما من مرجع يعرفنا حقيقة بنى إسرائيل مثل كتاب الله عزّ وجلّ الذى تلقيناه من السماء، ومهما نقرأ كتبا مؤلفة عنهم فلن ترقى إلى مستوى القرآن: ﴿قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض﴾ (الفرقان ٦) وهنا يثور سؤال: ما هى الحكمة فى تخصيص أول سورة فى القرآن لبنى إسرائيل؟

الجواب على ذلك أن هناك حكما بالغة ليتعظ بها المسلمون:

- أولها أن الله عزّ وجلّ ذكر فى أول سورة البقرة نعمه علينا. وعلى البشرية جمعاء: ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ (البقرة ٢١، ٢٢).

* بعد هذا التعميم للنعم أراد أن يذكر بعض النعم الخاصة أعطاها الله لشعب من الشعوب وهو بنى إسرائيل ولكن لم يثمر فيهم جميل الله فقابلوا النعمة بالكفر وجميل الله بالجحود، فكانوا أهل استحقاق لمحو نعمهم وهذا إنذار لنا لأن سنة الله فى الكون لا تتغير فلا يجب أن يستعين الناس بنعم الله على حرب الله!

(*) يراجع تسجيلات الشيخ الصوتية، شريط رقم (١٤٦م) بتاريخ ١٩٧٩/٨/١٧م من خطب الجمعة فى كوم حلين. وشريط رقم (٩، ١٠) من تفسير القرآن التفصيلى (سورة البقرة).

﴿سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب﴾ (البقرة ٢١١).

* جاءت قصة بنى إسرائيل بعد قصة آدم مباشرة: حيث التشابه فى ظروف القصتين: (استخلاف - تكريم - عهد - انخلاع من العهد أو نسيان - خروج من الجنة) هذا الوصف ينطبق على بنى إسرائيل بالضبط ولكن مع فارق كبير هو أن آدم عصى ربه وخرج من العهد نسيانا أما بنى إسرائيل فقد عصوا الله عن عمد وإصرار.

ولذلك فإن آدم نزل إلى دنيا الشقاء، ولكنهم نزلوا إلى دنيا العذاب الأبدى فهم مكروهون فى كل مكان:

﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (آل عمران ١١٢).

ومن مظاهر هذا الكره: أن من شروط المسيحيين عند تسليم القدس لسيدنا عمر عدم تمكين اليهود من سكن القدس لأنهم خافوا على أنفسهم من اليهود.. وهتلر وضعهم فى الأفران، وانجلترا، اضطهدتهم، وكل بلاد أوروبا.

* إن قصة بنى إسرائيل جاءت لتبين كيف أن الحرص على الحياة وحب الشهوات يؤدى بالأمم إلى الهلاك، لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون ما أنزل الله إرضاء لأهوائهم ومصالحهم ولذلك حذرنا الله منهم كثيرا:

﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ (البقرة ٩٦).

﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ (البقرة ٢٧).

* جاء القرآن لكشف دعاوى اليهود التى استعبدوا بها العرب فى المدينة وسيطروا عليهم ماديا وروحانيا بمؤامراتهم وادعائهم أنهم أهل كتاب يعرفون من أسرار السماء ما لا يعرفه العرب، فجاء النبى - صلى الله عليه وسلم - ليكشف زيف دعواهم وإلباسهم الحق ثوب الباطل من أجل مصالحهم الدنيئة.

فلما بين الرسول ضلالهم وأزاح انخداع العرب بهم، هنا ظهر العداء والمؤامرات وتأليب العالم كله ضد محمد وضد المسلمين. فهم أكثر شعب عنده حيل وعقل يمكن أن يدوخوا العالم كله لأنهم عقول جبارة مردت على الشر. وقد ورثوا هذا العلم عن جدهم الأكبر اسحاق ﴿ويشروه بغلام عليم﴾ (الذاريات ٢٨) ثم يعقوب حيث قال الله عنه: ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ (يوسف ٦٨) ولكنهم اغتروا بهذا العلم وظنوا أنهم شعب الله المختار لأن الله فضلهم على عالمي زمانهم واشترط عليهم أن هذا التفضيل سيظل طالما هم مع الله فى عهد مستقيم فإذا نقضوا العهد انقلبوا خاسرين ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ (المائدة ١٣).

* ذكر القرآن بنى إسرائيل تحذيرا للمسلمين فهو قال عن بنى إسرائيل: ﴿اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين﴾ (البقرة ٤٧).

حيث فضلهم على الناس فى وقتهم بالعلم والنعم الوفيرة، ولكنهم خانوا عهد الله فاستحقوا سنة الله فى الكون:

﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾ (البقرة ٩١).

﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾ (المائدة ٦٠).

﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ (الأعراف ١٦٧).

﴿وقطعناهم فى الأرض أمما﴾ أى شتتناهم فى الأرض (الأعراف ٨١٦٨).

وهذا يشبه ما أعطاه الله للمسلمين من خيرية إذا هم ساروا على المنهج: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران ١١٠).

وما فعله باليهود ليس بعيدا عن المسلمين إن حذوا حذوهم.

هل يمكن أن نتعامل مع اليهود؟

إن التعامل مع اليهود ليس أمرا سهلا كما نتخيل، فهو قوم حيروا أنبياء الله وكانت دوافعهم الشهوات وليس الإيمان فبمجرد أن خرجوا إلى سيناء ندموا على ترك مصر وما بها من

خيرات رغم ما لاقوه من هوان فرعون وطلبوا الطعام والشراب. ورغم ما أعطاهم الله من المن والسلوى وفجرّ لهم اثنى عشر عينا وغمامة تظللهم، إلا أنهم ملوا من هذا الطعام وطلبوا تغييره، كما أنهم اشتاقوا إلى عبادة العجل بعد معجزات الله التى رأوها أمامهم، وفعلا عبدوا العجل الذى صنعه لهم السامرى عندما كان موسى يتلقى التوراة من ربه، والصالحون منهم طلبوا رؤية الله لأنهم جبلوا على الماديات فأخذهم الله بصاعقة ثم نجاهم استجابة لدعاء نبيه موسى. وحتى بعد حوالى ١٢٠٠ سنة طلب الحواريون من عيسى أن ينزل عليهم ربهم مائدة ولم يطلبوا الهدى أو الرشاد. وحتى السؤال فيه جرأة وشك فى عظمة الله: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ (المائدة ١١٢).

وخلاصة القول فيهم: ﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم﴾ (المائدة ١٣).

أى استمرار الخيانة سواء عقدوا عهدا أم أمضوا وعدا، لأن الخيانة فى دمهم ولن تقدرعليهم أمريكا ولا غيرها. فهم خانوا الله من قبل وخانوا أنبياءه.

رابعا: استنكاره للاعتداء على المسجد الحرام بمكة المكرمة(*):

رُوِّع العالم الإسلامى منذ ثلاثة أيام بهذا الحدث المروع الإجرامى من تلك الفئة الضالة المضلة الصادة الرادة عن دين الله بالاعتداء على الحرم المقدس فى مكة المكرمة حيث الكعبة المشرفة وحيث البيت الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا. وهذا الحادث لم يتكرر فى تاريخ الإسلام اللهم إلا مرتين من قبل ذلك أو ثلاث مرات وكان انتقام الله من الفئة الباغية شديدا.

روِّع المسلمون وما رقأ لهم دمع، فما عين بكت، بل بكت قلوبهم، ووقف كثير منهم متجمدين: ماذا يصنعون؟ لو مكنهم الله من الطيران لطاروا إلى هذه الشرذمة المجرمة، فأذاقوها ويلات العذاب، مهما كانت مسلحة، فمن قتلهم فهم إلى النار، ومن قتلوه فهو شهيد فى سبيل الله.

نعم روِّع العالم الإسلامى بهذا الجرم الشنيع فى بيت يؤمه ملايين الناس فى كل يوم،

(*) من تسجيلات الشيخ الصوتية، شريط رقم (١٥٨) بتاريخ ٢٣/١١/١٩٧٩م.

وليس فى كل شهر، ولا فى كل سنة: منهم المعتمر والحاج، ومنهم الطائفون والقائمون والعاكفون ومنهم الركع السجود.

وهذه الكعبة التى يؤمها ملايين بلغوا ثمانمائة مليون من المسلمين يؤمونها عند كل وقت صلاة، ولا تقبل صلاتهم إلا إذا استقبلوها من عظم منزلتها عند الله عزّ وجلّ. حتى علم اليهود بمكانة الكعبة فتغيظوا وحسدوا المسلمين على أشياء ميزهم الله بها ومنها هذه الكعبة، وقد ورثوا هذا العلم من أبيهم الأول اسحاق عليه السلام «الغلام العليم».

فوا عجبى من يهود يعرفون قيمة الكعبة ويحسدوننا عليها، ويأتى فريق يدعى الإسلام وأنه يريد نصرته فى شخص شخصية موهومة اخترعها الكذبة والفجرة قديما من رجال السياسة، الذين يستحلون حرمات الله فى سبيل التمكين لمقاعدهم وكراسيهم ألا وهى شخصية «المهدى المنتظر»، واستعانوا فى ذلك بأحاديث موضوعة، وإذا وجدت فى بعض الكتب ـ وإن كان المتن سليما ـ إلا أن السند غير سليم، حيث هناك بعض الرجال الصالحين من رواة الحديث لا يغربل ولا يمحص بما فيه الكفاية عمن يأخذون منه ظنا منهم أن كل الناس صالحين مثلهم نتيجة حسن نواياهم.

ولو أن هذا المهدى المنتظر حقيقة ـ فلنفرض ولنسر معه على كذبه ودجله وعلى فهمه الخاطىء مع أن الأصل باطل وليس هناك مهدى أبدا ـ فمن صفاته كما يزعمون أنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وليس من باكورة عمله تخريب بيت الله الحرام، فيدخل البيت بأسلحة تبلغ حمولة عشر سيارات مصفحة باسم أنها نعوش لموتى، ثم يصعد المآذن هو وأتباعه ثم يختبئون فى الحجرات، ثم يضربون فى المصلين يروعونهم فى أول يوم فى العام الهجرى الجديد!!؟؟

لقد قال الله عن هذا البيت: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾(*). أى أنها تقيم أمر الناس وتصلح من شأنهم وتوحد كلمتهم، لأن الملايين تتجه إليها فيترتب على هذا الاتجاه الواحد والمنهج الواحد والكتاب الواحد والنبى الواحد والرب الواحد، يترتب على هذا اتحاد القلوب وارتباط النفوس والأرواح.

(*) المائدة: ٩٧.

إن هذا البيت حرام بحرمة الله يوم أن خلق السماوات والأرض، حرمته دائمة، حتى أن الكفرة الفجرة، لما استعصموا بالحرم يوم فتح مكة، أذن الله لنبيه أن يقاتلهم دفاعا عن النفس:

﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه. فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ (البقرة ١٩١).

ولكن بعد أن هدأت النفوس، وخشعت قريش لعظمة الله وسلموا لأمر الله، أعلن النبى - صلى الله عليه وسلم - أن البلد حرام بحرمة الله يوم خلق الله السماوات والأرض لا يستحل حرمتها إلى يوم القيامة، ثم قال: إذا استرخص أحد من الحكام ما فعلت أنا، فقولوا له: إن الله أذن لنبيه ساعة من نهار ولم يأذن لك ثم عادت حرمتها إلى يوم القيامة.

إن هذا الاعتداء على المسجد الحرام لم يكن الأول من نوعه:

* فقد اعتدى عليه في الجاهلية من أبرهة الحبشى وكلكم تعلمون ما فعل الله به وبجيشه: ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾ (الفيل ٣:٥).

* فى عهد عبد الملك بن مروان أرسل الحجاج الثقفى، السفاح المعلوم الذى كان لا يتناول غداءه إلا على جماجم القتلى، أرسله إلى عبد الله بن الزبير (أمه أسماء بنت الصديق رضى الله عنها وعن أبيها) فاحتمى عبد الله بالكعبة ظنا منه أن الحجاج ومن أرسله (عبد الملك بن مروان) مسلمان، فلا يمكن أن يهتكا حرمة الكعبة حتى يتم التفاهم سلميا.. ولكن الحجاج اعتلى جبل (أبو قبيس) وأمر بضرب مكة كلها والحرم بالمنجنيق وأشعل النار فى الكعبة حتى احترقت أستارها، وحتى احترق الحجر الأسود وحدثت به خدوش، وتفتت إلى ثلاث قطع ثم لحموه بالفضة إلى آخر ما حدث.

ولكن الله عزَّ وجلَّ لم يترك أبدا هؤلاء المعتدين، وكلكم تقرأون التاريخ وتعرفون كيف مات الحجاج، وكيف مات الجيش الذى ساعده فى ضرب الكعبة بالمنجنيق.. كلهم ماتوا شر ميتة وصنع الله بهم ما صنع.

* تكرر الأمر أيام القرامطة: حيث جاء المجرم المسمى بأبى طاهر بجيشه وأدخل فرسه حتى تبول فى المسجد الحرام، واقتلع الحجر الأسود، ومكث مدة من الزمن بعيدا عن الكعبة، ثم فعل الله به الأعاجيب وصب عليهم سوط عذاب، وجاء الله بمن أعاد الحجر الأسود مكانه وأعاد للبيت حرمته.

والسؤال الذى أريد أن أطرحه:

يا رب إذا كنت يوم ميلاد النبى - صلى الله عليه وسلم - أكرمت الكعبة فدافعت عنها، ودفعت وحميتها من جيش أبرهة.. فلم لم تفعل ذلك أيام ابن الزبير وأيام القرامطة وأيامنا هذه؟

الجواب هو: فى الجاهلية لم يكن حول الكعبة مسلمون يدافعون عنها، فكان الكفر سائدا والجاهلية عامة. فلم يجد الله من يعبده فى الأرض حتى يغار على حرماته، فتدخل هو بقدرته سبحانه وتعالى.

أما الآن فيوجد ٨٠٠ مليون مسلم فى شرق الأرض وغربها، والكعبة فى وسط ١٠٠ مليون عربى حاكمين ومحكومين. ولكنهم لا يساوون عند الله نملة تدب على الأرض. رغم عنجهيتهم الظاهرة والشعارات والخطب الرنانة، فتركهم الله لكشف المسلمين، والحكام المقصرين، وتعريف قيمتهم أمام الملأ الأعلى والعالمين.

فأين هم الحماة يا حرمين؟ أين البلايين التى ينفقها الأمراء فى أوروبا على الناس والخمور والحراس لشهواتهم؟

إن بيت الله أولى أن تكون عليه حراسة بالعقول الالكترونية وأحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا العالمية، بحيث يكتشف المعتدى حتى لو كان فى قلب نعش. وتلافى الجريمة من بدايتها بدل ترويع المسلمين وتعطيل الطواف والصلاة فى المسجد الحرام أربعة أيام مع أن الله يقول فى المسجد الحرام بالذات:

﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها. أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين. لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ (البقرة ١١٤).

إن كل مسلم ومسلمة فى شتى بقاع الأرض له حق فى الكعبة، ومن حقه أن يعبر عن مصيبته فيما حدث للمسجد الحرام. وهل هناك مصيبة أشد من تلك المصيبة، وليأخذ هذا التعبير صورا شتى: من الدعاء إلى الله - والمسيرات السلمية - واجتماع طارىء لمجلس الشعب الذى يمثلنا لاستنكار هذا الاعتداء، وإرسال البرقيات من علماء الدين وعلى رأسهم شيخ الأزهر، وتفاعل وسائل الإعلام.

فاللهم اهد المسلمين إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم، واحفظ علينا ديننا وبيتك المحرم، وكل ما فيه أمننا وسلامنا. إنك نعم المسئول، ونعم المجيب.

خامسا: غزو العراق للكويت(*):

إن هذه الفتنة التى وقعت بين العرب المسلمين لفتنة مهلكة مدمرة، وحق فيها ما قاله نبينا الصادق ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أن كان خارج المدينة ثم رجع إليها، ثم التفت لأصحابه وقال: «**إنى أرى الفتن تتساقط على بيوتكم كما يتساقط المطر**».

أيها المسلمون: الناس فى العالم كله (شرقيه وغربيه، شماله وجنوبه) يتساءلون فى حسرة وألم عما جرى من العراق ضد أخيه الكويت. وهم يسألون عن أوراق الشجرة وثمارها، وقليل جدا من يبحث عن الجذر وعن الأصل. وفى اعتقادى أن هذه الفتنة جذورها أنهم حادوا عن صراط الله المستقيم جميعا. لا فرق بين الكويت ولا العراق. كلهم ابتعدوا عن الله، كلهم أنفقوا أموالهم بالمليارات فى سبيل النساء والخمور والقمار. ووضعوا أموالهم بالمليارات فى بنوك الأجانب فى أوروبا وأمريكا ليستفيدوا هم باستثمارها وتركوا شعوبهم المطحونة بالجوع والعرى دون أن يعنوا بها.

فاستحقوا بذلك من الله أن يسقط بينهم هذه الفتنة العمياء التى تأتى على الحرث والنسل، فالله عزّ وجلّ لا يأتى لعباده بما يكره إلا إذا بدأوا هم بالشر:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (محمد ٧).

فلو أننا نصرنا الله وأعلينا كلمته، لنصرنا الله وأبقى لنا الاطمئنان والاستقرار والعزة والهيبة والوقار. فسنة الله لا تتبدل. والعاصون فينا مقدمون بالعقاب على العاصين من الكفار والأجانب لأن مصيرهم معلوم مآله. أما العاصى فينا فإنه تقمص بقميص الإسلام، فمن العار أن يبقيه الله هكذا منصورا منعما ويكون أسوأ عنوان على الإسلام، فيبدأ الله بعقابه أولا قبل الكافر حتى يطهر الصف الإسلامى من كل دنس ومن كل رجز.

كم وعد صدام حسين العرب وكم وعد الزعماء والعلماء الأجلاء ألا يعمل شرا، ثم غرق

(*) شريط رقم (٥٩٤) من خطب الجمعة، بتاريخ ١٧/٨/١٩٩٠، فى مسجد الجلاء.

فى الشر إلى آذانه. كنا نشهد ببطولته وأنه خرج من حرب إيران (ثمانية أعوام) سليما معافى. وإذا به يصطلح مع إيران ويتنازل عن كل ما أقام الحرب بينه وبينها: يتنازل عن شط العرب وعن الحدود ويطلق سراح الأسرى الإيرانيين مرة واحدة. تنازل عن كل شىء وكأنها ما كانت حربا وذلك لكى يتفرغ لإخوانه العرب ليحاربهم فى الكويت والسعودية وغيرها. أليس هذا عجبا؟

إنه درس لنا لكى نعرف أن لكل معصية عقابا من جنسها: فقد كنا نعلم أن بعض الأصدقاء والمحبين تنقلب محبتهم إلى عداوة يوم القيامة كما أخبرنا الله عزّ وجلّ:

﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ (الزخرف ٦٧).

ولكننا زدنا على هذا وجاءت البغضاء فى الدنيا قبل الآخرة وأصبح العرب شر سيرة فى العالم كله. وصدق فينا قوله الحق: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ (الأنعام ٦٥) فتحولنا إلى شيعة وأحزاب وفرق متناحرة متعادية متباغضة لا ينصر أحدنا الآخر.. وقد بكى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما سمع هذه الآية. فقالوا: **يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: إنى سألت الله هذه الأشياء: أن يبعد عن أمتى العذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم أو يلبسهم شيعا أو يذيق بعضهم بأس بعض. فاستجاب الله لى إلا الرابعة وهى: ﴿يذيق بعضكم بأس بعض﴾.**

وهذا يبتلينا الله به على ما اقترفته أيدينا من ذنوب:

﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم ٤١).

ففى سورة القمر: بعد أن ذكر المولى سبحانه وتعالى قوم نوح وغرقهم عقابا لهم، وذكر عاد وكيف دمرهم بالريح، وثمود وكيف أهلكوا بالصيحة وقوم لوط وكيف عاقبهم الله بالحصى ينزل عليهم كالصواعق، وفرعون وكيف أخذه وقومه أخذ عزيز مقتدر، جاء الله لنا نحن فقال: ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر﴾ (القمر ٤٣).

فالكافر فى هذه الأمة والفاجر فيها ليس أعلى عند الله من فاجر نوح أو عاد أو ثمود أو

قوم لوط أو فجار فرعون.. إن سنة الله واحدة لا تتخلف أبدا لا فى الماضى ولا الحاضر ولا المستقبل. والله جل شأنه عاقب اليهود عقابا صارما وقال:

﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ (الأنعام ١٤٦).

فالبغى وهو التعدى على حرمات الله وأكل أموال الناس بالباطل جزاؤه غضب الله ولعنته.

وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **بشر هذه الأمة بالثناء والرفعة والتمكين فى البلاد والنصر على الأعداء. ومن عمل منهم عمل الآخرة من أجل الدنيا لم يكن له عند الله من خلاق.** (تخريج السيوطى عن أبى هريرة)(*).

فاللهم أخرجنا من هذه الفتنة بخير، وقنا شر صدام حسين وشر المجرمين والأفاقين والسفاحين، الذين يجرون الخراب والدمار على الأمة الإسلامية ببهتانهم وإفكهم.

ـ وأقترح بأن المسلمين يسن لهم الآن سنة مؤكدة: وهى أن يقنطوا فى آخر ركعة فى الصلاة «قنوت النوازل» لأنهم لم ينزل بهم مصيبة مثلما نزل بهم الآن.

وعند النوازل: يسن القنوت فى آخر ركعة فى كل فرض: الصبح ـ الظهر ـ العصر ـ المغرب ـ العشاء.

ويقال فى القنوت:

اللهم ارفع عنا ما نزل بنا ـ اللهم ارفع عنا ما نزل بنا ـ اللهم ارفع عنا ما نزل بنا ـ واكفنا شر هذه الفتن يا أرحم الراحمين، وانصر الإسلام والمسلمين.

اللهم استأصل شأفة من بدأ بالشر وأرحنا منه يا حليم يا جبار. وصل اللهم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

سادسا: قضية اللحوم والطيور المستوردة(**):

نظرا لأن هذه القضية متجددة على الدوام طالما هناك استهلاك يزيد على الناتج، ونحتاج

(*) حديث رقم ٢٨٢٥ فى صحيح الجامع.

(**) يراجع تسجيلات الشيخ الصوتية، شريط رقم (٢٠٥٢)، (٢٠٥٣) من الدروس والمحاضرات بتاريخ ١٩٨١/٢/٢٣م بالمنصورة.

إلي استيراد ما يعوض هذا النقص. فقد اهتم الشيخ بتلك القضية اهتماما بالغا عملا بقول الله عز وجل:

﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا﴾ (البقرة ١٦٨).

وقول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -:

«طلب الحلال فريضة بعد الفريضة».

«يأتى على أمتى زمان يأكلون الحرام لا يبالون من أين اكتسبوه. وعند ذلك لا يستجاب لهم دعوة».

وهو يقول: كنا نفتى بحل اللحوم والطيور المستوردة إبقاء على الأصل: فكل شيء أصله طاهر فهو حلال ما لم يثبت العكس. وكان الناس يبلغوننى عن الشيخ عبد الحليم محمود أنه حرم اللانشون واللحوم الخارجية والطيور المستوردة، فكنت أقول: مش معقول وأكذب من يبلغنى.. ثم تبين لى أن الرجل اطلّع على ما لم نطلع عليه وكان بحكم سفره كثيرا فى الخارج - كشيخ للإسلام يدعى كثيرا للمؤتمرات - قد اطلّع على المصانع هناك، ورأى ما لم نر، فجاء وجهر بالحق ولم يخش فى الله لومة لائم.. وتبين لى حقيقة ذلك عندما جاءنى كتاب بعد عيد النحر من سلطنة عمان (التى يرأسها الملك قابوس) يتكلم عن ذبائح أهل الكتاب فى أوروبا وحلها فى الإسلام وتحريمها.. فوجدت الكتاب كله مبينا شيئا ما كنت أعرفه. وأصبحت أعتقد اعتقادا جازما بأن ما أفتيت به الناس كان بحسن نية. والعذر على عدم الاطلاع وعدم السفر. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ (يونس ٣٩).

فقلت اللهم غفرانك. فقد ضللنا وأضللنا ولكنه كان بحسن نية وعدم علم.. وبعد ذلك جاءنى كتاب آخر من باريس ألفه رجل تونسى مقيم فى باريس، وصف فيه الوصف المؤلم المحزن المبكى للمصانع وكيف تموت فيها الطيور إما بالخنق وإما بالصاعقة وإما بالكهرباء. وأن قطع الرقبة يأتى بعد تمام الموت وبعد تغطيسها فى الماء الحار جدا الذى يبلغ ٣٠٠ درجة وذلك لتنظيف ريشها. وفى الحيوانات الكبيرة مسدسات تنضرب بها فى جهة خاصة فى الجبهة

فيقع الحيوان ميتا. وأحيانا مراذيب مثقلة تبلغ حوالى ٢ طن معلقة فى السقف تنزل على دماغ البقر والجاموس المرصوص جنب بعضه فيخر الثور بدون أى حركة (فطسان).

وإذا كانت الحيوانات ستصدر إلى الشعوب الساذجة فى الشرق يسلخوه ويقطعون رقبته ويغلفونه ويكتبون عليه «ذبح على الشريعة الإسلامية».. وقد كان هناك عهود ومواثيق طلبتها مصر عندما احتج الأزهر، فأعطونا تلك العهود ولكنهم منعوا زيارة تلك المصانع إلا لمن يخدعهم ويقول لهم: إننى قادم للاستيراد بالآلاف وأريد التعرف على العينة.

وهؤلاء الكاذبون الضالون يدعون أنهم أرحم بالحيوان من رب الحيوان وأن الله الذى شرع الذبح إنما قسا على الحيوان فهم يميتونه بالتخدير أو بالصعقة الكهربائية رحمة بالحيوان. ومع ذلك فهم لا يرحمون الإنسان الذى كرمه الله، وما من دولة دخلت فيها أمريكا أو روسيا إلا وذبحوا المسلمين تذبيحا.. إنه الانقلاب فى الفهم والانعكاس فى التعقل، حتى تعلموا حقا أن من يؤمن بالله يهد قلبه. وقد هدانا الله إلى ما فيه صلاحنا حيث حرم كل ما حبس دمه: فإن قطع الحلقوم والمرىء والوريدين اللذين فى الجوانب معناه طرد الدم الفاسد من الجسم كله.

ويساعد على ذلك رفس الحيوان الشديد عند الذبح. ولذلك قال العلماء: إنه عند وجود حيوان فى النزع الأخير وذبح فلم يتحرك فلا يكون صالحا للأكل.

إن رابطة العالم الإسلامى لها احترامها، وهى مكونة من أكثر من ٥٠ دولة إسلامية وعلماء لهم وزنهم مقرها فى مكة. أرسلت مندوبين لها واطلعوا بأنفسهم على ما يحدث فى أوروبا وأمريكا من طريقة الذبح. وبعدها أصدرت قرارا رسميا وزعته على كل البلاد الإسلامية: «يحرم استيراد هذه اللحوم والطيور فهى ميتة يحرم أكلها» وبذلك جمعت بين التحريم والضرر.

وفى الأسبوع الماضى: أرسلت لى السعودية مجلة الرائد حيث أوضحت لنا بلاء ثانيا غير موضوع الإماتة، فلو حتى ذبحوها ستكون حراما أيضا لأن الناس المدفوعين بسبب حبهم الشديد للمال إلى ارتكاب أبشع الجرائم كما قال الله عنهم: ﴿إن المجرمين فى ضلال وسعر﴾ (القمر ٤٧). (أى سعرة على المال) هؤلاء الناس قد اخترعوا طعاما لهذا الحيوان ليكبر سريعا فيوفر عليهم الوقت والجهد. يحتوى هذا الطعام على هرمون «استروچين» وهو من أخطر ما يكون حيث يسبب للرجال التخنث والغدة الدرقية وللنساء سرطانا فى الرحم.

ولا نزال للآن نتلقى من أطباء بيطريين رسائل عن حقائق اطلعوا عليها أثناء وجودهم فى بعثات بالخارج، حتى أنهم لم يجدوا ما يأكلون إلا السمك المشوى. وعندما حاولوا الاتفاق مع المسئولين بالسماح لهم بالذبح على الشريعة الإسلامية وجدوا أن هذا أمر صعب للغاية حيث نزول الدم يحتاج إلى خدمة خاصة لتنظيفه، كما أن الدم يعتبرونه نوعا من الڤيتامينات التى تنفعهم، واستصدار أمر كهذا يحتاج موافقة من البرلمان وإجراءات شديدة جدا. ولم يجد المسئولون فى المركز الثقافى فى لندن إلا الاتفاق مع اليهود للأخذ من ذبائحهم لأنهم لا يأكلون الميتة حيث تحرم عليهم التوراة ذلك، ويذبحون كما تأمرنا شريعتنا بذلك.

فيا أهل الإيمان: شدوا أعصابكم على إيمانكم وعضوا عليه بالنواجذ وإياكم أن يتفلت منكم حبل الإيمان فتهلكوا.. وتفقهوا فى دينكم واطلعوا على أحكامه من مصادرها الأصلية.. واحذروا العلماء المفتونين الذين يأخذون علمهم من الناس ولا يعطون الناس علمهم من المنبع الصافى. فهناك من يعى العلم والفقة، ولكنه يأخذ دينه من العامة والكافة. وبدل أن يوجه الناس للحق، يتوجه هو مع الناس ويمشى مع التيار، ويجامل وينافق وهو أشر على الإسلام من أعداء الإسلام. ولهذا يحللون ما حرم الله نفاقا حتى يظهروا للناس أنهم ييسرون دين الله. وما يتيسر دين الله بتحليل الحرام أبدا. إنما التيسير أن ندل الناس بصدق على ما ينفعهم وما يضرهم. ولئن تخوف الناس حتى تؤمنهم من الخطر خير من أن تؤمنهم حتى يقعوا فى الخطر. فلا يصح أن نبتلع الطعام ولا ندرى من أين أتى ولا هو حلال أم حرام. فطلب الحلال فرض على كل مسلم ومسلمة بعد التوحيد وبعد أداء أركان الإسلام.

فاللهم ارزقنا التثبت والأناة حتى لا نأكل إلا حلالا.

***

وبعد فهذا غيض من فيض، اخترناه كنموذج لما يخاطب به الشيخ مشتهرى الناس.. والحق أن تلك النسبة الضئيلة التى لا تتعدى ١ ٪ من خطب الجمعة التى تزيد عن ٦٠٠ خطبة خلال الفترة (١٩٧٥ - ١٩٩٣) قد لا تعبر عن الجهد الخلاق الذى بذله الشيخ وكأنه فارس فى ميدان الحق، يصول ويجول لتكون كلمة الله هى العليا، محاولا قدر الجهد - استنهاض همة المسلمين، ليكون كل منهم مسلما يعتز بدينه وكرامته ووطنه، مسلما يبنى رأيه الحر من نابع عقيدته القيمة، مسلما يعرف كيف يعيش حياته الإيمانية منهجا تطبيقيا.

ولقد كان الشيخ مشتهرى يحرص أشد الحرص على أن يكون منبرا مشعا لتكوين رأى عام إسلامى رشيد، فلم يترك مناسبة إلا وتناقش فيها مع الجماهير التى سعت إليه لتسمع رأيه فيما يمر بهم من أحداث، ولذلك فقد حقق مع تلك الجماهير التلاحم المطلق، لأنه كان اللسان الناطق عن أحاسيسهم ومعاناتهم وحاضرهم وما يعج به من أحداث، ومستقبلهم وما يجب عليهم تجاهه ليكون أكثر إشراقا وأكثر راحة إذا حسبوا للأمور عواقبها.

والمتتبع لخطب الشيخ مشتهرى ودروسه ومحاضراته يذهله ذلك الكم الهائل الذى أثرى به الفكر الإنسانى لأنه كم وكيف، فكل خطبة تحمل وراءها إعدادا جيدا ودراسة واعية وفكرا صائبا، وعقيدة راسخة، وقلب مستنير بنور الله، ويفيض حبا لله ورسوله، لذلك فإن كلامه ينطلق بسلاسة عجيبة وسهولة أعجب، مع أنه يحوى أعقد الدراسات وأكثرها تقدما.

ورغم كثرة الخطب والدروس إلا أن كلا منها يحمل فكراً جديدا وهدفا نبيلا وإخلاصا شديدا فى محاولة للارتقاء بالإنسان المسلم وجعله أهلا لانتسابه للإسلام وعلى مستوى راق لفهم تعاليم القرآن السامية ومبادئه النبيلة. فتكلم فى الفقة، والعقائد، والتاريخ الإسلامى، والاقتصاد والسياسة والاجتماع، وتكلم عن الإسلام والتطور، والإسلام والصحة النفسية والبدنية، وكيف تتحقق العزة للمؤمنين التى أوضحها المولى جلَّ شأنه، وقيمة الوقت فى حياة المسلم، وأهمية الجهاد لتأمين الدولة، وضرورة أن يعلم المسلم أولا ثم يعمل بما علم ولا يصده عن ذلك ما يعانيه البشر من بلاء الشهوات الخاصة بالبطن والفرج، والشبهات الخاصة بالعقل والذهن.

كثير وكثير تكلم عنه الشيخ مما لا يسمح المجال هنا لتسجيله، ولكن هذا الكثير يجعله بحق المجاهد الذى لا يهدأ، و المصلح الذى لا يفتر، والعالم الذى لا تنضب بحار علمه، والرائد الذى يصدق أهله، والشهيد الذى نال درجة الشهادة بتمسكه بسنة الحبيب المصطفى عند فساد الأمة كما قال الصادق المعصوم:

«من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد» (رواه البيهقى عن ابن عباس عن النبى - صلى الله عليه وسلم -).

ورغم كل ما بذله الشيخ من جهد لإزاحة الغبار عن وجه الشريعة حتى يتلألأ نورها ويبدد ظلمات الجهالة، فإنه أفسح صدره وكان يعطى لكل سؤال حقه من الاهتمام. وسنعرض فيما يلى بعض نماذج من الأسئلة التى كانت توجه للشيخ وردوده عليها.

نماذج من فتاوى الشيخ

إن المتتبع لفتاوى الشيخ مشتهرى يجد نفسه أمام بحر لجى مترامى الأطراف، لا يمكن للباحث مهما بلغت براعته أن يحصى حدوده وأبعاده، حتى يظن ذلك الباحث أن الشيخ لم يكن له عمل آناء الليل وأطراف النهار غير الرد على أسئلة السائلين.،

وقد تعددت أنواع هؤلاء السائلين ووظائفهم، كل فى فلك يسبحون، وكل يبحث عن إجابات لأسئلة تدور فى وجدانه حلا لمشكلة تصادفه قد تعوقه عن إقامة شعائر دينه الإقامة التى تتفق مع شرع الله وحدوده.

ونظرا لاتساع مجال الفتوى عند الشيخ، فقد هدانا الله لاختيار أسئلة الصحفيين، لأن الصحفى بصفته يخاطب قطاعا عريضا من الجماهير، فإن أسئلته تتسم بقضايا عامة يئن لها ضمير الأمة الإسلامية، أو تشكل علامات بارزة على مسيرتها، أو يتفاعل معها جمهور كبير من الناس:

السؤال الأول:

المجتمع الإسلامى ظهر خيره فى مدة زمنية محددة، ثم دخل عليه الباطل. وبدأت بعض المجتمعات تتجه إلى المناهج الوضعية. فهل سبب ذلك أن المنهج الإسلامى لا تطيقه النفوس طويلا؟

الجواب:

هذا سؤال مهم جدا يحيط بماضى الإسلام وحاضره ومستقبله إن شاء الله. الإسلام أنزله الله تعالى دستورا للوجود، وبيانا وبصائر للناس فى أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم.. وكان أمرا بينا آمن به من آمن فى أول أمره، وجاهدوا فى سبيله عن عقيدة ويقين، وعن تطبيق واقتناع، واتخذوه مسلكا فى أعمالهم كما يجرى الدم فى العروق.. من أجل هذا سادوا وباد غيرهم، وتغلبوا على أمم كانت سائدة قبلهم ولها الصدارة، وعاشوا على ذلك قرونا عديدة. فلما طال الزمن، جرت سنة الله على هؤلاء المسلمين، كما تجرى دائما على أحوال

هذه الدنيا: ﴿تلك الأيام نداولها بين الناس﴾(*) فتولى أمرهم علماء وأمراء نسوا الكثير مما ذكروا به. وغار عليهم مستعمرون كثيرون من أجناس شتى ففعلت القوى فعلها فى الطرفين:

العلماء: كتموا بعض ما أنزل الله من شريعته خوفا من البطش.

والحكام: أصبحوا عملاء - فى الغالب - للمستعمر.

وبذلك نشأ الصغير لا يعلم من دينه إلا ما أملاه عليه هؤلاء العلماء الكاتمون لمعظم شريعة الله، والجبناء أمام الأمراء.

فضاع الشعب بين عالم كاتم وبين حاكم جاهل يغلب مصلحة نفسه أو ما يفرضه عليه كرسيه على دين الله. «والناس على دين ملوكهم».

فإذا كان من كلفهم الله البيان غيروا فى هذا البيان. ومن كلفهم الله التنفيذ لشريعته غيروا فى هذا التنفيذ وتواطئوا مع الباطل إرضاء للمستعمر الذى يريدها عوجا.. فكيف ينجو الشعب إذن؟!

وهكذا فالتغير الذى حصل بعد زمن الإسلام الزاهر الأول لم يكن سببه أن مناهج الإسلام الأولى لا تطاق، فإن الله عزّ وجلّ بحكمته لا يكلف الناس ما لا يطيقون، وهو القائل: ﴿لا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ (البقرة ٢٨٦).

إنما العيب كل العيب جاء من عند النفوس، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم.. المنهج سليم وصالح، ولا تزال شعوب كثيرة فى مصر وغيرها - تطالب بالعودة إلى المنهج الإسلامى بدل هذه المناهج الوضعية التى وضعها أقوام يذكرون وينسون، ويهدمون اليوم ما بنوه بالأمس، وليس لديهم من إحاطة لأخلاق الناس أو أدوائهم أو علاجهم إلا النذر اليسير.. أما الدين الأصلى الإسلام الذى ساد به الأولون، فواضعه إله يعلم الماضى والحاضر والمستقبل على ما هو عليه.

ونحن نقول: عودوا إلى منهج الإسلام السليم، أقيموا حدود الله، طبقوا شريعته ثم انظروا

(*) آل عمران: ١٤٠.

الفرق بين أوضاعكم فى مناهجكم الوضعية، وبين ما يترتب على إقامتكم حدود الله وعلملكم بشريعته. ونحن إن شاء الله منتظرون.

السؤال الثانى:

بعض الناس يتصورون أن الإسلام يفصل بين الدين والدنيا، وهذا القصور يقودهم إلى استنكار أن يشتغل عالم الدين بالمسائل العامة وأن يشارك فى حمل هموم وطنه ومواطنيه.. ما رأيكم؟

الجواب:

هؤلاء متآمرون أو مغفلون. قالها الشيخ بحسم وبوضوح. وأضاف: دين الإسلام لا يعرف الانعزالية، ولا يقر الفصل بين الدين والدنيا. فى الإسلام: الأرض كلها مسجد، وتربتها طهور، والمغزل بيد المرأة كالرمح بيد المجاهد، والدفاع عن الوطن وحبه من صلب الإيمان، والمسلم الحق يؤمن أن العدوان إذا أهملنا دفعه ودحره قضى على ديننا ودنيانا.

إن إمامنا الشيخ محمود خطاب مؤسس هذه الجمعية كان يدعو أبناءه وتلاميذه إلى احتراف الثورة سنة ١٩١٩ ضد الانجليز، وكان هؤلاء فى طليعة الثوار. وفى طليعتهم المرحوم الشيخ أحمد جاد الله عضو الجمعية وأحد عمال عنابر بولاق، وكان زعيم العمال فى هذه الثورة وأحد الذين قدموا للمحاكمة مع النقراشي وأحمد ماهر عقب هذه الثورة، وحكم عليهم بالإعدام.

الشيخ الإمام نفسه استضافه الإنجليز فى سجن محافظة القاهرة فترة خلال هذه الثورة بعد أن وجدوه يؤجج نارها.. لم يتألم الشيخ للسجن ولا للقيد، فهو يؤمن أنه فى سبيل الدين وحماية الوطن. السجن خلوة والنفى سياحة والقتل شهادة.. ولكن ألمه كان شديدا حين أحضر الإنجليز إلى سجنه بعض من انتسبوا إلى العلم يتهمونه بانتحال مذهب غريب عما اعتاده الناس. وتخطى الشيخ كل الآلام، وراح يناقشهم ويحاورهم حتى أفحمهم وأثبت لهم أنهم اتخذوا دينهم عادات حسب الهوى وليس عبادات أنزلها الله.

الشيخ الإمام كان يحمل هموم وطنه بوعى وبصيرة، لقد حول شعار مقاطعة البضائع

الإنجليزية من مجرد كلام إلى عمل.. إلى (نول) .. إلى (مصبغة) .. إلى (ورشة) .. إلى تصنيع كل ما نستورده من الإنجليز، بخامات محلية وبأيد مصرية.

السؤال الثالث:

الإسلام شجع الجماعة وحذر من المفارقة لها. ما العمل تجاه فردية المسلمين حاليا. خاصة وأنه توجد الكثير من الجماعات التى تعتبر كل واحدة منها أن الحق معها؟

الجواب:

فى اعتقادى أن الراعى هو المسئول عن حفظ الروابط بين رعيته، مثل الأب فى الأسرة الذى يحزم الأمور ويمنع انفراد كل واحد من أولاده برأيه أو محاولة فرض سلطانه.

والعالم الإسلامى الآن مشكلته أن أولياء أموره غائبين عن إسلامه (نحن لا نتكلم عن الضبط والربط فهذا ممكن أن يسود حتى فى المجتمعات الشيوعية) ولكن نتكلم عن قدرتهم على بيان الحلال والحرام وحزم الأمور التى يختلف فيها الناس وإلزامهم كلمة التقوى عند اختلافهم. فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. فالحاكم هو الأب العام الذى يحكم بين الناس بالحق عندما تفسر كل جماعة القرآن والسنة على هواها.

ولذلك لا بد أن يكون الحاكم فى درجة من الوعى الدينى أعظم من أى عالم فى البلد حتى يضع الأمور فى نصابها ويحكم بين الناس فيما فيه يختلفون مثلما فعل سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما وعن الصحابة أجمعين.

السؤال الرابع:

ما رأيكم فى وحدة العمل الإسلامى وتعاون العاملين له؟

الجواب:

لو فهم المسلمون أنهم أمة واحدة كما وصفهم الله فى كتابه، وأن آلامهم وآمالهم مشتركة، وأن العدو إذا نجح فى إفساد بعضهم ماديا أو أخلاقيا أو دينيا، فإن ذلك تهديد للجميع، ولو فهموا أيضا ما فرضه الله عليهم من التساند والتواد والتراحم، وأن المسلم أخ للمسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى

والسهر، وأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، وأن الإسلام فرض التكافل المادى والمعنوى بين أهله - أقول لو فهموا هذا لتعاونوا فيما بينهم على اعلاء كلمة الله، وخفض كلمة الإلحاد.

ولله الحمد بلادهم أغنى البلاد، وعقولهم أصفى العقول، وقد جعلهم الله الأمة الوسط ليكونوا شهداء على الناس، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس - لا ينقصهم إلا أن يتنبهوا لمركزهم تحت الشمس، وإلى دورهم فى هذا العالم المتصارع المتفجر. والأزمة الآن فى العالم ليست فى المال ولا فى العلم، فقد حلقوا فى أجواز الفضاء، وغزوا الكواكب، وغاصوا فى أعماق المحيطات، واستغلوا الطاقة والمادة لآخر مدى، وإنما الأزمة فى الخلق والتدين.

ونحن هنا الذين نملك لى زمام الدنيا إلى الله، ولفت نظرهم إلى الروحانيات وتخفيف آثار التكالب على المادة. هذا التكالب المدمر الذى خلا من صمام الأمن وهو الدين. ولو أن أصحاب الدعوات فى العالم الإسلامى ترابطوا وشد بعضهم أزر بعض، وعقدوا المؤتمرات دائما لتقدير ما يرونه أصلح السبل للنهوض بدعوة الإسلام ومواجهة التحديات، حتى ولو كان ذلك فى كل عام أيام منى أربعة أيام كاملة فى رحاب الحرم والشهر الحرام - لو فعلوا ذلك لجاءت الثمرة مسرعة يانعة بإذن الله. أما هذا التفكك، وكل يعمل لحساب لنفسه، وكل حزب بما لديهم فرحون، فإن ذلك ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة، فالتجمع له دويه وصداه والفرقة لها شتاتها وضعفها والله المستعان.

السؤال الخامس:

هل يجوز لإنسان مهما كان قدره أو منزلته الدينية أن يكفر إنسانا يشهد بأن «لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» مهما اقترف من أخطاء. كما يحدث فى بعض الجماعات التى تدعى أنها إسلامية؟

الجواب:

من القواعد الإسلامية الفقهية المقررة: «إن من كفر مسلما كفر» و «أن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهم». وأن المسلم لو قال قولا أو فعل فعلا يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها، ويحتمل الإسلام من وجه واحد، فعلينا أن نحمل قوله أو فعله على الإسلام ابقاء للأصل

وإبعادا عن الاتهام، لأن ما ثبت بيقين وهو الإسلام، لا يرفع إلا بيقين مثله، أى أن يكون فعله أو قوله لا يحتمل الإسلام من أية زاوية، بل هو كفر صريح بواح لنا فيه من الله برهان. وكلنا يعلم أن أسامة بن زيد الذى يطلق عليه الحب بن الحب، أى الحبيب بن الحبيب، لما قتل أحدا ممن كانوا كافرين بعد أن نطق بكلمة التوحيد، وألقى عليهم السلام. وساق غنمه، غضب عليه النبى غضبا شديدا، حتى خاف منه أسامة أن يكون عمله قد حبط، وقال له النبى - صلى الله عليه وسلم -: لم قتلته بعد أن قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» قال: يا رسول الله ما قالها إلا خوفا من شعاع السيف فقال له صلى الله عليه وسلم: أشققت عن صدره حتى علمت ما فيه؟ كيف بك إذا جاءتك لا إله إلا الله يوم القيامة تحاجك عن صاحبها؟ ونزل قوله تعالى تأييداً لنبيه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ (النساء ٩٤).

وتقييمى لأفكار هؤلاء الذين يستبيحون تكفير غيرهم واستحلال دمهم ومالهم ونسائهم - مع أن نصوص الإسلام مستفيضة فى تحريم ذلك بغير حق - تقييمى أنهم أجسام غريبة دخلت جسم الإسلام الصحيح تحاول أن تحدث به دمارا أو علة يرفضها الجسم الإسلامى الذى يتولى الله بنفسه صيانته ووقايته. ومن العجب أننى ألقى من الكثيرين منهم فى القاهرة والأقاليم تحديا لبديهيات الإسلام، وأحاججهم بالكتاب والسنة والإجماع فأجد منهم سخرية، ولا يرضيهم إلا ما فهمته عقولهم السقيمة.

﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (التوبة ٣٢).

وأدعو الله أن نكون ممن قال فيهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -:

«ولا تزال طائفة من أمتى قائمة بالحق ظاهرة به لا يضرهم من خذلهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال. وحتى يأتى أمر الله وهم على ذلك»(*).

السؤال السادس:

هل يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية؟ أم لا بد للشعب من مرحلة تسبق إعداده لذلك؟

(*) تخريج السيوطى عن عمران بن حصين، حديث رقم (٧٢٩٤) فى صحيح الجامع.

الجواب:

حكاية أنه لا بد من مرحلة تسبق إعداده لذلك كلام يقال دائما حتى يأخذ كل حاكم وقته فى الحكم ولا يلزم نفسه بمواجهة أى تيارات خوفا على مصالحه، حتى تنتهى مدته فى سلام ويمشى ويأتى من بعده يقول هذا الكلام.

لماذا نقول تهيئة المناخ للشريعة الإسلامية ولا نقولها قبل الثورات والحروب؟

لو كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقف فى مكة يقول: سوف نأتى لكم بدعوة جديدة فيها كذا وكذا فهيئوا أنفسكم. لكانوا قتلوه فى الحال. ولو كانت ثورة يوليو قالت: سوف نقوم بثورة نطيح فيها بالملك ويجب تهيئة المناخ لذلك، لما قامت ثورة ولظلت الأسرة المالكة تحكم حتى يومنا هذا.

إن تطبيق الشريعة الإسلامية ليس غولا ينتظر الناس، ولكنه فيه صلاح لأحوال البلاد والقضاء على الفوضى والانحرافات، وهؤلاء أول المعارضين لتطبيق الشريعة مثل صناديد الكفر فى مكة خوفا على ضياع مصالحهم وامتيازاتهم.

أيها الناس: أخلصوا النية، وأحسنوا الطوية، وانهضوا لرب العالمين ينصركم ويثبت أقدامكم، ويصلح أحوالكم، فيخرجكم من غيابات التخلف وعدم الشعوربالمسئولية إلى مصاف التقدم والحضارة الإنسانية الحقيقية.

السؤال السابع:

هل الأحكام الشرعية فى ظروف معينة يمكن أن تتغير أو تتبدل وما هى هذه الظروف؟

الجواب:

الأحكام الشرعية لا يمكن بأى حال أن تخضع لما يسمى بالتغير أو التطور أو التبدل. ما يخضع لذلك هو الأحكام الوضعية لأن واضعيها بشر يخطئون ويصيبون، وينسون ويذكرون. أحيانا يقلدون الغير ويثبت لهم بالتجربة أن ما فصل فى الخارج كان غير موفق، فيرجعون يهدمون ما استوردوه أو ترقيعه كما قيل:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

أما دين الله (الإسلام) فواضعه إله عليم قدير، لو شككنا لحظة فى أنه أحاط بكل شىء علما، وأنه أعلم بنا من أنفسنا، وأعلم بحاضرنا ومستقبلنا. إذا شككنا فى هذا نكون كفارا ولسنا مسلمين.

فلا يمكن أبدا بأى حال أن نأتى على حكم من أحكامه ودينه المقرر الثابت - أصولا أو فروعا - ونحاول أن نطورها على حسب مزاج الناس أو نغيرها. فماذ نطور؟ للإجابة على ذلك نعرف: ما هو الدين أساسا؟

الدين عبارة عن: عقيدة - عبادة - معاملة - أخلاق (سير وسلوك).

العقيدة: لايمكن تغييرها «لا إله إلا الله» فتلك هى قرارات ربنا لكل الأنبياء.. والإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار كلها أمور لا يمكن أن يكون فيها تبدل ولا فى أى ظرف.

العبادة: الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج.

ماذا نبدل فيها ليتناسب مع الزمان؟

الصلاة: قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «صلوا كما رأيتمونى أصلى»(*).

الزكاة: لا يمكن تغيير نصابها ولا أنواعها ولا تغنى الضرائب مهما زادت عن دفعها لأن الضرائب تفرضها الحكومة من أجل المصالح المرسلة.

الصوم: كتب علينا كما كتب على الذين من قبلنا.

الحج: لمن استطاع إليه سبيلا. ولا يمكن تغييره أبدا «خذوا عنى مناسككم»(**).

المعاملة: الربا محرم فى كل وقت وحين. ولا يمكن تطويره بل يجب تحريمه فورا لأن كل الحروب والمذابح التى تدمر ملايين الناس كل يوم بسبب الربا. لأنها حرب من الله ورسوله. وكذلك الغش والاختلاس والغلول والسرقة و.... كلها أمور محرمة مهما طال الزمن.

الأخلاق: إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فالزنا مثلا: هل يأتى وقت ويكون حلالا للضرورة. إن انتشاره يعنى هدم الأسرة ويهدم

(*) عن مالك بن الحويرث. حديث رقم ٨٩٣ فى صحيح الجامع.

(**) عن جابر. حديث رقم ٧٨٨٣ فى صحيح الجامع.

معها الرباط الوطنى. فكيف ينتمى شاب لوطنه وقد نشأ لا يعرف له صدرا حنونا يعطف عليه ولا يعرف له أبا ولا أما ولا إخوة.

ولم ينه الله عن الزنا فقط ولكن حرم القرب منه «ولا تقربوا» كما فرض الاحتشام فى الزى على النساء وغض البصر للطرفين إذن ليس هناك تطور فى دين الله، وعلى الناس أن تتجه إلى التطور فى دنياها ووقتها سيكونون جديرين بالانتماء إلى الإسلام.

السؤال الثامن:

كل ما هو متعلق بالدعوة إلى الله: هل يجوز الاتجار فيه مثل شرائط القرآن والدعوة... إلى آخره. وهل يمكن أن يكون المصدر الوحيد للرزق؟

الجواب:

الدعاة إلى ربهم ينبغى أن تكون دعوتهم لوجه الله عزّ وجلّ لا يبتغون من أحد جزاء ولا شكوراً فذلك أكمل الإيمان. ولقد كان مما يساعد على ذلك فى سنى الدعوة الأولى وسنوات الإسلام الزاهرة أن الدعاة كان كل منهم له حرفة يتكسب منها تغنيه عن عطايا الناس، بل عطايا الحاكم فى عهدهم. وكانوا مع ذلك يقدمون للإسلام الخدمات ويؤلفون الكتب ويردون الشبهات عن الإسلام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤدون الدروس العلمية فى بيوت الله ويقيمون الندوات.. فلما طال العهد ودخلت بلاد الإسلام أنواع الاستعمار والجهالات، وأرادوا صرف الناس عن هذا الدين، أرادوا أن يجعلوا الدعاة تحت أيدى الغاصب المستعمر أو عميله الحاكم الجاهل الضال. وهذا لا يكون فى نظرهم إلا إذا كان رزق العالم فى يد هذا الغاصب.. وأن يتفرغوا للعلم من بداية حياتهم إلى أن يتسلموا وظائفهم ذات الراتب، حتى يضمن الحاكم أن يكون ولاء هؤلاء الدعاة له هو.

وكان هناك بالأزهر مثلا أوقاف أوقفها الصالحون على رجال الأزهر، فكان لهم من تلك الأوقاف ما يغنيهم عن المرتبات فكانوا لعزتهم يجهرون بالحق لا يخشون إلا الله. فلما وقع قضاء الله هكذا واستولت الحكومة على الأوقاف وجعلت مرتبات العلماء بيدها، قال الناس إنها ضرورة لابد من الرضوخ لها والرضا بها وإن كان هناك لعنة فعلى من غصب واستولى.
موضوع السؤال عن الاتجار فيما يتعلق بالدعوة:

فإن الدعوة نفسها أعز من أن يتاجر فيها، ولكن وسائل الدعوة نفسها أصبحت تحتاج إلى أموال: فالعالم محتاج إلى مراجع وإلى سفر إلى بلاد كثيرة، فإذا تكفل الصالحون بهذا فهو خير. وإذا تعذر ذلك فعلى أولى الأمر تعويض العلماء عن وظيفتهم هذه خيرا. ولا نجاة لنا إلا بكفاية الأمة الإسلامية لهؤلاء العلماء. وقد خصص النبى - صلى الله عليه وسلم - بعض القراء لتحفيظ الناس القرآن وهم يكفونهم معيشتهم.

أما بيع الشرائط والكتب للناس فهى أصلا يدفع فيها ثمن ويجب أن يكون الربح معقولا ابتغاء وجه الله ورسوله.

السؤال التاسع:

لا توجد محاذير - من الناحية الاجتماعية - على نوعية العمل الذى تمارسه المرأة. فما هو موقف الدين من نوعية العمل؟ ولماذا تمنع التشريعات الراهنة اشتغال المرأة بالفتوى والقضاء هل نجد لذلك تعليلا من الوجهة الدينية؟

الجواب:

لا بد أولا من تقرير سنة الله فى اختلاف المخلوقات والأنواع والأجناس اختلافا جوهريا. ولكل جنس ونوع خصائص لا تصلح إلا له، ولا تؤدى على الوجه الأكمل إلا منه. وأعلى أنواع مخلوقاته فى الأرض الآدميون.

واقتضت حكمة الخالق أن ينوع الآدمين إلى «ذكر وأنثى» وجعل لكل خصائصه حسب تكوينه الخاص، ويشترك الذكر والأنثى فى خصائص التكوين العام. والتغافل عن هذه الحقيقة الإلهية الكونية جهالة وضلالة تنتج أوخم العواقب لأنه تمرد على سنة الله فى كونه:

واختيار الله للأنثى مجالات العمل والحركة وتحديدها ليس انتقاصا من قدرها ولا مهانة لشأنها ولكنه التدبير المحكم. فهل المرأة خرجت على هذا القانون الإلهى فتحولت رجلا وثارت على اختصاصها الأول كزوجة وأم وربة بيت ومربية فاضلة للطفولة الناشئة التى هى أمل المستقبل؟

إن ما نعانيه الآن هو بسبب اختلاط الاختصاصات حيث أهمل النشء وحرم من حسن

التوجيه مهما وضعنا له من دور حضانة ونشأ فى المجتمع الشواذ بكثرة وكثرت الجرائم وتعددت اللجان للإصلاح غير الجذرى. ونحن يهمنا المرأة المسلمة: فنرجو ألا تهمل رسالتها الأولى مهما ادعى المدعون أنها تستطيع الجمع بين عملها الرسمى وواجب منزلها كزوجة وأم وربة بيت.. كانت النساء أيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخرجن فى الغزوات يمرضن الجرحى ويحملن القتلى ويسقين الماء فى أكمل حشمة وأتم زى. وكن يصلين خلف الصبيان الذين هم خلف الرجال ويسمعن المواعظ فى أكمل حشمة وأتم زى. أما العمل العام: فيوم أن أخبر النبى بتولى أمر فارس من امرأة قال قولته الحكيمة المتفقة مع سنة الله: **«لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»**. (عن أبى بكرة. حديث رقم ٥٢٢٥ فى صحيح الجامع).

وقد منع الإسلام المرأة من الأذان مع أنه ذكر لله وطاعة وشعيرة للصلاة، ومنعها من الجهاد، ولم يفرض عليها الجمعة - لا ظلما لها - ولكن لأن تكوينها لا يتناسب مع كل هذا.. أما منع التشريعات الراهنة للمرأة فى الفتوى والقضاء فلما فيهما من طبيعة الاختلاط المريب ووجوب أن يكون المفتى والقاضى على دراية كاملة بظروف الناس فى التقاضى والاستفتاء بعيدين عن العاطفة والتأثر الشديد والتسرع المزرى. والمرأة قد خلقت لأمور تستلزم العاطفة الجياشة والانفعال لمطالب العيال وحمل همومهم.

هذا ونختم حديثنا بقولنا: إذا وجد للمرأة العمل الأنثوى المناسب لطبيعتها بعيدا عن الخلوة والاختلاط، وذهبت إليه بكل تحشم، ولم يلهها ذلك عن حق الله فى الصلاة وحق البيت فى الرعاية، وحق الزوج والعيال، وحق الرجال فى العمل وبعدهم عن التعطل والبطالة فنعما هو. ولكن هذا أندر من الندرة.

ولا ننس تحذيره صلى الله على وسلم: **«فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء»**.

وتحذيره أيضا: **«باعدوا بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء»**.

«ينادى كل يوم مناد: ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال»(*).

اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.

(*) رواه ابن ماجه عن أبى سعيد. من كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذرى، جزء ٣ ص ٣٧، طبعة بيروت.

السؤال العاشر:

وقت الإنسان المسلم يجب أن يكون محسوبا وموزعا بين ربه ونفسه وأهله وعمله. فما حدود كل مقدار في ضوء قول الله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾.

الجواب:

السؤال مهم والجواب إن شاء الله سيكون مهما:

جاء في الحديث الصحيح الذي حكاه لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن صحف إبراهيم عليه السلام: «وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة لمعاشه وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب... (الحديث).

وهذا يدل على أن تنظيم الوقت واجب إسلامي، فالله عزّ وجلّ ما خلق الدنيا إلا من نظام وعلى أساس النظام، وجعل لكل شيء قدرا. وأشار إلى هذا الضبط والنظام بقوله تعالى: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ (الحجر ١٩).

وكلمة موزون في الآية معناها أن الله عزّ وجلّ خلق هذا الكون لا همجية ولا فوضى وإنما وضع كل شيء في مقدار محدد.

وأعظم شيء يملكه الإنسان في الدنيا بعد الإيمان بالله هو الوقت وهو ما نسميه بالعمر والحياة، فإن فرصتها إذا ولّت لن تعوض أبدا. وكم هناك من تنبيهات على ذلك من رب العزة كقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت﴾.

وجواب الله: كلا لن ترجع ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها﴾ فمادام كل شيء عند الله بمقدار، وما دامت الأعمار محسوبة على صاحبها بالسنة، بل بالشهر والأسبوع واليوم، بل بالدقيقة واللحظة والنفس كما قيل:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

إذا كان الأمر كذلك، فلا يصح للمسلم الذى علمه الله النظام وحسن التقدير والتدبير أن يعيش همجا أو عبثا:

﴿أحسبتم أنا خلقناكم عبثا﴾ (المؤمنون ١١٥).

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾. (القيامة ٣٦).

ففى بدايتنا لم نخلق عبثا، بل خلقنا مع هذا الملك كله بالحق، وفى نهايتنا لن يتركنا الله سدى، بل سنحاسب على كل نفس دخل فى رئتينا أو خرج: هل أدينا فيه طاعة أم معصية؟

والسؤال عن تنظيم أجزاء الحياة مهم جدا:

فهناك مثلا من يشغله عمله الدنيوى عن حقوق الله، وهناك من يشغله أمر الله بالعبادة عن واجب عمله، وهناك من ينشغل بعمله عن أهله وعياله، وهناك من يخرب الدنيا على حساب الآخرة أوالعكس.

والرسول - صلى الله عليه وسلم - علم مثل هؤلاء الظالمين المخربين، وقال لمن كان يعبد الله عبادة مستمرة وهجر زوجته وعمله:

«إنى أخشاكم لله، وأعرفكم بحدود الله، وأتقاكم لله. ولكنى مع هذا أصوم وأفطر وأقوم وأنام. وآكل الطعام وآتى النساء. فمن رغب عن سنتى فليس منى»(*).

وقال لآخر: **«إن لبدنك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولزورك عليك حقا (أى لضيوفك) فاعط كل ذى حق حقه».**

وفى الحديث: **«خيركم من ينشىء الدنيا ولا ينسى الآخرة».**

«خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه. خيركم من جمع بينهما».

فاعلموا جميعا يا من تبغون فلاح الدنيا والآخرة أن عنصر الزمن هو أغلى ما تملكون، وهو أول ما تسألون عنه أمام الله.. واعلموا أن طريقة استغلاله هى الفيصل فى تقدم الشعوب

(*) عن أنس. حديث رقم ١٣٣٦ فى صحيح الجامع.

أو تأخرها. فلا تضيعوا أعماركم عبثا، واستغلوها فى صلاح دنياكم وأخراكم. والله يهدينا جميعا سواء السبيل.

السؤال الحادى عشر:

ما الحكم فى الإنسان الذى لا يصلى إهمالا أو كسلا؟ وذلك إذا كان يعيش فى مجتمع تقام فيه الحدود أو يعيش فى مجتمع لا يحكم فيه بشرع الله؟ وما حكم الزواج بين هؤلاء الذين يتركون الصلاة كسلا؟

الجواب:

الذى أعلمه أن البحث فى هذا الأمر طويل. والحديث الذى صح وقال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «**العهد الذى بيننا وبين المشركين الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(*).

يبين أن الحكم على تارك الصلاة بالكفر أو بالشرك من النصوص المحكمة الباقية. والرسول - صلى الله عليه وسلم - يوم أن قال «فمن تركها فقد كفر» لم يفصل كما يفصل العلماء فى حكم من تركها كسلا أو جحودا ونكرانا.

ولهذا: بعد كثرة اطلاعى فى الكتب والأحاديث، ولدى العلماء النقاد المتحررين من التعصب المذهبى، خرجت بنتيجة وهى: أن جمهور الأئمة على أن تارك الصلاة يستتاب: على الحاكم أن يستتيبه ثلاثة أيام، وأن يحبسه هذه المدة ويوصيه بالصلاة فى كل وقت. فإن نزع وأقام الصلاة فبها نعمت وتمت النجاة والحمد الله. وإن أصر واستمر على ترك الصلاة بعد هذا الحبس وهذه الاستتابة ثلاثة أيام فعلى الحاكم أن يقتله.

ويختلف العلماء فى: هل قتل هذا التارك للصلاة سيكون قتلا حدا له أم قتل كفر؟

ويترتب على اختلاف الحالين طريقة معاملته بعد الموت:

فإن قتله كفرا: لا يوجب غسله ولا تكفينه ولا الصلاة عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين أى يعامل مثل المرتد.

وإن قتله حدا: كان باقيا على إسلامه إلا أنه من نوع الفساق العظام كبيرى الإجرام، لأن الصلاة عماد الدين. ولكن يبقى له أن يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين.

(*) حديث رقم ٤١٤٣ فى صحيح الجامع. عن بريدة.

- وحسب ما اطلعت فى الكتب المعتمدة مثل نيل الأوطار للشوكانى والدين الخالص وغيرها: إنه يقتل حدا لا كفرا. أى أنه يورث ويغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين، وإذا سميناه عادة كافرا فهذا قد أطلقه الشرع عليه. ونحن لا نمانع فيما أطلقه الشرع عليه وقد قالوا: لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر من النوع الذى لا يخلد فى النار ويخرج صاحبه من الديانة الإسلامية.

- وضرب بعض العلماء مثلا لذلك: ما روى عن الإمام الشافعى الذى كان يرى أن تارك الصلاة فاسق وأن قتله حداً لا كفرا. والإمام أحمد بن حنبل الذى يرى قتله كفرا لا حدا.. ويقال إن محاورة دارت بين الإمامين:

فسأل الشافعى الإمام أحمد وقال: يا أحمد إذا حكمت بكفر تارك الصلاة وأردنا أن يدخل الإسلام فبم نأمره؟

قال الإمام أحمد: ينطق بالشهادتين.

فقال الشافعى: وهو عنده الشهادتان لأنه لم ينكرهما حتى نطلبهما منه وما زال معتقدا أن الله واحد وأن محمدا رسوله.

فقال أحمد: صدقت - إن يصلى الصلاة التى سميناه بتركها كافرا.

فقال الشافعى: يا أحمد إن صلاة الكافر لا تقبل حتى ينطق بالشهادتين ويعلن إسلامه وهذا أمر متفق عليه.

قال الرواة: فسكت أحمد ولم يرد.

ويؤخذ من هذه المحاورة بين الإمامين أن ما رجحه العلماء حق، وهو أن تارك الصلاة - طالما لا يزال الإسلام فى قلبه عقيدة - فيحاسبه الله على تركها. أما إذا كان جاحدا لها فهو كافر بإجماع المسلمين، وهذا يقتل كفرا لا حدا.

- هذا الحكم الشرعى ليست له علاقة بالمجتمع الذى هو فيه لأن الصلاة مسئولية فردية وليست جماعية. ممكن صلاة الجمعة مسئوليتها جماعية حيث يختلف العلماء فى ضرورة حد أدنى لأداء صلاة الجمعة. الشافعية قالوا ٤٠، المالكية قالوا ١٢، أبو حنيفة قال يمكن ٢ أو ٣.

أما الصلاة العادية اليومية فلا يصح أن ننظر إليها باعتبار المجتمع: هل تقام فيه حدود أم لا؟ يعنى لو فرضنا مسلما فى روسيا أو انجلترا أو ألمانيا فهو مكلف بشرع الله كله من صيام وصلاة وزكاة وحج إن استطاع إليه سبيلا. وصلاة الجمعة أيضا إن استطاع أن يجمع عددا مثل عدد الأحناف المخفف (٣ أو ٢).

غاية الأمر فى موضوع المجتمع: يمكن أن نقول إن المجتمع الذى يطبق الشريعة يساعد فيه المناخ والبيئة على استقامة الأفراد ومراعاتهم لأحكام الله وأركان الإسلام.

- أما بالنسبة لحكم الزواج بين هؤلاء الذين يتركون الصلاة كسلا:

فما دمنا نحينا عنه لقب الكفر فهو مسلم وإن كان فاسقا. والزواج إذا تمت أركانه وشروطه من صداق وإيجاب وقبول وإعلان - يكون صحيحا. ويبقى على الحاكم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

***

هذه كانت بعض فتاوى الشيخ مشتهرى، وقد تحيرنا كثيرا فى أيها ننتقى ونتخير، فكل فتوى تحمل بريقا خاصا يبهر ذوى البصائر لأنها تصدر ومعها أشعة الإيمان من قلب عامر بحب الله ورسوله، وقد دفعه هذا الحب إلى الاغتراف من بحار العلوم ما وسعه الجهد ثم سعيه سعيا حثيثا إلى تسخير هذا العلم لمصلحة الدين والمسلمين محاولا دائما أن يرتقى بالسائلين إلى مدارج رب العالمين.

لقد تنوعت إجاباته مع تنوع الأسئلة، وشملت كل ما يهم الأمة الإسلامية ويحقق لها النفع العام ويخرج بها من إطار الجهل بأمور دينها وتخلف اقتصادها إلى نور الإيمان والعلم القائم على عقيدة واعية بدور الإنسان المسلم فى الحياة فهو يتلقى تعاليمه من السماء ليصلح بها الأرض ويملأها برا وعدلا وخيرا ورفاهية.. هذا هو الهدف الأسمى الذى كان يسعى إليه الشيخ مشتهرى دائما خلال رحلة جهاده فى الدعوة إلى الله: فى تفسير القرآن - فى السيرة النبوية - فى خطب الجمعة - فى المحاضرات والدروس - فى الفتاوى - فى الإصلاح بين الناس - فى مشروعات البر والتكافل الاجتماعى - فى الأحاديث الصحفية والإذاعية.. فاللهم ارحمه رحمة واسعة تغنيه بها عن رحمة من سواك، وتقبله بقبول حسن يتفق مع سعة كرمك وعظمة عفوك.

مع آخر درس للشيخ مشتهرى قبل وفاته

فى ختام هذا الفصل (من حصاد أعمال الشيخ مشتهرى) لا يفوتنا أن نعرض آخر درس حضره الشيخ وآخر غرسة غرسها فى ميدان العلم. فالشيخ ظل يجاهد فى ميدان الحق منذ سن الحادية عشرة حتى جاءته غيبوبة الموت فجر الخميس ١٩٩٥/٨/٢٤ وبعدها انتقلت روحه إلى الرفيق الأعلى عصر الاثنين ٢٨/ ١٩٩٥/٨ مع أنه كان فى نيته أن يسافر إلى المحلة يوم الجمعة ٨/٢٥ ومنها إلى (نبروه) تبع المنصورة ثم يرجع إلى القاهرة ليحضر الاجتماع الشهرى لمجلس علماء الجمعية الشرعية بصفته إمام أهل السنة.

وبهذا ضرب الشيخ أروع الأمثال فى الجهاد رغم معوقات المرض والشيخوخة وكان حبه للمنبر من أهم عوامل نجاحه والسر وراء هذا الحصاد الضخم الذى بذل فى سبيله كل الجهد وكل التضحيات لأنه كان يدفعه حب عميق لله ورسوله ويقين بكل كلمة قالها الله فى كتابه الكريم، وكل قول للرسول فى أحاديثه الشريفة.

ومن تلك الإشعاعات النورانية التى استقرت فى أعماق قلبه وكانت حافزا يشكل سلوكياته ووجدانه:

- ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾ (فصلت ٣٣).

- «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم» رواه ابن ماجه باسناد حسن عن أبى هريرة.

- «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه اله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها» (رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود).

وهذا الدرس ننقله من كوم حلين(*) حيث حضر الأستاذ الدكتور صبرى عبد الغفور أستاذ

(*) ١٩٩٥/٨/٢٢.

الفقة المقارن بجامعة الأزهر، وكان الاجتماع فى المؤسسة الإسلامية التى قامت بمجهود الشيخ وما يملكه من مال فى الحياة. وألقى الدكتور محاضرة عن موضوع هام فى الشريعة الإسلامية وهو «قضية التيسير»:

وبين أن التيسير فى الشريعة له قواعده وأصوله، فليس الأمر سهلا كما يظن البعض. فالتيسير يشترط فيه ألا يتعارض مع أصل من كتاب الله أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. ويكون فى المعاملات، أما العبادات فلا مجال فيها للاجتهاد لأنها أعمال تعبدية. والرخص يجب أن يستعملها أصحاب الأعذار فقط فمن صلى قاعدا وهو قادر على القيام فصلاته باطلة. ولو كان هناك إنسان يستحق القتل فليس من التيسير تخفيف القتل عنه لأنه مخالفة لنص من نصوص الله تعالى: ﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون﴾ (البقرة ١٧٩).

فالإسلام لا يعرف الفوضى ولا تيسير إلا بنص من كتاب الله أوسنة رسول الله أو القواعد الفقهية التى اجتمع عليها العلماء عملا بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن».

والمقصود بالمسلمين هنا: الذين يراقبون الله ويتقونه حق تقاته وأخذوا من العلوم بقسط وافر.

وتطرق د. صبرى من موضوع التيسير إلى أهمية الفتوى فى حياة الأمة الإسلامية حيث قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -:

«من أُفْتى بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه».

ولذلك كان عبد الله بن عباس وهو الملقب بحبر الأمة، عندما يأتى إليه السائل يقول: اذهبوا إلى من هو أعلم منى: اذهبوا إلى زيد بن ثابت وعندما يذهب السائل إلى زيد بن ثابت يقول: اذهبوا إلى من هو أعلم منى: اذهبوا إلى عبد الله بن عمر.. ويظل السائل يتنقل من عالم إلى عالم حتى يرجع ثانيا إلى عبد الله بن عباس.

أما هذه الأيام فهناك جرأة شديدة على الافتاء وفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان وأصبحنا نجد علماء يحاربون بعضهم بعضا بدل محاربة المنكر والبغى.

تعليق الشيخ على محاضرة الدكتور صبرى عبدالغفور:

رحب الشيخ بحضور الدكتور ودعا الله له أن ينفع بعلمه المسلمين ويرزقه العلم النافع والقلب الخاشع.. وقال إن الحديث شيق ويرسى قواعد الإسلام فى التيسير ورفع الحرج عن المسلمين. فنحن فى عصرنا الحاضر نجد ناسا يتشددون فى الفتوى أحيانا إلى حد الحرج والمشقة ونجد آخرين ييسرون إلى حد الفوضى والبعد عن السنة.

والإسلام هو دين الوسطية: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ (البقرة ١٤٣).

وقد ذكر الأخ الفاضل قصصا كريمة للصحابة فى أمر الفتوى والتيسير على المسلمين. وأنا أضيف هنا قصة تبين كيف أن التشدد يستوجب لعنة الله ولعنة رسوله والناس أجمعين: حيث أرسل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم سرية للاستطلاع (والسرية قد تضم ١٠ أو ٢٠ أو ٣٠) وأمّر عليهم أميرا شابا صغيرا ولكنه كان أفصحهم فى حفظ القرآن الكريم. ونظرا لمكانة القرآن العالية فقد أعطاه الإمارة.

واستيقظ هذا الأمير فى الفجر فوجد نفسه محتلما، فطلب منهم أن يصلوا بإمام غيره حتى يدفأ الجو بعض الشيء ويستطيع الاستحمام، فأصروا على أن يكون هو الإمام لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عينه أميرا عليهم ولا يمكن أن يغيروا حكم رسول الله. فلما رأى إصرارهم اضطر إلى نزول البئر للاستحمام، فمات من شدة البرودة لأن الماء كان ثلجا، وأخرجوه جثة هامدة، وهذا من التعسير على الناس.

وعندما علم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك حزن حزنا شديدا وقال:

«قتلوه قتلهم الله» أى لعنهم الله.

وهذه خطورة الفتوى من غير علم.

وهكذا فإن التيسير مهم ولكن يجب أن يكون له قواعده وأصوله المحكومة بالنصوص الشرعية وإلا تحول إلى فوضى فى الشريعة، (فلا اجتهاد مع النص) ولكن الاجتهاد فى تفسير النص.

كما تعرض الأخ الفاضل وهو يتحدث عن أدب الحوار بين العلماء رغم اختلاف آرائهم إلى

أنهم استمدوا ذلك الأدب من القرآن حيث أغفل القرآن تحديد اسم امرأة العزيز وهو يتكلم عن قصتها مع سيدنا يوسف، وأنا أقول إن القرآن زاخر بالعجائب والكنوز والآداب العالية والرفيعة وعلى المسلمين التفتيش فى القرآن ما وسعهم الجهد. أسأل الله أن ينفعنا بعلمه ويوفقنا إلى ما فيه صلاحنا وخيرنا.

هذه كانت آخر محاضرة من محاضرات الشيخ تمثلت فى صورة ندوة علمية يعرض فيها العلماء آراءهم واجتهاداتهم حتى يعم النفع بين المسلمين.

فاللهم ارحم مشايخنا وعلماءنا ونفعنا بعلمهم واجعلنا ممن قال عنهم رسولك: «نعم العطية كلمة حق تسمعها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم فتعلمها إياه» (رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس).

افتراء آخر من الصحافة على الشيخ مشتهرى بعد موته

لقد أشاعت الصحافة(*) أخبارا كاذبة عن الشيخ فى حياته - بأنه اعتقل لوجود اسمه مع جماعة متطرفين فى مجلس الحكم عند نجاح مخططهم فى قلب نظام الحكم وأنه جارى التحقيق معه مما أثار فزع المحبين على شيخهم ومعلمهم أسمى العلوم وأجلها - وقد وقف الشيخ مدافعا عن نفسه بالحجة والبرهان، آسفا على تورط صحيفة تابعة للحزب الحاكم فى هذا المنزلق الخطير بدون تثبت من الحقيقة مما يشيع البلبلة بين المسلمين ويشيع فقدان الثقة فى أنباء الصحف.

وبعد رحيل الشيخ إلى الرفيق الأعلى ودار الحق، إذا بنا فى دار الغرور والزيف نفاجأ بصحيفة آخر ساعة(**) تنشر حديثا للشيخ يحمل عناوين مثيرة تمثل بهتانا وافتراء على الشيخ هو منها براء كل البراءة. فإذا ظنت الصحيفة أن الشيخ قد مات لن يستطيع الدفاع عن نفسه فإن الله حى لا يموت وقد قال وقوله الحق:

﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ (الحج ٣٨).

فإذا سأل سائل: وكيف يدافع الله عن الذين آمنوا وخاصة بعد مماتهم؟ نقول له: ﴿ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما﴾ (الفتح ٤).

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أرسى دعائم الحق متينة راسخة وستظل تلك الدعائم بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض وما عليها فالحق أحق أن يتبع.

وانطلاقا من هذا المبدأ فنحن نرد غيبة الشيخ والزور والبهتان الذى ادعته الصحيفة عليه عملا بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -:

(*) جريدة مايو، كما سبق أن أوضحنا وسجلنا رد الشيخ عليها.

(**) آخر ساعة، العدد ٣١٨٢، ١٨ أكتوبر ١٩٩٥م - ٢٣ من جمادى الأول ١٤١٦هـ، ص ٤٢ - ٤٣، حديث يكتبه تهامى منتصر - تصوير إبراهيم مسلم.

- «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها برىء يشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار حتى يأتى بنفاذ ما قال» ومعنى نفاذ ما قال أى حتى يحقق قوله الذى صدرمنه كذبا وزوا.

(الحديث رواه الطبرانى بإسناد جيد عن أبى الرداء).

- وعن أبى الدرداء عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. رواه الترمذى وقال حديث حسن.

ورواه ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ فى كتاب التوبيخ ولفظه: «من ذب عن عرض أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة وتلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾» وسنركز فى دفاعنا على العنوانين التاليين:

* **لا سياسة فى الدين**: وهوعنوان خطير لا يجب إطلاقا أن ينسب إلى شيخ عالم مثل الشيخ مشتهرى. وزيادة فى الافتراء كان العنوان بالخط الأحمر.

* **الإخوان طامعون فى الحكم (ويعتبروننا مجرد دراويش)**: وهذا عنوان يثير الفتن والأحقاد بين المسلمين ولا يتفق مع أدنى مبادىء الإسلام الرشيدة التى يفهمها المبتدىء فى تعلم الدين ولا يمكن أن يتفوه بهاعالم كبير تأدب بأدب المصطفى الأمين.

ولن نقف طويلا أمام عنوان المقالة أصلا وهو «فى ذكرى الأربعين» فالشيخ قضى عمره فى محاربة البدع التى تفشت بين المسلمين ومنها: الخميس - الأربعين - السنوية. بل ما أنشأت الجمعية الشرعية أصلا على يد الشيخ محمود خطاب إلا من أجل هذا الغرض وما اختير الشيخ مشتهرى إماما لأهل السنة إلا لجهاده الطويل على هذا الدرب لإحياء سنة الحبيب ومجاهدة البدع، وأكبر دليل على ذلك أن أسرته لم تعر هذه الذكرى أى التفات.

ولن يستلزم دفاعنا عن الشيخ جهدا كبيرا: فقد تعرضنا لآراء الشيخ تجاه القضايا العامة (السياسية منها والاقتصادية) وتعرضنا لإجاباته على أسئلة الصحفيين حول الفصل بين الدين والسياسة، وتعرضنا لعناوين كتاب «هذه دعوتنا» ومنها أن الإسلام دين ودولة، مصحف وسيف، عقيدة وشريعة......

وسندافع من واقع المقال نفسه فى آخر ساعة، فرد الشيخ هو أعظم دليل للرد على الزور والبهتان حيث قال الشيخ مجيبا على أسئلة الصحفى:

* أين تواجدكم السياسى من باب الاهتمام بأمر المسلمين؟

- يا بنى إن كنت تريد الحديث الشريف: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» فأنا أفهم هذا الحديث كما ترى عملا فى خدمة المجتمع المسلم بقدر استطاعتنا. نحن نحفظ الأطفال كتاب الله، ونرعى اليتامى ونكفيهم مزالق الضياع ومذلة السؤال. ومن عجب أننا لا نجد فقراء جددا، والتعداد متوقف منذ عامين عند ١٥٠ ألف يتيم فقط. هات لى فقراء نخدمهم ونكفلهم ولك الأجر والثواب. أيضا نحن نقوم على مساعدة البنات الفقيرات ونساعدهن فى الزواج والسترة ونتحمل كافة النفقات.

وكل بنت يتيمة مسجلة عندنا نحن مسئولون عن زواجها. هذا ما أفهمه من الحديث الشريف. أما عن السياسة: فأقول لك للسياسة رجالها ونحن لا نفهم فيها، والشيخ محمود خطاب إمامنا الأول أعد قسما على الواعظ المنتسب إلينا أن يحلف به: «أقسم بالله العظيم ثلاثا ألا أتعرض للسياسة قولا أو عملا. وأن أعمل بالكتاب والسنة ولا غير» .. كما نطبع منشورا دوريا يوقع عليه الأئمة، فإذا خالفه إمام فصل فورا ومنع من الحديث فى مساجدنا. فالسياسة شىء لا نعرفه ولا نتقنه فإذا ما خضنا فيه وقعنا فى شر أعمالنا لأنه من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

* إذن أنت من الذين يقولون لا سياسة فى الدين؟؟

- إذا أردت بكلمة السياسة لا أمر بالمعروف ولا نهى عن المنكر **يبقى غلط السياسة عندنا بمعنى الأمر والإرشاد وتحذير الناس من الشر وحضهم على الخير**. إن كان ده سياسة فنحن أول العاملين. **أما إن كان السياسة طمع فى الحكم ونط على الكراسى** فده كلام فارغ. نحن زهدنا فيه وتركناه لأصحاب الشأن الذين يفهمون فى علوم السياسة وألاعيبها.

* إذن أنتم لا تفكرون فى خوض انتخابات مجلس الشعب؟

ـ هذا أمر بعيد عنا كل البعد، واحنا كنا نأخذ على بعض الجمعيات والجماعات الطامعة فى الحكم مأخذ. ولقد حاول معنا أكثر من جماعة إسلامية من أجل أن نتحالف ونخوض انتخابات محلية أو مجلس الشعب. وأن نعمل على قلب نظام الحكم ورفضت ذلك تماما ورفضت مجرد الكلام فيه.

* هل هم الإخوان؟

ـ **لا.. ليسوا الإخوان**. فالإخوان ينظرون إلينا من فوق باعتبارهم حاجة سوبر. أما نحن دراويش ويتوع لحية وعذبة والسلام! الإخوان لهم سياسة عليا ليس لنا بها حاجة ولا تعليق. أسأل الله أن يعافينا من **بلاء السياسة ومن بلاء الطامعين فى السياسة**.

هذا هو نص الحوار فيما يتعلق بالعناوين المثيرة التى أردنا بعدها أن ندفع هنا عن الشيخ ما ألصق به من اتهامات باطلة. فهل يفهم من هذا الحوار ما فهمه الصحفى بحيث صدّر بها المقال؟ نترك الحكم للقارىء الواعى المؤمن بالله حق الإيمان. ونردد قول الحق جل شأنه: ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ (الأعراف ٨٧).

عوامل نجاح الشيخ مشتهرى

بدون مجاملة أو جنوح فى الهوى، فإن الشيخ مشتهرى - رحمه الله - قد حقق النجاح الذى ينشده أى داعية فى مجال الدعوة. ويتمثل هذا النجاح فى مظاهر متعددة منها:

* أنه وصل إلى قمة الوعظ فى الأزهر الشريف. ذلك الحصن الحصين الذى اختاره الله لتخريج الوعاظ المتميزين ليجوبوا أنحاء العالم مدافعين عن الدين هداة مهتدين.

* أنه صار إماماً لأهل السنة فى الجمعية الشرعية نتيجة علمه الغزير وإيمانه القويم وإخلاصه لرب العالمين وحبه لرسوله المصطفى الأمين - صلى الله عليه وسلم - وقد ظل فى تلك الإمامة لمدة تقترب من العشرين عاماً حتى وافته المنية إلى رب البرية (من عام ١٩٧٦: ١٩٩٥م).

* حصل على وسام الدولة من الدرجة الأولى من الرئيس حسنى مبارك، وذلك فى يوم الدعاة فى ليلة الإسراء والمعراج (السابع والعشرين من رجب) الموافق لعام ١٩٨٩م، تقديراً لجهوده المتواصلة فى ميدان الدعوة وعطائه الفياض الذى أثرى به ميدان الفكر الإسلامى.

* سُجل اسمه في الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة، فصار علماً من أعلام الدولة العظام الذين يشار لهم بالبنان وسطروا تاريخهم فى وجدان الشعوب والأمم بحروف من نور.

* وإن النجاح الحقيقى الذى اعتز به الشيخ أعظم اعتزاز واعتبره وسام شرف من ملك الملوك ورب القلوب هو ذلك الحب الذى أحبه المؤمنون المخلصون له وأحاطت به قلوبهم كما يحيط السوار بالمعصم، وأقبلوا على دروسه ومحاضراته إقبال الظمآن على منبع عذب ريّان.

ويمكن تلخيص عوامل نجاح الشيخ مشتهرى فى النقاط التالية:

* إيمانه العميق بالله الذى تحول إلى حب راسخ لله ورسوله، وهذا الحب تُرجم إلى عمل متواصل وجهد دائب، ساعده على ذلك ذكاؤه الفطرى وملازمته للأئمة منذ صباه واتصاله بالجمعية الشرعية، وكثرة اطلاعه، وعكوفه على قراءة كتب الأئمة ومصاحبتهم فى حلهم

وترحالهم وسفرهم وحضرهم، وذلك لمحاربة البدع وتحقيق التطبيق العملى للسنة، حتى ينزاح الغبار عن وجه الشريعة المشرق فتتألق أنوارها تبدد الظلمات وتنير الطريق أمام السالكين.

* مايتصف به من تواضع جم، وخلق سمح، ولسان رطب، ولقاء باش وحافظة قوية وطلاقة فى اللسان وقوة فى الحجة وسلاسة فى التعبير، كل هذا وأكثر من هذا، جعل كلماته تؤثر فى المستمعين وتستجيب لها القلوب الواعية. وأتاح له عمله فى الجمعية الشرعية مجالاً رحباً لنشر أنوار العلم فى أنحاء جمهورية مصر كلها: مدنها وقراها، صعيدها وسواحلها، ريفها وحضرها، بعزيمة لاتكل وإرادة لاتلين لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً أن العالم لابد أن يعمل ولابد أن يبلغ الرسالة، فالعلماء ورثة الأنبياء والساكت عن الحق شيطان أخرس.

* شخصية الشيخ المنظمة والمنضبطة إلى أبعد الحدود: فهو يؤمن إيماناً لاحدود له بأهمية الوقت فى حياة الإنسان المسلم وأنه من أول مايحاسب عليه بعد موته (عمره فيما أفناه)، فكان يسجل كل دروسه بالتاريخ الهجرى والميلادى وينبه على الحاضرين بمواعيد دروسه، ويحرص على حضور كل محاضراته فى وقتها وإذا تأخر- وخاصة خارج القاهرة- بسبب المطر وبطء سير العربات اعتذر للحاضرين وبين لهم السبب فى تأخره حتى يعلمهم الإيجابية فى الحياة، ويكون لهم قدوة حسنة فى الحرص على المواعيد.

* اتسمت شخصية الشيخ بالحزم: وهذا أمر مطلوب فى الداعية حتى يضع الأمور فى نصابها، وخاصة إذا اتسم الحزم بالوعى الصادق، فكان كالفارس فى الميدان يصول ويجول ويهاجم قوى الباطل بكل اقتدار، ويكشف الأكاذيب والأباطيل بمهارة وحجج دامغة يزهق معها الباطل، وينتصر الحق انتصاراً مشرفاً يليق بعظمة الرسالة الإسلامية وسمو مبادئها وثراء شريعتها.

* وهب الله له قدرة على تحمل أحداث الحياة بكل الصبر والإيمان، سواء كانت أحداث عمل أو أحداث أسرية: فقد ابنته الشابة وهى فى ثوب عرسها، إذ لم يمض على زفافها أكثر من شهر وعشرة أيام، ووصل إليه الخبر وهو يتناول طعام الإفطار فى شهر رمضان، فوضع اللقمة فى هدوء ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم لانسألك رد

القضاء ولكن نسألك اللطف فيه. ولم تمنعه تلك الفاجعة الشديدة الألم أن يوفى بعهده مع ربه ويتم الورد القرآنى كما اعتاد ثم يذهب إلى بيت ابنته يلقى عليها نظرة الوداع ويتقبل فيها العزاء. وفى ضحى اليوم التالى (وكان يوم جمعة) شيعت الجنازة فى موكب مهيب يعلوه الرضا بقضاء الله، والشيخ يضرب بصبره مثلاً بالثبات عند الشدائد ليكون عبرة لأولى الأبصار.. كما كان صابراً أيضاً عندما فقد شريكة حياته وعماد بيته ونور سمعه وقلبه وبصره لمدة أربعين عاماً. فتحمل مصابه الأليم بقلب المؤمن الراضى بقضاء الله وقدره. فالصابرون قادة وهم الأئمة الصالحون ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ (السجدة ١٢٤).

الخاتمة

سبحان من له الدوام. فكل من له بداية له نهاية. ودائما ما نأتى إلى تلك الكلمة التى تحمل معها النهاية، وتحمل فى طياتها الشجن الذى يصاحب الفراق. فقد عشنا أروع اللحظات فى رحاب العلم والإيمان والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله عالية خفاقة. وشعرنا بتقصيرنا وضعفنا أمام هذا العالم المجاهد الذى أفنى عمره فى حقل الدعوة الإسلامية وهو يشعر بلذة العطاء وتواضع العلماء فى كل خطوة يخطوها وفى كل كلمة يقولها وفى كل غصة ألم يتجرعها مرضاة لله. وكان يحمد الله دائماً على ماوهبه من نعم تفوق ما بذله من جهد، ويدعوه أن يجبر تقصيره فى جنب الله.

ونحن نعترف أن جهدنا فى هذا الكتاب اقتصر على التجميع والتمحيص والتبويب لأعمال الشيخ التى تميزت بالعمق والاتساع والدقة والتنظيم وكأنه خط كل كلمة مسبقا بجهد منظم وبصيرة نافذة. وندعو الله أن يكون كتابنا هذا حافزا لأولى العزم من المخلصين على الخوض فى أعمال الشيخ التى تعتبر بحق مادة خصبة للدارسين وطالبى العلم والساعين لإعداد الرسائل العلمية مثل (الماچستير والدكتوراه)، ولم يترك لنا الشيخ مشتهرى حتى كتابة الخاتمة، فقد وجدنا بين أوراقه رسالة من بعض المحبين جديرة بالتسجيل، لأنها تبلور بعض سمات الشيخ وأسباب تعلق الناس به، كما تبين إلى أى مدى نجح الشيخ فى تهذيب النفوس والارتقاء بها إلى مدارج عالية من الإيمان وهذا ما كان يسعى إليه دائما ويعتبره هدفه الأسمى وجهاده الحقيقى فى الحياة الدنيا الذى كلفه الله به.

يقول المحبون فى الرسالة:

أستاذنا الفاضل الكريم سيدنا عبد اللطيف مشتهرى:

لقد كان للحديث مع سيادتك الأثر الطيب العميق فى نفوسنا، خاصة أن وجدنا لديك الاستعداد لأن تسمع، واعتبرنا أن الله أنعم علينا بنعمة سألنا الله أن تدوم فى هذه الحياة الموحشة.

إنا نسمعك منذ سنوات، وعندما زرناك رأينا سماحة الإسلام ونور الإيمان والقلب المحب

للناس جميعا. لقد أنسنا لمعرفتنا بسيادتك بطريقة نفتقدها فى الناس وبصورة لم نستشعرها من قبل. وكيف لا وهو الأنس فى الله، عرفنا فيك القرب من الله عزّ وجلّ مع التسليم المطلق له سبحانه وتعالى. وجدنا الأمان والاطمئنان والقوة بالله وراحة النفس والقلب والعقل.

لقد أضأت طريقنا ورفعت إيماننا بروحك العالية ونفسك الكريمة. وكنت جوادا بعلمك، وأفدتنا للغاية فى تلك الفترة الوجيزة جدا، وعلمتنا ما لم نتعلمه فى العمر كله.. لقد فكرنا أن قرابة الأرحام والأنساب فى تلك الحياة إلى نهاية وأن القرابة فى الله هى القرابة الحقيقية وهى التى ستدوم أبدا، وأن المتحابين فى الله سيجمعهم الله عزّ وجلّ فى الآخرة فى مكانة عالية فاستراحت قلوبنا.

* اللهم ارحم سيدنا عبد اللطيف مشتهرى رحمة ينال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة، واحرسه فى نفسه ودينه وأهله وماله وأولاده بكلاءة إغاثة ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾.

* وأذقه يا سبوح يا قدوس لذة مناجاة ﴿أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾.

* وأظهر عليه يا ظاهر يا باطن آثار أسرار أنوار ﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾.

* وأدم عليه يا باسط مسرة ﴿رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى﴾. وبشائر ﴿يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾.

* وأيده بتأييد نبيك - صلى الله عليه وسلم - ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيرا﴾.

* وألزمه كلمة التقوى كما ألزمت حبيبك محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث قلت: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا هو﴾.

* اللهم جمّل أمر سيدنا عبد اللطيف مشتهرى ما أحييته، وعافه ما أبقيته، واحفظ عليه ما أوليته، وارحمه إذا توفيته، وآنس وحشته إذا أرمسته، وتفضل عليه إذا حاسبته، ولا تسلبه الإيمان وقد عرّفته. واجعل له من الفهم عنك وعن رسولك ما يبلغ به منازل الصديقين ويحشره فى زمرة العلماء العاملين.

* اللهم اجعله من الذين جاوزوا دار الظالمين واستقوا من عين الحكمة وركبوا سفينة الفطنة. واجعله من الذين سرحت أرواحهم فى دار العلا، وحطت همم قلوبهم فى غاية التقى، حتى أناخوا برياض النعيم وجنوا من ثمار رياض التسنيم، وخاضوا لجة السرور وشربوا بكأس الرحيق المختوم، واستظلوا تحت ظل الكرامة الظليل.

* اللهم اجمع بين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبين عبد اللطيف مشتهرى كما جمعت بنى الروح والنفس ظاهرا وباطنا، يقظة ومناما، من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم

آمين آمين آمين.

هذه كانت مقتطفات من رسالة تتجاوز العشرين صفحة كتبها بعض المحبين فى الله للشيخ مشتهرى. ونترك الرسالة بدون أى تعليق لأنها تتحدث عن نفسها بما فيه الكفاية، ولكن نختتم كتابنا هذا بسؤال واحد، نترك لكل قارىء أن يجيب عنه كل بحسب جهده:

إذا كان هذا هو مستوى المحبين الذين تلقوا العلم النافع عن الشيخ مشتهرى. فإلى أى مدى بلغ مستوى الشيخ نفسه؟!

اللهم لا نزكى عليك أحدا ولكنها نصيحة حبيبك المصطفى - صلى الله عليه وسلم -:

الذى قال: «ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا». رواه أحمد عن عبادة بن الصامت.

وقال صلوات ربى وسلامه عليه: «ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة فى الإسلام وذو العلم وإمام مقسط» (رواه الطبرانى عن أبى أمامة).

* فاللهم ارحم علماءنا ومشايخنا وكل من اهتدى بهديك وهدى نبيك واتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين. إنك بالإجابة جدير وعلى كل شىء قدير.

الفهـــرس

رقم الإيداع : ٢٩٥٩ / ٩٦

عربية للطباعة والنشر
١٠،٧ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨